١٤٢

الإلهام في أجوبة الكرام

فضيلة الشيخ
فوزي محمد أبوزيد

الكتاب	الإلهام فى أجوبة الكرام
المؤلف	الشيخ فوزي محمد أبوزيد
الطبعة	٢٣ مارس ٢٠٢٣م، غرة رمضان المبارك ١٤٤٤هـ
كتاب رقم	١٤٢ من المطبوع والمحقق حتى تاريخه
سلسلة	أسئلة صوفية، الكتاب الرابع
الداخلى	٢٢٤ ص*٨٠جم /١٧سم*٢٤سم ، ١ لون
الغلاف	كوشيه مط*٣٠٠جم*٤ لون* سلوفان مط
إيداع محلى	٢٠٢٣/٨٥٢٨
ترقيم دولى	٩٧٨-٩٧٧-٩٤-٥٤٦٤-١
بار كود	9 789779 454641 08528

متوفر الآن
أول تطبيق لفضيلة الشيخ
فوزي محمد أبوزيد
على متجر جوجل بلاي
بادر بالتحميل لمتابعة كل جديد

GET IT ON Google Play

https://qrgo.page.link/FKDJS

مُقَدِّمَة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله مجيب السائلين ومنور قلوب المحبين بنوره المبين وملهم الصادقين والصديقين بأنوار الإجابة الإلهية في كل وقت وحين والصلاة والسلام على خير النبيين وإمام الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وآله الصادقين وصحبه الذين كانوا له متبعين ومن تبع هداهم ومشى على خطاهم إلى يوم الدين واجعلنا منهم أجمعين.

وبعد،

بحمد الله تعالى ومنه زادت ثقافة الجماهير الواعية الإسلامية في هذا الزمان بالثقافة الدينية الواسعة مما جعل الكثير منهم يستكثر من السؤال في أخص خصوصيات أموره دنياهم ودينهم وقد ألهمنا الله تعالى أن نحقق لهم قول الله ﷻ:

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ النحل

ونعمل بقول بن مسعود رضي الله عنه:

{ لا تزالون بخيرٍ ما إذا حَاكَ في صدر أحدكم شيءٌ؛
وجدَ من يخبرهُ به ويشفيه منه }[1].

فبحمد الله تبارك وتعالى:

نجيب على أسئلة الحضور في الندوات التي نقيمها في كل الأنحاء ونجعل فيها وقت الظهيرة وبعد صلاة الجمعة وآخر الندوة الليلية لإجابة أسئلة الحضور مشافهة.

وكذلك نجيب على أسئلة السامعين على البعد في برنامج زووم الذي نقيمه كل يوم خميس عقب صلاة العشاء وهم من كل أنحاء العالم.

ونجيب أيضا على الأسئلة المرسلة إلينا على مواقعنا الإلكترونية وصفحاتنا

---

١ قوت القلوب لأبي طالب المكي.

الفيسبوكية، بالإضافة إلى الإجابة على الأسئلة على الهاتف مباشرة.

❧ وقد أجبنا على أسئلة كثيرة تم طبعها في كتب متيسر تداولها وورفعناها على موقعنا الإلكتروني لمن أراد أن يطلع عليها أو ينزلها مجانا حسبة لوجه الله تعالى.

❧ وهذه الأسئلة بعضها فتاوى وأسئلة شرعية وقد أجبنا عليها وطبعناها في كتبنا: (فتاوى فورية) من أربعة أجزاء، كتاب (فقه الجواب)، كتاب (فتاوى جامعة للنساء)، كتاب (المرأة المسلمة بين الإباحة والنهي)، كتاب (يسألونك)، كتاب (القول السديد)

❧ وأسئلة في الرد على غير المسلمين منها: كتاب (سؤالات غير المسلمين)، كتاب (أسئلة حرة عن الإسلام والمسلمين)، كتاب (حوارات الإنسان المعاصر)

❧ وهناك أسئلة في المواضيع الخلافية التي يتنازع فيها بعض المسلمين ومنها: كتاب (فتاوى جامعة للشباب)، كتاب (نور الجواب على أسئلة الشباب)

❧ وهناك إجابات على الأسئلة الصوفية وذلك في الكتب الآتية: كتاب (الأجوبة الربانية على أسئلة الصوفية)، كتاب (إشارات العارفين)، كتاب (بينات الصدور)، كتاب (جواب العارفين على أسئلة الصادقين)، كتاب (تجليات المعراج).[٢]

❧ وقد استطعنا أن نجيب على مجموعة كبيرة أخرى من الأسئلة:

منها ما ورد إلينا في برنامج زووم، ومنها ما أجبنا عليه مشافهة في لقاءاتنا أثناء جوالاتنا في ربوع البلاد المصرية.

واقترح الأحباب جمعها في كتاب للاستفادة الدائمة منها ...

سواء لمن حضرها، أو لمن لم يحضرها؛ بقراءتها والاطلاع عليها ...

فتم جمعها ونسخها وكتابتها وسميناها:

٢٢ ولا ننسى أن نذكر بأن هناك عدداً كبيراً من كتبنا بها باب كامل للفتوى في موضوعه.

أسأل الله ﷻ ...

أن ينفع بها كل من قرأها أو أهداها لمن يقرأها أو وضح ما فيها ببيانه لمن لا يعلمها وأسئل الله ﷻ أن يجازى عنا وعن المسلمين خيرا من سجلها ومن كتبها ومن راجعها ومن طبعها ومن نشرها ومن قام بتوزيعها بخير وبركة ومغفرة.

وعلى الله قصد السبيل .. ومنه وبه وله التوفيق والتأييد.

وصلى الله وسلم وبارك على معلم الناس الخير ...

وآله وورثته والقائمين بدعوته إلى يوم الدين ..

آمين.

الجمعة ١٩ من رجب ١٤٤٤هـ

١٠ من فبراير ٢٠٢٣م

البريد: الجميزة، محافظة الغربية، جمهورية مصر العربية

تليفون: ٠٠٢٠-٤٠-٤٣٤٠٥١٩

موقع الشـيخ على الإنترنت

WWW.fawzyabuzeid.com

البريد الإليكترونى

fawzy@fawzyabuzeid.com

fawzyabuzeid٤٨@gmail.com

fawzyabuzeid@hotmail.com

fawzyabuzeid@yahoo.com

لحضور مجالس ودروس وخطب العارف بالله الشيخ فوزى محمد أبوزيد على الهواء مباشرةً وللبثِّ الحىّ؛ تابعوا صفحات مواقع التواصل الإجتماعى التالية.
أو امسح الكود المربع QR بالموبايل لدخول الصفحات مباشرة

الموقع الرسمى لفضيلة الشيخ فوزى محمد أبوزيد بالعربية
https://www.fawzyabuzeid.com

صفحة الفيس بوك الرسمية للشيخ فوزى محمد أبوزيد
https://www.facebook.com/fawzy.abuzeid

صفحة الفيس الإنجليزية للشيخ فوزى محمد أبوزيد
https://www.facebook.com/fawzyabuzeid٢

مكتبة كتب ومؤلفات الشيخ فوزى محمد أبوزيد
https://www.facebook.com/fawzyabuzeid.library

صفحة الخطب الإلهامية العصرية
https://www.facebook.com/khotab

صفحة قضايا الشباب المعاصر
https://www.facebook.com/shbabmoaser

صفحة المؤمنات القانتات
https://www.facebook.com/qanetat

صفحة التربية الصوفية فى القرآن والسنة
https://www.facebook.com/alsoufia

صفحة إشارات العارفين
https://www.facebook.com/esharatelaarfeen

قناة اليوتيوب ١
https://www.youtube.com/c/fawzyabuzeid١

قناة اليوتيوب ٢
https://www.youtube.com/user/eadase

إنستجرام الشيخ فوزى محمد أبوزيد
https://www.instagram.com/fawzyabuzeid٤٨/

البنترست الشيخ فوزى محمد أبوزيد
https://www.pinterest.com/fawzyabuzeid/

تويتر الشيخ فوزى محمد أبوزيد
https://twitter.com/fawzyabuzeid

المدونة الرسمية للشيخ فوزى محمد أبوزيد
https://www.fawzyabuzeid.blogspot.com/

تطبيق موقع الشيخ فوزى محمد أبوزيد على جوجل بلاى للموبايل
https://qrgo.page.link/FKDJS

Zoom زووم، المجلس: ٢٣٦٧٩٠٢٣١٦، رقم السر: ١٢٣٤٥

الباب الأول

أحكام بين الكتاب والسنة

١ـ المال الطيب	٩
الورع	١٤
٢ـ دروس حادثة شق القمر	١٥
٣ـ إشارات المحققين في الصيام	١٧
٤ـ أفضل الأعمال في عشر ذي الحجة	١٩
٥ـ أهل بدر	٢١
٦ـ اسقاط التكاليف الشرعية	٢٥
٧ـ العمل الصالح	٢٧
٨ـ أفلا يتذكرون	٢٨
٩ـ قطر وكأس العالم	٢٩
١٠ـ المزمل والمدثر	٣٣
١١ـ ترك الوصية	٣٦
١٢ـ الإنابة في الصلاة	٤٠
١٣ـ الدعاء والتفويض	٤٢
١٤ـ التابوت	٤٥
١٥ـ تكرار آلاء الله في سورة الرحمن	٤٧
١٦ـ مشيئة الله	٥٠
١٧ـ الرجوع في الهبة	٥٣
١٨ـ الدعاء في الصلاة	٥٦
١٩ـ دعاء الإمام لنفسه دون من خلفه	٥٨
٢٠ـ زيادة العمر	٥٩
٢١ـ الجفر	٦٢
٢٢ـ صلاة الجنازة على المنتحر	٦٤
٢٣ـ فضل قراءة الفاتحة	٦٥

الباب الأول

أحكام بين الكتاب والسنة

١- المال الطيب

السؤال: قال ﷺ: { لَا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِطِيبِ نَفْسِهِ }[٣]

نرجو توضيح ذلك؟

مَن أذكى إنسانٌ ظهر في الوجود؟ ... سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ

ومن أذكى الناس بعده؟ الأنبياء والمرسلون عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام، ... ومن أذكى الناس بعدهم؟ الصالحون رضي الله عنهم أجمعين.

لكن توجد نبرة موجودة في المجتمع، وهي مصيبة لو أُصيب بها السالكين، فيظنون أن الصالحين لأنهم يتظاهرون بالطيبة، ومن أخلاقهم الطيّبة التغاضي، فيعرف أن هذا كذا وكذا ويتغاضى، لماذا؟ لأنه قد يرجع وقد يتوب ! .. والمصيبة الكبرى أنهم يظنون أنهم أناس طيبين ولا يعرفون شيئًا، ويقولون قد نضحك عليهم ونأخذ منهم كذا، ونأخذ من ورائهم كذا، لكن هذه مصيبة عُظمى لو وقع فيها المريد يبكي على نفسه دمًا، وليس دمعًا.

سيدنا رسول الله ﷺ بعد فتح مكة توجَّه إلى فتح الطائف، وفي غزوة حُنين غنم مغانم كثيرة، فكان فيها اختبار، وهو ﷺ كان له سلاح لتأليف القلوب، فكان يُعطي الذين لم تنشرح صدورهم للإسلام بعد ليزيل غصة الكفر التي عندهم ويدخلون في الإسلام.

حتى أعطى رجلًا غنمًا بين جبلين، والرجل عندما أخذ الغنم قال:

{ يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ }[٤]

---

٣ سنن الدارقطني ومسند أحمد عن أنس رضي الله عنه

٤ صحيح مسلم ومسند أحمد عن أنس رضي الله عنه

وفي رواية أخرى: { مَا طَابَتْ نَفْسُ أَحَدٍ بِمِثْلِ هَذَا إِلَّا نَفْسَ نَبِيٍّ }[٥]

لا تجود بهذا إلا نفس نبي، لأن النبي يريد أن يصل إلى هذه، فلا يوجد أحدٌ من البشر يُعطي أحدًا غنمًا بين جبلين، صفوان بن أمية يقول:

{ أَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ وَ إِنَّهُ لَأَبْغَضُ الْخَلْقِ إِلَيَّ فَمَا زَالَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لَأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَيَّ }[٦]

يعرف أن هذا السلاح هو الذي سيجذب هذا الرجل.

فبعض الصادقين من عشمه رأى أنها فرصة ليأخذ كما يأخذون، فأحد المؤمنين الصادقين وكان اسمه حكيم بن حزام رضي الله عنه، قال:

{ سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ فَمَنْ أَخَذَهُ بِطِيبِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنْ الْيَدِ السُّفْلَى }[٧]

طلب من النبي فأعطاه، وكرر الطلب، وهذا لا يصح لأن له حال، وهم لهم أحوال.

وهذه الجزئية التي أريد أن أنصح نفسي وإخواني بها، فمعظم أفراد المجتمع واقعين في هذه الخطيئة، فهو يريد المال سواء بطيب نفس، أو رغمًا عنه ليس مهمًا، لكن الإسلام ليس هكذا، فهذا المال لا يحل إلا بطيب نفس.

كما يحدث الآن من بعض الأصدقاء، يعملون في مكان وأحدهم عنده ظروف، أو يريدون عمل حفل له لأنه سيُحال إلى التقاعد أو ما شابه ذلك، فيأتي بعض زملائه ويجمعون له مال، يا فلان نريد منك كذا، ويا فلان نريد منك كذا، لكن كما ورد بالأثر:

((كل ما أُخذ بسيف الحياء فهو حرام)).

لماذا تحرجهم؟ تريد أن تعمل حفلًا تقول: أيها الناس أريد أن أعمل حفلًا لفلان،

---

٥ سير أعلام النبلاء
٦ سنن الترمذي ومسند أحمد
٧ البخاري ومسلم عن حكيم بن حزام رضي الله عنه

والذي يُريد أن يتبرع يتبرع بما تجود به نفسه، وأنا لن أُطلع أحدًا على الكشف الذي فيه التبرعات، وهذا هو الإسلام، كل واحد يجود بما تجود به نفسه، لكن هل أقول: يا فلان هات خمسين جنيهًا، فيُخرج خمسين، ثم أقول له: أنت رجل ميسور فاجعلهم مائة جنيهًا، فيخرجها وهو غير راض عن هذه المائة.

أمر عادي يحدث من أحبابنا كلهم عندما يكونوا مسافرين في طريق، ومشايخنا ﷺ كانوا يوصوننا عند السفر فيقولون: كل واحد يدفع أجرته عن نفسه، ولا أحد يحرج أحدًا، لكن البعض في السفر يقولون: حاسب يا فلان وسنحاسبك، فيحاسب فلان، ثم يهربون من الحساب ويميتوا الأمر، ومن يفعل ذلك ما شأنه وشأن شميم الصالحين؟! لا ينفع هذا في طريق القوم، فالظلم ظلماتٌ يوم القيامة.

يكونوا راكبين سيارة أجرة، فيجامل أحدهم ويقول: سوف أدفع لك يا فلان، أو يا فلان ادفع لي، فيدفع له، ثم يحاول أن يعطيه فيقول له مجاملة خلي، فيوافق، فهل يصح هذا الكلام في طريق الله!؟ هذا سُحتٌ والعياذ بالله، هذا الذي يقول فيه الحديث:

{ لَا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِطِيبِ نَفْسِهِ }[٨]

لا بد للإنسان الذي يُخرج هذا المال أو الذي نأخذ منه هذا المال أن يكون راضيًا.

أحكي لكم حكاية حكاها لنا فضيلة الشيخ محمد علي سلامة ﷺ وأرضاه، وكان في طفنيس المطاعنة مركز إسنا بالأقصر، ويحكي أنه كان هناك رجل من الصالحين اسمه أبو عسكر وكان من الأكابر وعلى علم، وقد كان يُصلي بالناس الفجر، وفي ذات يوم وجد نورًا موجود بالقبلة ومكتوب فيه: لا إله إلا الله أبو عسكر وليّ الله، فقال: يا ملعون وهل هذا يُرى بعين الرأس!؟ النور يُرى بعين القلب، فعرف أن هذا من إبليس ليُغرر به لأنه رجل من الصالحين، فالعادة أن الفلاحين يكون عندهم زرع، وهؤلاء عندهم فتوى لا أعرف من أين أتوا بها؛ أن الإنسان عندما ينزل إلى أرض بها زرع كالفول أو ما شابه، يأكل منه حتى يشبع، وأن هذا ليس حرامًا، والحرام أن يأخذ منه ويحمل، وهذه فتوى عند الفلاحين، فمن الذي قال هذا؟! ... وهذه مباحة في حالة واحدة وهي إذا كنت على وشك الهلاك وسأموت، وأريد أن أنقذ نفسي، وليس أمامي غير هذا الزرع، فقالوا: الإسلام دين تسامح

٨ سنن الدارقطني ومسند أحمدعن أنس رضي عنه

وسلام فتأكل بما يقيم أودك، أي يرد لك حياتك فقط إذا كنت على وشك الهلاك، لكن أنا شبعان وغير محتاج للأكل فلا يجوز أن أنزل للزرع وآكل.

فالشيخ أبو عسكر ﷺ كان ماشيًا فوجد أحد الفلاحين قد ترك جاموسته تأكل في حقل فول لأحد الفلاحين، فبالبصيرة النورانية قال: يا فلان الفول يأكل الجاموسة!! وكان كلامهم موزوناً، وليس كلامًا عشوائيًا، فما هي إلا لحظات إلا والجاموسة وقعت على الأرض وماتت، فغضب صاحبها وأسرع إلى الشيخ يريد أن يضربه ويقول له: لماذا أنت تأكل أيضًا؟!، فقال له: أنا آكل لأن صاحب الزرع راض عني، ولو عرف أنني سآكل سيفرح ويُسر، لكنك تأكل وهو غير راض عن ذلك.

فلا بد لأي أمر من هذه الأمور أن نزنه بهذا الميزان، وهو أنه لا شيء يحل إلا بطيب نفس.

يكون أحد الأحباب جالساً بجوار آخر ومعه كتاب، فيقول له: هل تسمح لي أن أنظر في هذا الكتاب، فيعطيه الكتاب، فيقول له: ما رأيك أن آخذه لأقرأه ثم أعيده لك؟ فيقول له: لا مانع، فيأخذه ليقرأه ولا يعيده، فكيف هذا؟! فقد أخذته على سبيل الإعارة، وهذه الإعارة لا بد للإنسان أن يردها.

سيدنا عبد الله بن المبارك ﷺ كان في خراسان، حاليًا في أفغانستان، وكان يسافر ليجمع أحاديث رسول الله، فسافر إلى دمشق، وكانوا يكتبون بقلم بوص، وهو عبارة عن قطعة من الغاب يبريها من أسفل ويضعها في الحبر ويكتب بها– والرسول ﷺ أوصى بأن الإنسان الذي يعمل في الكتابة أن يضع القلم على أُذنه، فهذه تكون أذكر له – فاستعار قلمًا من واحد ليكتب به الحديث ونسي ووضعه على أُذنه، وسافر ونسي أن يردها له، ولم يتذكر إلا وهو على أبواب خراسان، والمسافة بين دمشق وخُراسان سيرًا على الركائب أكثر من شهر، بعد أن وصل عند باب خُراسان تذكر وقال: أنا استعرت هذا القلم من فلان، وأدار دابته مرة ثانية، وقال: لن أدخل البيت حتى أرد هذا القلم لصاحبه!! .. ورجع من خراسان حتى دمشق ليرد الإعارة إلى من استعارها منه، لأنهم ما وصلوا لما وصلوا إليه إلا بهذا.

ولذلك أُمه في ذات يوم من الأيام وكان شديد الحرارة، رأته وهو نائم في بستانه وفوجئت بأن حية تمسك مجموعة ورود بفمها وتُروِّح عنه!، وانظر إلى ما وصل إليه من مقام!، العدو هو الذي يخدمه، تمسك بأعواد ريحان وورود وتروح عليه، فلم يكن عندهم

مراوح ولا كهرباء ولا مثل هذه الأشياء، ... ما هذا؟! الحال الذي كانوا يمشون عليه:

{ لَا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِطِيبِ نَفْسِهِ }[٩]

بعض السيدات على الأخص، تنزل السوق وتسأل البائع: الفاكهة التي معك طيبة أو غير طيبة؟ يقول لها: هي أمامك، فتقول له: أذوقها أولًا، فلِمَ تذوقيها؟! عندما تشتري تذوقي مما اشتريتيه، لكن ما تذوقيه هل أنت استأذنت البائع فيه؟!! وأحيانًا يكون معها طفلين أو ثلاثة، فتعطيهم بدون إذن البائع !! ..

سيدنا الإمام إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه كان في البصرة بالعراق واشترى تمرًا، والبائع بعد أن وزن التمر وقع تمرتين منه على ميزان سيدنا إبراهيم بن أدهم، وهو كان مسافرًا لبيت المقدس لأنه كان سواحًا، وأبوه كان من الملوك، ولكن الله أورثه الزهد، وكان الصالحون يحبون النوم تحت صخرة بيت المقدس، وهي الصخرة التي صعدت خلف رسول الله ﷺ، فكانت واقفة معلقة في الهواء، وهي أبعادها أربعة أمتار في أربعة أمتار من الأربع الجهات، يعني صخرة ضخمة، وكانت معلقة حتى جاء اليهود فبنوا تحتها حوامل خوفًا من أن تقع على أحد، ولكنها معلقة من أيام رسول الله، فصعدت خلفه وسيدنا جبريل أشار إليها أن قفي، فوقفت في مكانها واسمها صخرة بيت المقدس.

فكان الصالحون يحبون النوم تحت هذه الصخرة ...

فنام تحت الصخرة، وفوجئ بجماعة من الملائكة نازلين ويكلمون بعضهم، فقال أحدهم: من هذا؟ قال: إبراهيم بن أدهم، قال: الذي سقط من عين الله؟ قال: نعم لأنه أخذ تمرتين ليستا له، وانظر معاملة الله للصالحين! ...

أصبح في الصباح وتوجه إلى البصرة، وذهب لبائع التمر واشترى منه، وبعد أن وزن له رفع تمرتين من تمره ووضعهم على الفرش، وأعاد للرجل حقه، ورجع إلى بيت المقدس ونام، فرأى نفس الملائكة، فقال أحدهم:

من هذا؟ قال: إبراهيم بن أدهم، قال له: هذا الذي رد له الله حاله؟ قال:

نعم لأنه أعاد التمرتين.

---

٩ سنن الدارقطني ومسند أحمدعن أنس رضي عنه

الورع

أرأيتم أحوال الصالحين؟! نحن حاليًا نستهين بهذه الأمور، ولكن هم لا، قال ﷺ:

{ خَيْرُ دِينِكُمُ الْوَرَعُ }[١٠]

أفضل شيء في الدين هو الورع، والورع هو اتقاء الشبهات، مال لا يحل لي فلماذا آخذه؟ وما شأني به؟ أحاول أن آخذه بالرضا أو بالغصب لا يجوز !! فمثلًا تشتري شيء، بكم الطماطم؟ يقول لها: بخمسة جنيهات للكيلو، تقول له: بأربعة، فلم يوافق، تقول له: زن لي، فيزن لها، وبعد أن يزن تُخرج له أربعة جنيهات وتلقيهم له، يقول لها: أنا غير مسامح، تقول له: لا يهم!! .. بذلك هي أخذت حرام، وأطعمت نفسها وأولادها حرام، لأنه لا بد أن تؤخذ الحاجة بطيب نفس، فإذا كان غصبًا عن النفس، فهذا لا يجوز.

المؤمن حريص دائمًا أن لا يأخذ أي شيء من أي إنسان قريب أو غريب، حتى لو أب أو أم إلا بطيب نفس، وقد شاع في هذه الأيام أن الأبناء يرغموا الآباء أن يدفعوا لهم كذا وكذا، وهذا حرام، ولا يصح!!! لابد أن يكون كل شيء برضا نفس، فأبيك من حقه أن يأخذ من مالك ما يريد، لأنك كما قال ﷺ:

{ أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ }[١١]

لكن أنت لا، فلا تأخذ منه إلا برضاه، وبطيب نفس، فلو احتاج شيئًا من بيتك يأخذه كما يريد، لكن أنت محتاج لشيء من عنده، فهل تذهب دون علمه وتأخذه؟ لا يجوز، لا بد أن يعطيه لك هو بطيب نفس، لماذا؟ لأنك قد تأخذ هذا الشيء وهو يتغير عليك ويغضب، ولا أحد يعرف الآجال، ولو مات على غضب عليك فتكون قد تعست في دنياك وفي أُخراك، فأهم شيء تحرص عليه أنه لا يتغير من ناحيتك، ويكون في رضاء تام، إن كان الأب أو الأم، لذلك نحرص جميعًا على العمل بقوله ﷺ:

{ لَا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِطِيبِ نَفْسِهِ }[١٢]

---

١٠ معجم الطبراني ومسند البزار عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه
١١ سنن ابن ماجة ومسند أحمد عن جابر رضي الله عنه
١٢ سنن الدارقطني ومسند أحمد عن أنس رضي الله عنه

٢- دروس حادثة شق القمر

السؤال: ما الدرس المستفاد من حادثة شق القمر للمسلمين في هذا الزمان؟

هو إثبات إعجاز القرآن بالعلم الحديث.

فقد حكى العالم الجليل الدكتور زغلول النجار أنه كان يحاضر في جامعة ويلز في بريطانيا، وكان يتحدث لهم عن عالم الفضاء وما فيه من نيازك، وما فيه من شُهب، وما فيه من نجوم، وكيف نستدل بها على قوة وعزة حضرة الملك القيوم ﷻ.

قال: وبين أنا في الحديث طلب أحد الحضور مداخلة، فقال: أنا داوود موسى رئيس الحزب الإسلامي البريطاني، وكنت أُحب دراسة الأديان قبل أن أعلن إسلامي، وفي يوم أمسكت بالقرآن، فقرأت آية تقول: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ ﴾ (القمر) فألقيت القرآن جانبًا وقلت: لم يثبت التاريخ إنشقاق القمر.

قال: وبين أنا ذات يوم في منزلي أشاهد التلفاز، وكان مذيعًا لامعًا في قناة BBC (بي بي سي) قد أحضر ثلاثة رواد للفضاء أمريكيين، وكانوا هم الذين وصلوا إلى القمر، فقال لهم: إن الذي أنفقتموه في هذه الرحلة وهو ما يزيد عن مائة مليار دولار، كان أولى أن توزعوه على فقراء العالم، فقال أحدهم: إن المعلومات التي وصلنا إليها معلومة واحدة منها تساوي أضعاف أضعاف هذا المبلغ، قال: كيف ذلك؟ قال: وجدنا حزامًا من الصخور المتحوله يقطع القمر من سطحه الى جوفه الى سطحه بطول ٢٥٠ كيلومتر وعمق ٥٠ متر، فاستشرنا علماء الأرض وعلماء الجيولوجيا فقالوا: لا يمكن أن يكون هذا قد حدث إلا إذا كان هذا القمر قد انشق ثم التحم.

قال: فلما سمعت هذا الحديث قفزت من مقعدي وقلت: وجدتها وجدتها، وعلمت أن دين الإسلام دينٌ حق لأنهم أخيرًا بعد علمهم وجهدهم وصلوا إلى حقيقة قول الله:

﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ ﴾ (القمر).

وهكذا كلما يكتشف أهل الغرب والشرق شيئًا في العلم الحديث، يجدونه موثقًا أعظم توثيق في القرآن الكريم وفي السُنَّة النبوية.

وقد حكيت قبل ذلك ما حدث في فرنسا عندما جاءت الولادة لامرأة مسلمة، وكانت عندما ذهبت إلى المستشفى كان ميعاد تناوب الورديات، فرأت طبيبة تقوم بالتوليد، فطلبت منها أن تولدها، قالت: انتهت نوبتي وسيأتي طبيبٌ من بعدي لتوليدك، فأخذت تتوسل إليها لتقوم بتوليدها ..

ثم قالت الطبيبة لزوج المرأة: لماذا هي تُصر على ذلك؟ قال: لأنها مسلمة ودينها يأمرها أن لا يطلع على أعضائها الحساسة إلا امرأة مثلها وليس رجل، فاستجابت لتوسلها وقامت بتوليدها.

وبعد الولادة قامت بنصحها وقالت لها: يجب أن تحلقي شعر المولود، لأن شعر المولود ينزل وقد اختلط بالدم عند نزوله، فيكون مليئ بالميكروبات والجراثيم وغيرها من الأشياء الضارة، فقالت لها: الحمد لله إن ديننا أمرنا بذلك، وأوصانا نبينا أن نحلق شعر المولود ونزنه ونتصدق بمثل وزنه ذهبًا أو فضةً للفقراء والمساكين.

وقالت لها: يجب أن لا يقربك زوجك إلا بعد أربعين يومًا لما في ذلك من الأضرار الطبية لك وله، فقالت: الحمد لله، لقد أوصانا ديننا أن لا يقرب الرجل زوجته بعد الولادة إلا بعد أن ينتهي نفاسها، والنفاس عادة يكون بعد أربعين يومًا !ز

فقالت: أي دين هذا؟ قالوا لها: الإسلام، قالت: أحدث ما يكتشفه العلم الحديث سبق إليه الإسلام منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام، قالوا: نعم!!! فأخذت إجازة من عملها، وذهبت إلى مركز إسلامي وأخذت تقرأ عن الإسلام حتى اقتنعت به قلبًا وقالبًا ونطقت بالشهادتين.

وهكذا نجد أن في شق القمر إعجازٌ إلهي أثبته الله في زماننا، كما أن هناك إعجازات لا تُعد ولا تُحد لقرآننا ولسُنَّة نبينا، ويا ليتكم تقرأون كتب الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ويا ليتكم تلقنوها بلطف وتبسيط لأولادكم لزيادة الإيمان في قلوبهم، ولعُلو الإسلام في صدورهم.

٣- إشراقات المحققين في الصيام

السؤال: يقول الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

((الصيام جهادٌ بالجسم، ومخالفة للنفس، وسياحة بالعقل، ومشاهدةٌ بالروح))

أرجو من فضيلتكم التوضيح، وهل هذا الأمر في رمضان فقط؟

هذا السؤال أجبته بالتفصيل في كتابنا (الصيام شريعة وحقيقة)، والحقيقة أن الصالحين ليس عندهم رمضان واحد فقط، وإنما الدهر عندهم كله رمضان، وصيامهم لله الذي ينبغي أن يقوموا به يكون صيام الأبد، ولكن مع خلاف واحد وهو أنهم يأكلون ويشربون وقد يجامعون في غير رمضان، لكنهم صائمون بجميع أنواع الصيام.

الصيام جهاد بالجسم:

أي جهاد في تحمل الجوع، وتحمل العطش، وتحمل آثار شهوة النكاح، من الفجر إلى غروب الشمس، وهذا الصيام العام لجميع العوام.

والصيام مخالفة للنفس:

لأن النفس دائمًا تأمر الإنسان بالفحشاء والمنكر، كما قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾(٥٣يوسف) وصيام الإنسان السالك في طريق الله هو مخالفة النفس في كل ما تأمره به:

وخالف النفس والشيطان واعصهما وإن هما محضَّاك النُصح فاتَّهم

أما صيام العقل هو سياحة العقل:

فيصوم العقل أولًا عن التفكير الدنيئ، كالتفكير في الذنوب، أو التفكير في العيوب، أو التفكير في التفريق بين الأحبة، أو التفكير في المكر والدهاء للمسلمين، أو التفكير ما لا يحمد عقباه للموحدين، وإنما يتفكر في آلاء الله في الكائنات، وفي آيات الله في نفسه:

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ (﴿٥٣﴾فصلت).

وهذه عبادة تُسمى عبادة التفكر !!

وهذه العبادة مستمرة مع الإنسان ما بقي الإنسان حيًا إلى أن يلقى الرحمن ﷻ.

فإذا أحسن الإنسان التفكر والتذكر:

أكرمه الله ﷻ بالحياة الإيمانية ...

فأصبح ذاكرًا ذكرًا نورانيًا لرب البرية، يذكر الله عن مشاهدات! ويذكر الله عن مواجهات! وتأتي المشاهدات له من عالم الروح، والروح تشهد ما في الملكوت الأعلى وما في الجنات وما في عوالم الله التي لا تُحصى !!!

ويدخل في قول الله:

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ (الأنعام).

إذًا الصائم الحق:

- هو الذي يصوم عن مخالفة النفس طوال عمره.
- ويصوم عن الأفكار الدنية طوال حياته.
- ويسوح بفكره في كل شيء ينظر إليه ويتأمل فيه، حتى إلى طعامه وإلى شرابه: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ ﴾ (عبس).
  - ثم بعد ذلك ينقله الله بالمنح الإلهية إلى مشاهدة الأنوار الربانية.
    - ثم إلى التجليات الإلهية، مع أنه يأكل ويشرب.

وهذا هو صيام العارفين الذين يصومونه طول العام !!!

ويكونوا طوال العام داخلين في قول الله:

﴿ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ ﴾ (﴿٣٥﴾الأحزاب)

نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين.

٤- أفضل الأعمال في عشر ذي الحجة

السؤال: ما أفضل الأعمال في أيام العشر من ذي الحجة؟

ورد في الأثر: ((إذا أحب الله عبدًا، وفقه لصالح الأعمال في أفضل الأوقات)) وأفضل الأعمال المباركة التي سنَّها لنا رسول الله ﷺ في هذه الأيام هي كما يلي:

أولًا: الصوم

وهو أن نصوم ما تيسَّر من هذه الأيام، وخاصةً يوم عرفة، لقوله ﷺ:

{ صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ، وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ }[١٣]، وفي رواية أخرى:

{ صَوْمُ يَوْمِ عَرَفَةَ يُكَفِّرُ سَنَتَيْنِ مَاضِيَةً وَمُسْتَقْبَلَةً }[١٤]

وهذا إذا لم يكن الإنسان ممنوعًا طبيًا من الصيام، فإن الصيام للممنوع طبيًا يكون في شأنه حرام، لأنه مخالفة تؤدي لمزيد الأمراض والأسقام، أو يؤثر على عمله الذي يعمله، فعمله هو غاية الأمل، وشرط الصيام أن لا يؤثر على صحة الإنسان، ولا على المكلف به في هذه الحياة الدنيا نحو مجتمعه أو نحو نفسه.

ثانيًا: التكبير

إن الحجاج في الأراضي المقدسة لهم التلبية، ونحن في باقي بقاع الأرض جماعة المسلمين لنا التكبير.

والتكبير منه التكبير المطلق، والتكبير المحدد.

والتكبير المطلق كان يفعله سيدنا عبد الله بن عمر وسيدنا عبد الله بن عباس وغيرهم، ويبدأ من أول يوم من شهر ذي الحجة.

---

١٣ صحيح مسلم والنسائي عن أبي قتادة رضي الله عنه

١٤ مسند أحمد عن أبي قتادة رضي الله عنه

أما التكبير المحدد الذي ينبغي أن نهتدي إليه ونتمسك به جميعًا فيبدأ من بعد فجر يوم عرفة، إلى عصر اليوم الرابع من أيام العيد، ونقول: (الله أكبر الله أكبر الله أكبر ولله الحمد).

رأى الإمام الشافعي رضي الله عنه واستحسن ما يقوله أهل مصر عندما يقولون: (الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرةً أصيلًا، لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعزَّ جنده، وهزم الأحزاب وحده، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، اللهم صل على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواج سيدنا محمد، وعلى أنصار سيدنا محمد، وعلى أتباع سيدنا محمد، وعلى ذرية سيدنا محمد وسلم تسليمًا كثيرًا).

وأضاف البعض (وعلى أشياع سيدنا محمد) وهذه إضافة أضافها الشيعة عندما كانوا يحكمون مصر، وهي ليست من الصيغة التي ارتضاها أهل مصر.

فهذا التكبير يكبره الإنسان بعد الصلوات المفترضات إن كان في جماعة أو كان بمفرده، إن كان في بيته أو كان في أي مكان، وكذا يُسن أن يقوله بعد الصلوات المسنونات، أي بعد صلاة الضُحى أو بعد صلاة الجنازة.

وهذا هو نظام التكبير الذي ينبغي أن نعلِّمه لنسائنا وبناتنا وشبابنا، وأن نكبر عند الخروج إلى صلاة العيد من بيوتنا إلى أن نصل إلى أماكن الصلاة إن شاء الله.

ثالثًا: الدعاء

وهو أن ينشغل الإنسان يوم عرفة بالدعاء وبالاستغفار، وبتكرار ذكر الله سبحانه وتعالى، وتلاوة ما تيسر من القرآن، لأنه أفضل أيام الدنيا.

ولا ينشغل فيه بلهو ولا لعب ولا قيل ولا قال، وإنما يجعله يومًا خالصًا لله سبحانه وتعالى، ليشارك الحجيج أجرهم وثوابهم عند الله تبارك وتعالى.

رابعًا: الأُضحية

وهذا إن كان عنده أُضحية، فلا يذبحها إلا بعد صلاة العيد، لقول الله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ ﴾ (الكوثر) فإذا ذبحها قبل ذلك، كان كما قال صلى الله عليه وسلم:

{ إِنَّ أَوَّلَ مَا نَبْدَأُ بِهِ فِي يَوْمِنَا هَذَا أَنْ نُصَلِّيَ، ثُمَّ نَرْجِعَ فَنَنْحَرَ، مَنْ فَعَلَهُ فَقَدْ أَصَابَ سُنَّتَنَا، وَمَنْ ذَبَحَ قَبْلُ، فَإِنَّمَا هُوَ لَحْمٌ قَدَّمَهُ لِأَهْلِهِ، لَيْسَ مِنَ النُّسُكِ فِي شَيْءٍ }[١٥]

وأن تكون هذه الأُضحية بشروطها الشرعية التي شرحناها قبل ذلك.

نسأل الله ﷻ أن يفتح أرض الحج للحاجين والطائفين والراكعين من المسلمين من كل بقاع الأرض، وأن يجعلها ويعيدها كما كانت تعجُّ بالحجيج وبالمعتمرين، ويوفقنا أن نكون من جملتهم، والله ﷻ مُجيب الدعاء ومُحقق الرجاء.

٥- أهل بدر

السؤال: من هم أهل بدر؟ وهل لكل زمان أهل بدر؟ وهل يمكن لإنسان في هذا الزمان أن يصل لمكانتهم؟ أم أنها خصوصية لمن شهد غزوة بدر فقط؟

أهل بدر في عصر النبي ﷺ طائفتان:

- الطائفة الأولى الذين حضروا معه في الغزوة، وجاهدوا الكفار ونصرهم الله وأيدهم بجنود من عنده من الملائكة الأبرار.
- وطائفة كانوا بالمدينة أو حولها، وكانوا يتمنون أن يخرجوا مع رسول الله، ولكن منعهم مانعٌ من الخروج، لأنهم لم يعلموا أنه خارجٌ لحرب، وإنما كان خارجًا للتجارة، فهؤلاء شاركوهم في العطاء بقلوبهم ونياتهم.

لأن رسول الله ﷺ عندما كان في غزوة تبوك، وكانت في شمال الجزيرة العربية، وبينها وبين المدينة حوالي سبعمائة كيلومتر، وكان الجو حارًا، وكانت في أيام جمع محصول التمر، وكان الطريق طويلا، ولا يملك كل إنسان دابة يركبها، أو زادًا يبلغه الوصول إلى هذا المكان، فعندما وصل ﷺ إلى تبوك قال:

١٥ البخاري ومسلم عن البراء بن عازب رضي الله عنه

{ إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ، قَالَ: وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ}[16]

فهؤلاء كانوا في الأجر سواء مع الحاضرين مع حضرة النبي في غزوة تبوك، وهكذا في كل غزوة، أو في كل عمل من أعمال الإسلام مع نبي الإسلام ﷺ.

أهل بدرٍ قال فيهم النبي ﷺ:

{ لَعَلَّ اللَّهَ ﷻ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ }[17]

وقال بعض المتشككين كيف سيقعون في المعاصي ويغفرها لهم مع أنه يعلم أنهم سيقعون فيها، وهؤلاء جهلوا قدرة الله وإكرام الله لعباد الله الصالحين، فإن الله ﷻ جعل للأنبياء العصمة، والعصمة هي أن لا يخطر على قلوبهم ذنبٌ أو معصيةٌ أو شيء يُغضب الله ﷻ، لا تمر حتى على بالهم، ولا تخطر على قلوبهم.

وجعل الله ﷻ للأولياء الحفظ، لأنه قد توسوس لهم نفوسهم في صدورهم بمعصية، أو أمر يُغضب الله، ولكن الله ﷻ لحفظه لهم في قوله: ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ ﴾ (الأعراف) وفي قوله ﷻ: ﴿ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (يوسف)، يحفظهم من تنفيذ هذا الوسواس الذي جاش في صدورهم، فيكون لهم أجرٌ عند ربهم، ... لقوله ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ ﷻ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً }[18]

فإذا خطرت المعاصي في نفوسهم، وخرجت وساوس إلى صدورهم، فإن الله يمنعهم بما شاء وكيف شاء، قيل في شأن هؤلاء: ((إن من العصمة أن لا تجد)).

---

١٦ صحيح البخاري وسنن أبي داود عن أنس رضي الله عنه
١٧ البخاري ومسلم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه
١٨ صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما

يعني لا تجد طريقًا لتنفيذ ما فكرت فيه، أو لا تجد وسيلة لتحقيق الرغبة التي جاشت في صدرك، فإن الله يُقيد لك أي وسيلة تمنعك من ذلك، كأن يُفكر الإنسان في سرقة شيء ما في مكان، ويضع خُطة في نفسه، وعندما يهم بالتنفيذ يجد رجلًا دخل عليه، فيمتنع عن التنفيذ، وهذا حفظٌ من الله ﷻ له، وهذا الحفظ هو الذي حفظهم الله به إلى آخر حياتهم حتى لا يقعوا في عمل يُغضب الله ﷻ.

هؤلاء البدريون يُوجد أشباه وأمثال لهم في كل زمان ومكان، كيف يصلون إلى ذلك؟ يقول الإمام أبو العزائم رضي الله عنه، وهو الخبير القرآني في ذلك:

((إذا انتصر الحق فيك على الباطل، فكل يومك يوم بدر)).

فإن الإنسان فيه جنود للحق، وهم الروح والسر والخفا والأخفى والعقل وغيرها من الجنود الروحانية، وفيه جنودٌ للباطل، وهم النفس والشهوات والرغبات الدنية والآمال الكاسدة، وهؤلاء بينهم حربٌ ضروس على أرض القلب للسيطرة عليها، لأن من مَلَك منهم أرض القلب مَلَك هذه المملكة، وأصبح يُحرك هذا الإنسان كما يريد.

فإذا غلبت النفس الإبليسية على إنسان وسيطرت على ساحة قلبه، كان إنسانًا ظاهرًا ولكن صورته الباطنة صورة إبليس، وفيه يقول الله ﷻ:

﴿ شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ (١١٢الأنعام).

فبدأ بشياطين الإنس أولًا لأنهم أخطر، فيمشي بين الناس يفرق بينهم، ويحاول أن يزيد الخلافات بينهم، ويحاول أن يفرق بين الأحبة، ويحاول أن يُوقع بين الأصدقاء، ويحاول أن يصرف الأوفياء عن الوفاء، ويحاول أن يجعل الصادقين يستمرئون الكذب ويتركون الصدق في كل وقت وحين، وهذا إبليس في صورة آدمية.

وإذا تغلبت النفس الجمادية، تجد هذا الإنسان كسولًا عند الطاعات، جامدًا عند السعي على الأرزاق، لا يريد إلا أن ينام ويأكل بدون تعب ولا عناء، ويريد من يُطعمه ويؤكله ويأتي له بما يشتهي، ولا يتعب في ذلك، فيكون كالجماد الذي هو حولنا، لأنه جامد لا يتحرك، وقد أمرنا الله بالحركة، وجعل في الحركة البركة.

قال ﷺ عن الطيور فإن الطيور تسعى لرزقها، تخرج صباحًا وترجع مساءًا ... بعد أن حصَّلت أرزاقها:

{ لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا }[١٩]

بعض الجهال يسكن في مكانه ولا يتحرك ويظن أن الله سيرزقه وهو في مكانه، بل ويأتي له بمن يضع له الطعام في فمه، ولم يلتفت إلى الحديث، والحديث قوله صريح .. تغدوا يعني تمشي في الصباح الباكر، وتروح ... يعني ترجع في المساء بنعم الله وخيرات الله التي جنتها والتي حصَّلتها.

وهكذا، فإذا سيطر على الإنسان النفس الحيوانية، كان همه كله في الشهوات الدنية:

فمنهم من همه في شهوة الطعام، ومنهم من همه في شهوة النكاح، ومنهم من همه في شهوة اللعب، وهكذا تتعدد هذه الشهوات.

فإذا غلَّب الإنسان عقله ...

وجعله يأتمر بكتاب ربه وسنَّة نبيه ....

وأطلق لروحه العنان لتملأ القلب بما أتت به من عند الله من لطائف الحكمة، وغرائب المعاني والأحوال العلية ...

وجعل السر يأتي له من عند الحضرة النبوية، بما يُباح له على قدره من حبيب الله ومصطفاه، وقامت الحرب بينهما، واستطاع أن ينصر جند الرحمن على ما فيه من جند الشيطان، هنا يكون يومه في هذا اليوم الذي انتصر فيه يوم بدر.

فإذا دام على ذلك ...

وظل ينتصر في كل الأيام بتوفيق من الملك العلام؛ كان من أهل بدر، وتوَّجَه الله بتاج ولايته، وأحاطه بحفظه وعنايته، وجعله مجملًا بالحفظ الإلهي، وهؤلاء هم الأولياء الربانيون، والعلماء العاملون، نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين.

---

١٩ جامع الترمذي ومسند أحمد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

٦- اسقاط التكاليف الشرعية

السؤال: هل إذا وصل المريد واتصل ونال فضل الله تسقط عنه التكاليف الشرعية؟

هذه دعوى الزنادقة الذين يدَّعون أنهم من أقطاب الصوفية، فإنهم يضحكون على من حولهم، ويتركون الصلاة، ويتركون الصيام، ويتركون العبادات الشرعية التي أمر بها الله، ويقولون لمن حولهم أنهم وصلوا إلى مقام المشاهدة، ومن وصل إلى المشاهدة فلا يحتاج إلى صلاة ولا صيام ولا غيرها، وكذبوا.

ولذلك قال الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

((من قال أني قد وصلتُ وترك الصلاة، فقُل له: نعم قد وصلت، ولكن إلى سقر))

لأن الله قال عن أهل سقر في القرآن: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ ﴾ (المدثر) ... أول بند: ﴿ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (المدثر).

ولو كانت الصلاة تُترك لشدة القرب والوصول من الله، لكان أولى بذلك رسول الله ﷺ، وكان في آخر حياته قام رابطًا رأسه لشدة مرضه، ومستندًا بيد على عمه العباس، وبيده الأخرى على الإمام عليٍّ بن أبي طالب، حتى وصل إلى المسجد ليؤدي الصلاة مع عباد الله المصلين المؤمنين، وكان آخر كلمات نطق بها في الدنيا:

{ الصَّلَاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ }[٢٠]

والله تبارك وتعالى أمرنا أن نحافظ عليها فقال:

﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾ (البقرة).

ومن ذاق لذة القرب من الله في الصلاة، وفُتحت له أبواب المناجاة في الصلاة، وعاين المشاهد الإلهية التي يواجه بها الله الأفراد في الصلاة، لا يترك الصلاة طرفة عين ولا

٢٠ سنن ابن ماجة عن أنس رضي الله عنه

أقل، بل يدخل في قول الله: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (المعارج) ... أي يديموا الصلاة باستمرار.

ولذلك كان الصالحون منهم من يصلي في الليل مائة ركعة، ومنهم كالإمام الجنيد كان يُصلي في الليلة ثلاثمائة ركعة، ومنهم كالإمام السجاد علي زين العابدين كان يُصلي في كل ليلة ألف ركعة ويطيل فيها السجود.

ولما توفى الإمام الجنيد وانتقل إلى الرفيق الأعلى سأله أحد أصحابه في المنام فقال: كيف حالك؟ فقال: ضاعت تلك الإشارات، وتاهت تلك العبارات، ولم يعد إلا ركيعات كنا نركعها في السحر.

هذه الصلاة هي التي تبقى للإنسان، لأن أقرب ما يكون الإنسان من ربه في حالة السجود: ﴿ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ﴿١٩﴾ ﴾ (العلق)، وقال ﷺ:

{ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ }[٢١]

فإذا سجد – يعني فني عن نفسه وعن أهوائه وحظوظه وشهواته – كان قريبًا قرب القرابة من ربه ووُده وحبه ووصله ﷻ، فهؤلاء لا يتركون الصلاة طرفة عين ولا أقل، أنظر إلى الإمام أبو العزائم رضي الله عنه وهو يصف صلاته فيقول:

أقيم صلاتي إن تجردت عن نفسي ... فأفنى بها عني بمشهده القدسي
لديها يواجهني بوجهٍ مقدس ... أكون أنا عرش التنزُل والكرسي
عليَّ يُصلي في صلاتي لأنني ... تشبهتُ بالمختار بالجسم والنفس

فالإنسان الذي يُصلي لله هذه الصلاة، يُصلي عليه مولاه كما قال في كتاب الله:

﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ ﴾ (٤٣الأحزاب).

فكل من وقع في مرض الغرور أو داء الكبر وضحكت عليه نفسه، وترك الصلاة والصيام والأمور المشروعات، فقد ضلَّ وأضلَّ !!!، وزلَّ وأزلَّ !!!!، وكل من تبعه كان معه في هذا الضلال المبين !!!!.

٢١ صحيح مسلم وأبي داود عن أبي هريرة رضي الله عنه

أما إذا صرَّح أحد العارفين الصادقين بأنه رفع عنه التكليف في الصلاة فهذا يعني أنه رُفعت عنه المشقة والتعب في الصلاة، فيؤديها تلذذًا بها، ويشعر فيها بحلاوة المناجاة، ولذة القرب من مولاه، فلذة إجابة النداء تُذهب عنه كل تعب وعناء.

نسأل الله أن نكون جميعًا قدوة للمقربين، وأُسوة للمحبين ..

وأن نحافظ على الصلاة في وقتها كما أمر رب العالمين، وأن لا نغفل عن ذكر الله وطاعة الله في كل وقت وحين، حتى نكون من الذين قال فيهم:

﴿ وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ (الزمر).

٧- العمل الصالح

السؤال: يقول الله: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾ (٧٠الفرقان).

فما العمل الصالح؟

العمل الصالح في اتِّباع الرجل الصالح، كلمة جامعة.

يقول الله: ﴿ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ (٦٣الفرقان) أول شيء في التواضع، ثم: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾ (الفرقان) فهنا المتابعة في الأخلاق المحمدية، بعد ذلك: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ ﴾ (الفرقان).

لكن إنسان عنده داء الكبر، ويُصلي ليل نهار، هل يتقبل الله منه عملا؟

﴿ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ ﴾ (٢٠٦الأعراف)

لا يصح أن الإنسان يتكبر بعبادة الله ﷻ، كما يحدث من المتشددين الذين يدلوا على الناس ويفتخروا على الناس أنهم عُبَّاد، فمن أين تضمن أن كل عباداتك قد قُبلت؟!

لكن أرني تواضعك، وأرني أخلاقك الطيبة التي هي على أخلاق النبوة، فهذه ما

أريدها، والعبادة بينك وبين ربك، ومحلها القلب، وأغلبها بالنسبة للصالحين نوايا:

{ إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ }[٢٢]

النوايا بينه وبين الله لا أحد يراها، فالعبادة الظاهرة ليست المقياس، لكن النوايا هي التي بها المرء يُقاس عند رب الناس ﷻ.

٨- أفلا يتذكرون

السؤال: يقول الله تعالى في ختام كثير من الآيات: (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) فما معناها؟

(أفلا تذكرون) فيها كل شيء:

يعني أفلا يتذكرون يوم ألست بربكم:

وهذه لخاصة الخاصة، الذين يعيشون هنا ويرون يوم ألست عيانًا.

لكن بالنسبة للعوام:

يعني أفلا يتذكرون ما في كتاب الله مما قصَّه الله علينا فيه عن أنبياء الله ورسلهم وأممهم؟

أفلا يتذكرون ماحدث مع نبي الله وصفيِّ الله سيدنا محمد ﷺ من تأييد الله له، ونصره على أعدائه وغيرها؟

أفلا يتذكرون ما حدث للصحابة الأجلاء:

وكانوا أذلاء فأصبحوا أعزة، وكانوا فقراء فأصبحوا أغنياء، وكانوا فقراء فأصبحوا أمراء بحُسن اتباعهم لحبيب الله ومصطفاه؟

أفلا يتذكرون ما يحدث لمن يكذب بآيات الله ويحادد الله ورسوله والصالحين من عباد الله، ماذا يحدث له في الدنيا؟ ناهيك عما يحدث له يوم لقاء الله!.

٢٢ البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

٩- قطر وكأس العالم

السؤال: ما الذي قدمته قطر بتنظيمها مسابقة كأس العالم في كرة القدم إلى الإسلام؟ وكذلك الدول الإسلامية المشاركة في هذه المسابقة؟

في الحقيقة الإجابة على هذا السؤال متشعبة النواحي، فإننا ابتلينا في هذا الزمان بأن الولايات المتحدة الأمريكية تحاول أن تنسخ الفطرة الإنسانية البشرية التي أوجد الله عليها الطبيعة الإنسانية؛ ومن هنا ظهر عندهم الشذوذ الجنسي أو ما يُسمونه بالمثلية، وأيدوه ويحاولون أن يروِّجوه لكل أنحاء العالم، والمثلية أن الرجل يتزوج رجلًا، والمرأة تتزوج امرأة، وهذا مخالف للفطر الإنسانية التي أوجد الله البشر عليها وقال فيها في قرآنه الكريم:

﴿ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ ﴾ (٣٠الروم).

والفطرة أن الرجل مُهيأ ليتزوج بأنثى، والإنثى مهيأة جسمانيًا ونفسيًا وكليًا ليرعاها ويتزوج بها رجل، ولا يوافق العقل الصحيح الذي وهبه لنا الله، والعلم الذي بلغنا فيه المدى في عصرنا، والفطرة السوية الصحيحة على أن يتزوج رجل رجلًا أو امرأة امرأة.

وهم يريدون من وراء هذه القضية القضاء على الأسرة، فلا يُصبح هناك أسرة تجمع بين رجل وامرأة وأولاد لهما، لأن الرجل لا يُنجب من الرجل والمرأة لا تُنجب من المرأة، فيلجأون إلى وسائل خسيسة كأن يأخذوا أولادًا يشترونهم من آبائهم وأمهاتهم لفقرهم ثم يثبتونهم بأسماء رجلين أو امرأتين ويدَّعون أن هذا ولدهما أو هذه ابنتهما، وهذا أيضًا مخالف للفطرة السليمة التي أوجدنا الله ﷻ عليها.

ومن عجب أن أمريكا كانت تحارب هذا الشذوذ إلى وقت قريب، ولكن لأن العقول غابت – وهي سمة العصر – والأهواء والنفوس زادت، وكثُر عدد هؤلاء الشواذ وأصبح لهم أنصار كُثُر، وأصبح لهم تأثير على الإنتخابات الرئيسية والبرلمانية في الأمم الغربية، فاعترفوا بهم ليؤيدونهم في الإنتخابات وليحصلوا على أصواتهم، وشرَّعوا لهم تشريعات تخالف كل الأديان السماوية وليس الإسلام فحسب.

هذه التشريعات تحاربها الإديان كلها سواء الإسلام أو اليهودية أو المسيحية، بل والفطرة التقية النقية التي لا تدين بدين لا ترضى بهذا الشذوذ والهوس.

ثم رأيناهم لكي يزيد تمسك هؤلاء بهم ويعطونهم أصواتهم ينادون بنشر هذا الوباء في كل الأنحاء، فبدأوا بقارة أوروبا وأصبح كثير من الدول الأوروبية مؤيدًا للشذوذ، بل وصل بعض الشواذ إلى مناصب كبرى في الحكومات الأوروبية كرتبة وزير، وبعضهم وصل إلى رتبة رئيس وزراء، وهذا من العجب العجاب لمن يزعمون أنهم أكثر الناس تحضرًا وتقدمًا في هذا الزمان.

ووجدوا أن الفرصة سانحة لأن كأس العالم سيكون في قطر وهي دولة عربية إسلامية، وهم ما دأبوا يحاولون أن ينشروا هذه الرزيلة بين الدول العربية والإسلامية، ولكنهم يُقابَلون بالصدود والهجران، فأرادوا أن ينشروا هذه الرزيلة في قطر بحجة الرياضة بأن يلبسوا ملابس عليها شعار جعلوه لأنفسهم هؤلاء الشواذ، ويلبسون ملابسهم ويتزيوا بزيّهم.

ولكن كان ذلك بحمد الله قاسمة الظهر لهم، فقد كان هذا المؤتمر العام لكأس العالم هو المنبه لجميع العالم والدول الأوروبية وغيرها إلى هذا الوباء، وأنه رزيلة تُغضب الأرض وتُغضب السماء، ولا يرضى عنها الأسوياء ولا العقلاء.

ووجدنا أثر ذلك يحدث في أثناء كأس العالم، فقد اجتمع البرلمان الروسي وهو ما يُسمى (مجلس الدومة) وأصدروا قرارًا بأن من يتزوج من مثيله – رجل من رجل أو امراة بامرأة – فليست لهم أي حقوق في الدولة الروسية، بل ويُسجن كل واحد منهم لمدة ست سنوات حتى يتوب، وأصدروا أيضًا أن من يفعل فعل قوم لوط يُسجن لمدة عامين.

وتبعهم على الأثر برلمان إيطاليا فحرَّم على الشذوذ كل الحقوق المتاحة للمواطن الإيطالي، وغيرهم من دول العالم التي هاجت وماجت، وبدأت تحارب الشذوذ في كل وسائل الإعلام.

فمرحى بعمل كأس العالم في قطر لأنه كان بداية التنبيه العام لجميع الأنام لهذه المعرَّة التي لحقت ببني الإنسان وتزعمتها أمريكا وخلفها دول الغرب، فباؤوا بكفرهم واندحروا مهزومين، وصدق الله ﷻ إذا يقول:

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ ﴾ (٢٨الفتح).

هذا بالإضافة إلى أن دولة قطر استغلت هذا المؤتمر العظيم لنشر الإسلام، فجهزَّت أحسن التجهيزات لاستقبال المقبلين على بلدهم، وكانت التجهيزات أرقى ما وصلت إليه

الحضارة المادية الحديثة حتى اعترف زعماء العالم بأن هذه المرحلة من كأس العالم هي خير مرحلة مرت على مر تاريخ كأس العالم.

لأنهم شيَّدوا استادات ضخمة مجهزة بأحدث التقنيات، وجهزوا لها فنادق ضخمة على أحدث المستويات، وجعلوا لها وسائل مواصلات سهلة تربط بينها من ضمنها المترو والحافلات، وجعلوا الانتقال في هذه المواصلات مجانًا، فما شعر العالم براحة في مثل هذه المناسبات ولن يشعروا بمثل بما شعروا به في قطر.

لأن الفريق الذي يلعب أو الجماهير بينها وبين الفندق دقائق من الملعب وهذا لم يحدث في التاريخ، فإن كأس العالم القادم سيكون بين الولايات المتحدة الأمريكية وكندا والمكسيك، وبين كل مدينة ومدينة بوْنٌ شاسع، والانتقال لن يكون إلا بالطائرات والوقت الطويل، فماذا يفعل كل فريق ليؤدي مبارياته؟!.

وكنا في دورة الكأس الماضي في روسيا، كان فريق مصر مقيم في الشيشان وبينه وبين العاصمة موسكو والبلدان التي تقام فيها المباريات مسافات طويلة لا تقطع إلا بالطائرات.

فهذه الظاهرة في قطر لم تحدث أبدًا، وهي ما أبهرت الحضور والعالم أجمع بسبب هذه التجهيزات التي تثبت للعالم أن الإنسان العربي المسلم قادر على استخدام أحدث التكنولوجيات العصرية، وقادر على تطوير كل شيء ويصلح لكل أمر، وليس كما كانوا يتهمونه بأنه إنسان متخلف، وإنما هو في أعلى درجات المدنية الروحية والقلبية والعقلية والمادية معًا سواسية إن شاء الله.

أما الأمر الثالث فإن كل إنسان دائمًا يكون عنده طاقة سلبية لا بد من إفراغها بطريقة لا تؤذي الآخرين، ومشاهدة المباريات وتشجيع القوميات فيها بطريقة سليمة يستفرغ هذه الشحنات السلبية، ويجعل الإنسان في راحة نفسية وبدنية، وهذا أمر محمود ما دام الإنسان لم يتجاوز في عصبيته الحدود، ولذلك قال ﷺ:

{ لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصَبِيَّةٍ }[٢٣]

لذلك استخدمت قطر عددًا من دعاة المسلمين العالميين الذين يتكلمون باللغات الحية جميعها، وأقاموا محاضرات وندوات لجميع الجنسيات فتعرَّف الناس على الإسلام.

---

٢٣ سنن أبي داود والبيهقي عن جبير بن مطعم رضي الله عنه

ورأيت بأُم عيني عن طريق الفيس بوك عددًا كبيرًا من الجماهير غير الإسلامية يدخلون إلى المساجد لحظة الأذان ليشاهدوا المؤذن وهو يؤذن، وكانت تعجبهم هذه الظاهرة وتسكن جوارحهم وأجسامهم، ويلتقطون الصور، وهذا تعريف لهم بدين الإسلام.

ناهيك عن الورقيات التي كانوا يوزعونها، وعن الأخلاق الحميدة التي كانوا يتعاملون بها مع الجميع، حتى شهد لهم القاصي والداني أنه لا يوجد أخلاق مثل أخلاق المسلمين، وهذا هو أول باب لنشر الإسلام كان عليه المسلمون السابقون ويكون عليه اللاحقون إن شاء الله.

أما ما قدمته بعض الدول الإسلامية المشاركة، وآخذ منها مثالًا واحدًا، فقد اندهش العالم أجمع من رؤية إخواننا المغاربة الذي يلعبون لإحضار أمهاتهم معهم، وأنهم كانوا يحتضونهم ويقبلون أيديهم بعد كل فوز، ويقولون كما قالت كل الصُحف العالمية: إنما ننتصر بدعاء الوالدين، فلم ير العالم مثل هذه الظاهرة قط.

وهذا يذكرني ببحث قرأته في مجلة منار الإسلام التي تصدر في الإمارات، فقد ذكرت أن المسجد الكبير في فرنسا في باريس كان يقيم احتفالًا وجاءت امرأة فرنسية ومعها ولدها صغير، وقالت لهم: أريد أن تأخذوا ولدي هذا وتعلموه الإسلام، فسألوها: هل أنت مسلمة؟ قالت: لا، قالوا: ولِمَ تريدين أن تعلميه الإسلام؟ قالت لهم: أريد أن يحترمني ويوقرني إذا كبرت في السن كما يفعل المغاربة مع أمهاتهم، ولا يفعل معي كما يفعل الفرنسيون بأمهاتهم.

هذا الاحتفال كان على قدر بعض الفرنسيين الذين شاهدوه، لكن المشهد في كأس العالم كان عامًا شهده العالم أجمع، وهي ظاهرة تكاد أن تكون قد اندثرت بين كل الأمم غير المسلمة، ولم تبق إلا بين المسلمين وهي توقير الوالدين واحترامهما والقيام لهما بأعلى الواجبات.

ناهيك أن تعلم أن جنود المغرب المحاربين المقاتلين معظمهم متزوج من أجنبيات، ولكنه كان يشترط عليها أن أمه لا تفارقه، وكانت ترضى بذلك، وكان يحتفل أولًا مع أمه ولا يذهب إلى زوجته، لأنهم يقدسون الأمهات من باب البر الذي أمرهم به الله ﷻ.

ناهيك عن أن هذه الدورة وحَّدت صفوف المسلمين والعرب أجمعين، وجعلتنا نشعر أن العرب مهما فعل الأعداء ليفرقونهم فإنهم عند أي نداء يجتمعون ويكونون أمَّة واحدة وعلى قلب رجل واحد ويتمنون الخير لجميع المسلمين.

١٠- المزمل والمدثر

السؤال: ما الفرق بين المزمل والمدثر في سورتي المزمل والمدثر؟

لا يوجد فرق في المعنى بين المزمل والمدثر، فالمزمل يعني المتدثر بثيابه أو بأغطيته، والمدثر نفس المعنى، لكن الله ﷻ في آية المزمل كلَّف الحبيب ﷺ بأمر خاص في نفسه ليزيد قربًا من ربه فقال له: ﴿ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ ﴾ (المزمل) فليس الأمر هنا أمر عام للكل، فإن لم تقم الليل كله فقم منه: ﴿ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ ﴾ (المزمل) وخيره هنا: ﴿ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ ﴾ (المزمل).

فأمره بقيام ما تيسَّر من الليل، إما ثلثه، أو نصفه، أو ثلثيه، لكن لا بد أن يجعل الإنسان لنفسه وقتًا من الليل ينام ويستريح فيه، لأن أعضاء الجسم لا بد أن نجعل لها وقت من الليل للاستراحة، لأن الله ﷻ جعل لجسم الانسان قوة داخلية نسميها فِرقُ الصيانة، لا تعمل إلا حين ينام الإنسان بالليل، ووظيفتها أن تقوم بعمل صيانة تامة لكل أعضاء جسم الإنسان، فمنها من يعمل صيانة للعين، ومنها من يعمل صيانة للأنف، ومنها من يعمل صيانة لكرات الدم البيضاء وكرات الدم الحمراء، ومنها من يعمل صيانة للكبد، وهكذا لكل أعضاء جسم الانسان.

لذلك الإنسان إذا لم ينم بالليل فلن تكون هناك صيانة، والصيانة لن تعمل معه، والكارثة التي أصابت بناتنا وسيداتنا وأولادنا في هذه الأيام أنهم يظلوا طوال الليل مستيقظين وجعلوا النوم كله بالنهار، وهذا مخالف لفطرة الله التي فطر الناس عليها والتي ذكرها في كتابه العزيز حين قال عزَّ من قائل: ﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ۝١٠ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا ۝١١ ﴾ (النبأ) فهم عكسوا هذه الآية وجعلوا النوم في النهار.

ولو نام الإنسان طوال النهار لا يساوي ربع ساعة ينامها بالليل، ففرق الصيانة الموجودة بجسم الإنسان عملها يكون بالليل، وهذا شيءٌ لا بد منه لجسم الإنسان.

ولذلك نجد أن أولادنا حاليًا في ريعان الشباب ويشكون من الأمراض، وعلى سبيل المثال: كان الزهايمر لا يصيب إلا من تعدَّى التسعين من العمر، لكن الزهايمر الآن موجود مع الشباب الصغار، لماذا؟ لأنه لم يُعطِ فرصة لفرق الصيانة التي تصون الجسم للقيام بعملها لأنه لا ينام بالليل.

هنا أود أن أُورِد لطيفة خفيفة وملحوظة هامة لنا جميعًا، فالإنسان حين ينام تنام معه كافة حواسه وأعضاؤه ما عدا القلب والنَفَس، أما السمع يظل جاهزًا ومستعدًا لتلقي أي خبر أو أي نبأ أو أي نداء، ولذلك دائمًا الله يقدم السمع في القرآن على البصر، ولذلك استحسن الصالحون وأهل العلم القدامى أن الإنسان عندما يوقظ شخصًا آخر عليه ألا يوقظه فجأة، لأنك لو أيقظته فجأة ربما لا تستطيع الروح الرجوع بسرعة فيتوفاه الله، فماذا نفعل؟ قالوا: تقف على الباب وتقول بصوتٍ عالٍ: (لا إله إلا الله) وتكررها عدة مرات، ثم تقول: يا فلان قم، حتى لو حدث وروحه لم تستطع الرجوع، فيموت على التوحيد.

في الآية الأولى من سورة المزمل كان لا يزال سيدنا رسول الله ﷺ في دورة تأهيل، ولذلك أراد الله منه زيادة في وقت التأهيل والأعمال التي يجب أن نقوم بها في هذا الوقت قبل أن يقوم بتبليغ الرسالة، فأمره بقيام الليل، وماذا يفعل في الليل؟ يصلي وفي هذه الصلاة يقرأ القرآن ويطيل فيه، ولذلك كان ﷺ يطيل في قراءة القرآن في الصلاة في الليل.

سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول:

{ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَطَالَ حَتَّى هَمَمْتُ بِأَمْرِ سَوْءٍ، قَالَ: قِيلَ: وَمَا هَمَمْتَ بِهِ؟ قَالَ: هَمَمْتُ أَنْ أَجْلِسَ وَأَدَعَهُ }[٢٤]، وعَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ:

{ صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ فَجَعَلَ يَقُولُ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ، فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ

٢٤ البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

حَمِدَهُ، ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ فَقَالَ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى، فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ }[٢٥]

فكان سيدنا رسول الله ﷺ يطيل في القراءة في صلاة الليل، لماذا؟ ليحسن تنفيذ ما أمره به الله ﷻ: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ ﴾ (المزمل) تلاوة ليس فيها سرعة، ولكن تلاوة الترتيل يعني قراءة بتأنٍّ مع إعطاء الحروف مخارجها الصحيحة مع الترنم بتلاوة كتاب الله، وقد تحدث بعض الصالحين عن حال هذا النوع من التلاوة فقالوا: الحالات الخاصة فيها الترتيل يكون العيان مع البيان، يعني يكشف الله له من أنوار القرآن فيرى بعين قلبه ما يراه من أنوار كتاب الله، كما قال الله في قرآنه: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ (١٧هود) فهل يستوي الذي يتلو وهو مُشاهِد مع الذي يقرأ ولا ينتبه لشيء ولا يُشَاهد شيء؟ لا.

فهذه كانت الآيات الأولى من سورة المزمل، وعلم الله ﷻ أن رسول الله ﷺ سيكون له خلفاء من العلماء، يبلغون عن الله رسالاته فأدخلهم معه: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ﴾ (٢٠المزمل) فلا بد أن يستعدوا لذلك بتجهيز أنفسهم على النحو الذي جهَّز الله به رسوله

يريدون أن يكونوا معك فلا بد أن يكون لهم نصيب من قيام الليل، لتجهيز القلب للإلهامات الربانية والعطاءات الإلهية والمكاشفات التي يستعينون بها على تعليم الناس مبادئ هذا الدين القويم.

لكن سورة المدثر كان قد تجهز وأتاه الأمر الإلهي بإبلاغ الرسالة، وقد تجهز ظاهرًا وباطنًا وكَمُل التجهز: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ ﴾ (المدثر) ليس قم الليل، ولكن القيام هنا للإنذار.

ففي الآيات الأولى من سورة المزمل زيادة التجهُّز وزيادة التأهيل وزيادة الاستعداد لنزول الحقائق الإلهية والعلوم الوهبية والأسرار الربانية، التي سيقوم بها في نشر رسالته في الأكوان، ولما اكتمل التأهيل كانت الآيات الأولى من سورة المدثر:

٢٥ صحيح مسلم ومسند أحمد عن حذيفة رضي الله عنه

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ۝٧ ﴾ (المدثر).

يعني هناك فارق بين (قُمِّ) في سورة المزمل و(قُمْ) في سورة المدثر.

١١- ترك الوصية

السؤال: كيف التصرف فيمن مات وله رصيد في البنك ولم يخبر به أحد؟

طالما أخذ الإنسان شيئًا من أي جهة عامة أو خاصة ماديًا أو معنويًا فيكون مُطالبًا بالسداد لأن هذا ليس حقه، ولا بدَ لأولاده أن يسددوا الدَيْن.

هناك قوانين تنظيمية يضعها البنك، وليس لها علاقة بالقوانين الإلهية، والبنوك سنت هذه القوانين لتحقق أرباحًا، لأنهم لن يبحثوا عن التركة ولن يبحثوا عن الورثة، والموظفين بالبنوك غير مهتمين بهذا العمل في البنك، فقالوا: من يموت فالمكاسب كثيرة وحصاد الأموال كثير، فندعه وشأنه.

لكن المال الذي أخذته هل حقي أم حق البنك؟

إذا كان حق البنك فلا بد أن أردَّ الحقوق إلى أهلها، وحتى أستطيع أن أتحقق من ذلك فيجب على كل مؤمن أن ينفذ قول النبي ﷺ:

{ مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ؛ إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ }[٢٦]

يعني لا ينام أحد أي ليلة إلا ويكتب وصيته في مفكرة أو في أجندة أو في نوتة، ويضعها في مكان معروف ويُعرِّف بها أهل بيته زوجته وأولاده، فيعرفون ما له ويعرفون ما عليه.

أناس كثيرون الآن يضعون أموالًا في البنوك دون معرفة أهلهم وذويهم، حتى أنهم

٢٦ البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما

يطلبون من البنوك ألا يعرف حساباتهم أحد، ولا يوقعون على استمارة تفيد بمن يستفيد من هذه الأموال في حالة موتهم، حتى النساء يفعلن ذلك خفية، فبعض السيدات أيضًا يقلن لبعضهن البعض لا تأمنين للرجال فلا بد أن يكون لك مال خاص بك، فتودعه بالبنك ولا أحد يعرفه، فإذا مات من الذي يأخذ هذا المال؟ البنك، فلا هو انتفع به، ولا أولاده انتفعوا به، ولا حتى سينتفع به في الدار الآخرة، لأنه لم يتبرع به لأي جهة من جهات الخير.

فلا بد أن يكون عندي وصية فيها ما لي وما عليَّ، ولا بد أن يكون مع الوصية مستند يثبت صحة ذلك، هذا التهاون الذي يفعله الناس ينافي شرع الله، فنحن إخوة من أم وأب، لكن قال لنا الله: ﴿ وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ﴾ (٢٨٢البقرة) فلو خضعنا كلنا لشرع الله فلن يحدث بيننا مشاكل أبدًا.

فإن كان لي عند فلان كذا ومعي المستندات أضعها مع الوصية، وإذا كان عليَّ لأحد أيضًا يكون معه مستند أخذه عليَّ، بحيث أن الإنسان عندما يقابل الحنان المنان ﷻ يقول الأولاد: من كان له حاجة عند والدنا فليقُل، فكل الذين معهم مستند سيقولون لنا.

وهذه الوصية لا بد للإنسان ألا ينام ليلة إلا وهي موجودة، وزوجته تعلم بذلك وأولاده يعلمون ما له وما عليه، لأنه قدورد في بعض الأثر: (من نام على غيروصية فمات لم يؤذن له بالنظروالكلام مع الله ﷻ يوم القيامة) لأنه خالف السُنَّة النبوية التي نزل بها خير البرية ﷺ.

السلف الصالح كان الواحد منهم يوصي من الذي يُغسله ومن الذي يُصلي عليه، وهي سُنَّة عن أصحاب رسول الله ﷺ:

سيدنا عمر قال: يُصلي عليَّ صُهيب الرومي، وفعلًا نفذوا الوصية، وكان كل رجل من الصحابة يطلب ويحدد من يغسله ويصلي عليه.

الإمام الشافعي رضي الله عنه وأرضاه عند موته قال: تصلي عليَّ السيدة نفيسة وتأخذوني إلى بيتها وهي تُصلي عليَّ، لأنه كان يصلي بها في بيتها صلاة التراويح في شهر رمضان كل عام.

ويُحكى عن الإمام الشافعي: أنه كان إذا تلا القرآن في الصلاة لم يستطع أحدٌ من المصلين خلفه أن يمنع عينه من البكاء من خشوعه وحلاوة صوته رضي الله ﷻ عنه

وكذلك أوصى أن يغسله رجل كان تاجرًا، فذهبوا للرجل وقالوا له: إن الإمام الشافعي أوصى أن تغسله، فقال لهم: أين جريدته؟ والجريدة هي الورقة التي كان يسجل فيها الديون التي عليه، لأنه كان قد أسس في بيته ومسجده مدرسة خاصة للطلاب، وكان يتحمل بكل التكاليف من الإقامة والطعام والشراب والكتب والأقلام والمحابر، وغير ذلك، فكان عندما تعجز نفقاته يستدين لينفق على طلاب العلم، ويسجل هذه الديون، فلما أتوا بالجريدة للرجل التاجر قال: عليَّ دينه، وهذا تغسيله الذي يقصده مني وليس تغسيله بالمياه.

فكانوا حريصون لقول رسول الله ﷺ:

{ نَفْسُ الْمُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدَيْنِهِ حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ }[٢٧]

من مات وعليه دين وأولاده لا يعرفون فلن يسدد عنه أحد، فيظل محبوس في قبره بدَينه حتى يؤدَّى عنه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه:

{ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُؤْتَى بِالرَّجُلِ الْمُتَوَفَّى عَلَيْهِ الدَّيْنُ فَيَسْأَلُ: هَلْ تَرَكَ لِدَيْنِهِ فَضْلًا؟ فَإِنْ حُدِّثَ أَنَّهُ تَرَكَ لِدَيْنِهِ وَفَاءً صَلَّى، وَإِلَّا قَالَ لِلْمُسْلِمِينَ: صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ، فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْفُتُوحَ قَالَ: أَنَا أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ فَمَنْ تُوُفِّيَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ فَتَرَكَ دَيْنًا؛ فَعَلَيَّ قَضَاؤُهُ، وَمَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِوَرَثَتِهِ }[٢٨]

ولذلك أَحرص ما يحرص عليه المسلم:

أن لا يكون عليه دينٌ ولو درهم لأحد من خلق الله.

ولذلك شيخنا الشيخ محمد علي سلامة رضي الله عنه وأرضاه – وهو أستاذنا المربي – كان دائمًا ينبه علينا ويكرر التنبيه، ألا نشتري شيئًا إلا إذا كان معنا المال !!

ولا نشتري شيئًا بالقسط، لماذا؟ .. !!

---

٢٧ سنن الترمذي ومسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه

٢٨ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

لأني لو مت ولم أسدد الأقساط، قد يقول الأولاد ليس لنا شأن بهذا الدَيْن، وخاصة في هذا الزمن الذي نحن فيه، فكثير من الأبناء قد لا يبكي على أبيه ولا على أمه، ويريد مصلحته فقط.

إذا كان ليس معك مال كاف للشراء فاصبر إلى أن يتوفر معك المال وتشتري ما تحتاجه، يعني ليس عندك تلفزيون أوثلاجة مثلًا فاصبر حتى تدخر ثمن التلفزيون وتشتريه نقدًا ولا تُدين نفسك لأحد، لكن القسط لا.

مع أن البيع بالقسط حلال، لماذا؟ .. لأني آخذ من التاجر بضاعته وأوقف هذا المال عن التجارة، وهذا المال يجب أن أستفيد به وأتداوله بالتجارة حتى يحقق أرباحًا، فمثلًا اشتريت منه ثلاجة بأربعة آلاف جنيهًا فقد عطلت الاستثمار بالأربعة آلاف جنيهًا إلى أن أُسدد الأقساط، ولذلك أباح العلماء البيع بالقسط وقالوا: إنه حلال.

ولكن هذا لا يكون إلا في الضرورة القصوى ..

والضرورة تُقدر بقدرها.

والضرورة لا يحكم الفرد على نفسه بها، ... بل يعرض أمره على العلماء العاملين فيفتونه بشأنها.

لماذا منعنا فضيلة الشيخ محمد علي سلامة رضي الله عنه من الشراء بالقسط؟

حتى يظل الإنسان في حياته في ستر الله وغطاء الله تبارك وتعالى، لا يخطو خطوة إن كان في شراء شقة أو شراء فيلا أو شراء سيارة أو غيره إلا إذا كان معه المال الذي يسد به هذا الباب، حتى يكون مستريح البال.

فالمؤمن دائمًا حريص على أنه كل ليلة قبل أن ينام يكون مستريح البال ليس عليه شيء لأحد، فإذا نمت ولم أؤذي أحدًا، ولم أُسيئ إلى أحد، فأكون جاهزًا للقاء الله.

فلا بد للإنسان أن يوطن نفسه على عدم اللجوء إلى الدَيْن إلا في الضرورات التي يقال فيها: الضرورات تبيح المحظورات.

١٢- الإنابة في الصلاة

السؤال: قرأت فتوى تقول بجواز أن يقضي الانسان ما فات الميت من صلاة، فيصلي الابن أو الابنة أو أي شخص نيابة عن أبيه أو أمه كما في أمر الصيام والحج والزكاة، وكذلك يجوز أن ينيب من لم يستطع الصلاة من يصلي عنه الصلوات المفروضة، فهل هذه الفتوى صحيحة؟

كان يوجد لدينا علم في الأزمنة والعصور البعيدة ولا تزال آثاره موجودة بيننا إلى الآن، هذا العلم يسمى (علم المصاطب) ومعذرة في استخدام هذا المصطلح، ولمن لم يعرف معنى المصاطب فهي جمع لكلمة عامة تسمى مصطبة وهو بناء يشبه الرصيف كان يُبنى أمام بيوتنا في الماضي وكانوا يجلسون عليه في أوقات فراغهم للمسامرة، بل ووصل الأمر بالناس في ذلك الزمان أنهم كانوا يجلسون على هذه المصاطب ويفتون في الدين، ويدَّعون أن هذا الكلام في الدين سليم وصحيح، وهذا الكلام وهذه الأنواع من الفتوى في الدين كان يصدقه كثير من الناس وخاصة كبار السن، فلا يوجد شيء أبدًا في الإسلام يسمى كفارة الصلاة.

فالإنابة تجوز في أداء فريضة الحج لمن حج عن نفسه أولًا، فله أن يحج عن غيره، والإنابة تجوز في أداء فريضة الصيام وإن كان الأئمة فضلوا الفدية، لأن الميت محبوس بما عليه من صيام فإذا أردنا أن نفك حبسه سريعًا، فعلينا أن نخرج الفدية عن الأيام التي فاتته من صيام شهر رمضان مرة واحدة، عندها نكون قد انتهينا منه وفُكَّ حبسه في الحال، أما إذا صمنا عنه كما قال الحديث:

{ مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ، صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ }[٢٩]

فيظل محبوسًا حتى ننهي عنه الأيام التي قد أفطر فيها ويفك رقبته، وإذا كان عليه زكاة لا بد أن نخرجها عنه.

---

٢٩ البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها

لكن عليه أيام لم يصلي فيها، فهل يجوز أن يصلي أحد نيابة عن أحد؟ لا، ولو كان الأمر يجوز لقام كل واحد من الأثرياء الكبار باستئجار عشرة أشخاص يصلون عنه كل يوم، ويدفع لهم الأموال التي يطلبونها مقابل ذلك، أو يصلون عن فلان أو فلان، لكن الصلاة هي الفريضة الوحيدة التي لا يجوز فيها الإنابة.

كان في الماضي منذ زمن ليس ببعيد رأينا جماعة من الناس يحفظون بعض سور القرآن الكريم وكانوا يسمون أنفسهم (فقهاء)، وهم ليسوا فقهاء ولا غيره، فكانوا يخرجون للقبور ويقرأون القرآن على الأموات ويأخذون من أهل الأموات أجرًا على هذه القراءة، فرجل من أهل بلدتنا ذات مرة ذهب إليهم وقال لهم: تعالوا اقرأوا لأمي حتى تدخل الجنة، فقالوا له: هل تريد الجنة الكبيرة أم الجنة الصغيرة؟! فقال لهم: ما ثمن الكبيرة؟! وما ثمن الصغيرة؟!.

فهذه أمور من العجائب والغرائب التي كانت تحدث على المصاطب، لكن لا يوجد أثر في الدين يسمح للمسلم أن يؤدي الصلاة عن غيره التي تركها.

يجوز أن أُصلي نافلة وأهب ثوابها لأبي أو أمي أو لغيري من المسلمين، لأنني عندما أحج عنهما أصلي أيضًا ركعتين سُنَّة الطواف عنهما، وكذلك ركعتي سُنَّة الإحرام، لكن لا يجوز لأحد من المسلمين أن يؤدي فريضة الصلاة عن أي من المسلمين: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ (المدثر)، كل ما أملكه عن المتوفي وعليه فرائض أن نكثر من التصدق عنه عسى الله ﷻ أن يتجاوز عنه، لأن الله يعفو لمن يشاء ويغفر لمن يشاء.

قال ﷺ: { إِنَّ صَدَقَةَ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ تَعَالَى، وَإِنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ}[٣٠]

فنحن نقدم هذه الصدقات من باب التقرب إلى الله بها عن فلان، عسى أن يغفر الله له، لأن هذا أمر لله ﷻ.

فالصلاة لا يجوز لأحد أن يؤدي الصلاة عن فرد توفى وعليه صلوات لله، لا يجوز للابن عن أبيه ولا للأب عن ابنه، ولا للأخ عن أخيه، ولا للزوج عن زوجته، ولا للزوجة عن زوجها، فكل واحد مسؤول عن نفسه شخصيًا في الصلاة.

٣٠ مسند زيد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه

أنا مسؤول عن ابني حتى يبلغ، وبعد ذلك يصبح مسؤولًا عن نفسه، وأُحاسَب لو قصرت معه في فترة ما قبل البلوغ ولم أُعوده على الصلاة لأن الصلاة عادة، فكوني أُشرف عليه يجب أن أحثه على الصلاة، فأقول له: هيا بنا نصلي الصبح، هيا بنا نصلي الظهر، هيا بنا نصلي الجمعة، وأظل معه هكذا على الدوام حتى يعتاد على الصلاة، وهو بعد ذلك لن يستطيع ترك الصلاة.

فإذا تركته على هواه حتى يصل لسن البلوغ والرشد وأخذتني الشفقة والرحمة الكاذبة به وتركته دون أن أعوده على الصلاة، ثم أقول له: صل، فسيتركني ويعرض عني، وأنا الذي سأُحاسب وليس هو، وهذه رحمة كاذبة، لأنني لو شفوق وعطوف عليه فالأولى أن أنقذه من جهنم: ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾ (٦التحريم).

لكن لا يجوز أن يصلي عني أو أُصلي عنه الفرائض، لكن يجوز بالنسبة للنوافل.

١٣- الدعاء والتفويض

السؤال: هل الأفضل أن أدعو الله بحاجتي؟

أم أقول مثل ما قال سيدنا إبراهيم حين ألقي في النار: (علمه بحالي يُغني عن سؤالي)؟

هذه حالة وهذه حالة، حالة سيدنا إبراهيم ليست الحالة الأكملية لأنه كان لا يزال في بداية النبوة، لكن الحالة الأكمل:

{ اللَّهُمَّ إليكَ أشْكو ضَعفَ قُوَّتي، وقِلةَ حيلَتي، وهَواني على الناسِ يا أرحَمَ الراحِمينَ، أنتَ أرحَمُ الراحِمينَ وأنتَ ربُّ المُستَضعَفينَ، إلى مَن تَكِلُني؟ إلى عَدُوٍّ يَتَجَهَّمُني يَلْقاني بالغِلْظةِ والوَجهِ الكَريهِ، أمْ إلى صَديقٍ قَريبٍ مَلَّكْتَه أمْري؟ إنْ لم يكُنْ بكَ غَضَبٌ عليَّ فلا أُبالي، غيرَ أنَّ عافيتَكَ أوسَعُ لي، أعوذُ بنورِ وَجْهِكَ الذي أضاءَتْ له السمَواتُ وأشرَقَتْ له الظلُماتُ وصلَحَ عليه أمرُ الدُّنيا والآخِرةِ أنْ يَنزِلَ بي غضَبُكَ، أو يَحِلَّ بي سَخَطُكَ،

ولكَ العُتْبى حتى تَرْضى، ولا حَولَ ولا قُوةَ إلَّا بكَ }[31]

فالأكمل أن أسأل الله، والله هو من طلب منا الدعاء فقال: ﴿ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ ﴾ (٦٠غافر) فعندما يقول: (ادعوني) هل أقول: علمه بحالي يغني عن سؤالي؟!، وهو يريد أن يسمع الدعاء، .... ولذلك قال ﷺ:

{ إِنَّ الْعَبْدَ يَدْعُو اللَّهَ ﷻ وَهُوَ يُحِبُّهُ، فَيَقُولُ اللهُ ﷻ: يَا جِبْرِيلُ اقْضِ لِعَبْدِي هَذَا حَاجَتَهُ، وأَخِّرْهَا، فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَ صَوْتَهُ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَدْعُو اللَّهَ ﷻ وهُوَ يُبْغِضُهُ، فَيَقُولُ: اقْضِ لِعَبْدِي هَذَا حَاجَتَهُ بِإِخْلاصِهِ، وعَجِّلْهَا، فَإِنِّي أُبْغِضُ أَنْ أَسْمَعَ صَوْتَهُ }[32]

ومثل هذا يحدث معنا، فعندما يأتيني البيت إنسان لا أحبه، أقول لهم: انظروا ماذا يريد واصرفوه ولا تدخلوه لأني لا أريد أن أجلس معه ولا أراه.

وشخص آخر أنا أحبه أقول لهم: أدخلوه، فيقول لي: أنا لا أريد أن أطيل عليك، فأقول له: أنا أريد أن أجلس معك بعض الوقت، لماذا؟ إنها المحبة.

فهو ﷻ طلب منا أن ندعوه لتمام الإحساس بالعبودية، وكمال العبودية أن أشعر دائمًا أني محتاج إلى رب البرية فأسأله، لكن كوني أقول: علمه بحالي يغني عن سؤالي، فهذه رسالة خاصة تقيم الحجة على الملائكة، لأنهم يظنون أنهم لا يوجد أحد في الوجود كله يعبد الله كعبادتهم، فالملائكة في السماء عندما أُلقي إبراهيم في النار قالت كما ورد ببعض الأثر: عبدك ونبيك إبراهيم، فقال الله تعالى: هل استغاث بكم؟ قالوا: لا، قال: إن استغاث بكم فأغيثوه، فنزل أمين الوحي جبريل عليه السلام، فسأله: ألك حاجة؟ قال لا، قال جبريل: أمن الله؟ قال إبراهيم: علمه بحالي يغني عن سؤالي ... يعني لا أريد واسطة بيني وبين الله، فقلبي به على الدوام عامر، ولا أحتاج لواسطة في الطريق تبلغ الله عني ما أريد لأنه يراني، وأنا بعين قلبي أتمتع برؤياه ﷻ، فقال له جبريل:

خذ هذه السترة والبسها، وأتى له بسترة من الجنة واقية لا تؤثر فيها النار إلا في حالة واحدة فقط، عندما تتسخ ويريدون أن ينظفوها يضعوها في النار فتخرج الأوساخ التي فيها وتصبح نظيفة.

---

٣١ معجم الطبراني وتاريخ دمشق لابن عساكر

٣٢ معجم الطبراني عن جابر رضي الله عنه، والترغيب في الدعاء للمقدسي عن أنس رضي الله عنه

هذه السترة هي قميص سيدنا يوسف المذكور في سورة يوسف، لأنه نزل من الجنة لسيدنا إبراهيم، وسيدنا إبراهيم أعطاه لابنت سيدنا إسحاق وهي أخت سيدنا يعقوب، وهذه السيدة لم تكن متزوجة وبالتالي لم يكن لها أولاد، فقالت ليعقوب: أنا أريد يوسف أربيه عندي ويؤنسني، فذهب معها يوسف، وبعد أن كبر بعض الشيء فقال لها: أريد أن أذهب لأبي – يريد أن يتعلم علوم النبوة – فصنعت له حيلة لكي تبقيه معها، فألبسته هذا القميص، ولما ذهب إلى بيت أبيه يعقوب قالت: إن يوسف سرق مني القميص، وكان الحكم عندهم من يسرق يُحكم عليه أن يكون عبدًا للذي سرق منه، حتى تأخذ يوسف ولا تتركه أبدًا.

وهذا قميص يوسف الذي قال فيه سيدنا يعقوب: ﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾ (٩٤يوسف) وسيدنا يوسف قال: ﴿ ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا ﴾ (٩٣يوسف) ... فهذه كلها أحوال أجراها الواحد المتعال على أنبياء الله وأصفياء الله حُجة على ملائكة الله، لماذا؟ لأنهم من البداية عندما أراد الله أن يتخذ خليفة قال لهم: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ (٣٠البقرة) لا يوجد من هو أحسن منا أو أكثر منا عبادة لك، فقال لهم: ﴿ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٣٠ ﴾ (البقرة).

فمن حين لآخر يواجه الله ﷻ الملائكة الذين كانوا معترضون على أن يكون آدم خليفة عنه بموقف جلل لأحد أبناء أدم الخلفاء عنه يقيم الله به الحجة على الملائكة الكرام.

لكن الأكمل أن يقوم العبد دائمًا يناجي مولاه ويضرع إلى الله ويقنت بين يدي الله، ويكلم الله ﷻ بذلة وانكسار، وهذا ما يريده الله: ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ١٩ ﴾ (الجن) فهذا دليل أفضل، ولذلك سيدنا إبراهيم لما ارتقى في المقام دعا ربه فقال: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ٨٣ وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْءَاخِرِينَ ٨٤ وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ٨٥ وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ٨٦ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ٨٧ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ٨٩ ﴾ (الشعراء)، ألم يدعو هنا؟ لقد دعا !

ومرة ثانية: ﴿ وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ٣٥ ﴾ (إبراهيم) ومرة ثالثة: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ٣٧ ﴾ (٣٧إبراهيم).

كل الثمرات الموجودة على وجه الأرض موجودة هناك، بسبب دعوة سيدنا إبراهيم، وعندما قال: ﴿ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ (الشعراء) أجاب الله دعاءه، والحبيب عندما أُمرنا بالصلاة عليه قال:

{ قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ }[٣٣]

أدخل معه سيدنا إبراهيم، فهذه هي لسان الصدق.

١٤- التابوت

السؤال: ما الذي كان يوجد في التابوت الذي ذكره الله في كتابه العزيز في قوله:

﴿ وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَبَقِيَّةٞ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ ﴾ (البقرة) وما سر هذ التابوت؟

هذا التابوت كانوا إذا وضعوه أمامهم ينتصروا على أعدائهم، وماذا كان فيه؟

كان فيه بقية من آثار سيدنا موسى، كان فيه عصا سيدنا موسى، والنعل الذي قال له الله فيه:

﴿ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾ ﴾ (طه)

لما قست قلوبهم وابتعدوا عن الله وتركوا منهج الله وسنة أنبياؤه فيهم رُفع هذا التابوت، إلى أن أراد الله لهم النصر وأرسل إليهم طالوت ملكًا.

وهذا التابوت كان عند العمالقة سكان فلسطين في ذلك الزمان، وكانوا قومًا غلاظًا

٣٣ البخاري ومسلم عن كعب بن عجرة رضي الله عنه

وطوال الأجسام، وفيهم قوة لا تقاوم، كانوا هم الذين أخذوا التابوت عندهم، ولما أخذ العماليق الصندوق عندهم أخذت البلاءات تتوالى عليهم من غير حساب، وكلما ظنوا أن البلاء يرتفع يجدوه يزيد، فقالوا: يبدو أن هذا التابوت كان نقمة علينا، فوضعوه على عربة وأتوا بثورين اثنين يجرا العربة وساقوهما نحو قوم موسى، فذهبوا بالتابوت، فلما رأوا التابوت فقالوا: الحمد لله سيكون معنا نصر الله ﷻ، وفعلًا كان نصر الله تعالى بعد ذلك معهم.

وهذا يبين لك أن الأشياء التي فيها آثار الأنبياء ماذا تصنع بالأعداء؟!

والصانع هو الله ﷻ، لكن جعل الله ﷻ لكل شيء سببا!!

وهذا أيضًا حدث مع أصحاب رسول الله ﷺ:

فسيدنا خالد بن الوليد سماه النبي ﷺ سيف الله المسلول، ففي معركة مع الروم اسمها معركة اليرموك بالقرب من دمشق فقد القلنسوة يعني العمامة، فأخذ يحارب كالمجنون ليجدها، فقالوا له: لِمَ تلقي بنفسك في التهُلكة؟ قال:

{ اعْتَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَحَلَقَ رَأْسَهُ، وَ ابْتَدَرَ النَّاسُ جَوَانِبَ شَعْرِهِ، فَسَبَقْتُهُمْ إِلَى نَاصِيَتِهِ فَجَعَلْتُهَا فِي هَذِهِ الْقَلَنْسُوَةِ، فَلَمْ أَشْهَدْ قِتَالًا وَهِيَ مَعِي إِلَّا رُزِقْتُ النَّصْرَ}[٣٤]

وسيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه :

أخذ شعرة واحدة، وظل محتفظًا بهذه الشعرة، وأوصاهم عند موته وقال لهم:

ضعوها على عيني بعد أن تغسلوني وتكفنوني.

فآثار الأنبياء كما قال الله:

﴿ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ ﴾ (٩٦طه)

فأي قبضة من أثر الرسول يكون فيها أسرار نورانية وأحوال علية لا يتفهمُها ولا يعيها إلا الأرواح التقية النقية.

---

٣٤ الحاكم في المستدرك وسير أعلام النبلاء

١٥- تكرار آلاء الله في سورة الرحمن

السؤال: ما سر تكرار قول الله سبحانه في سورة الرحمن:

(فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)؟

ليس هناك تكرار لمجرد التكرار لقوله سبحانه في سورة الرحمن:

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ففي كل آية يظهر الرحمن نعمة من نعمه، فيقول لهم: انظروا إلى هذه النعمة، إما أن تشاهدوها بعيون قلوبكم إن كانت قد صفت، أو تتفكروا فيها وتتدبروا فيها بعقولكم، فلو قرأنا قراءة صحيحة وفكرنا وتدبرنا في هذه النعمة فكيف نكذب؟! فقال بعد كل نعمة:

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

والآلاء يعني النعم، وأنتم تشاهدونها، من هذه النعم:

﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ ﴾ (الرحمن) هاتان العينان النضاختان على باب الجنة، ونضاخة يعني تُخرج الشراب بحساب لمن يدخل الجنة، يشرب من العين الأولى فيذهب عنه كل هم وكل حزن ويقول: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن، ويشرب من العين الثانية فيظهر عليه نُضرة النعيم.

فعندما يفكر الإنسان فيها ويعاتبه الله: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ... كيف نكذب بهذه النعم العظمى؟!.فهي صور كلها تدعو إلى التفكر وإلى التدبر، ... ولذلك عندما قرأها ﷺ على أصحابه سكتوا، فقال لهم:

{ مَا لِي أَرَاكُمْ سُكُوتًا!، لَلْجِنُّ كَانُوا أَحْسَنَ مِنْكُمْ رَدًّا، مَا قَرَأْتُ عَلَيْهِمْ مِنْ مَرَّةٍ: (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) إلا قَالُوا: وَلا بِشَيْءٍ مِنْ نِعْمَتِكَ رَبَّنَا نُكَذِّبُ فَلَكَ الْحَمْدُ }[٣٥]

٣٥ الحاكم في المستدرك والبيهقي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه

فكرر الله هذه النعم، ومع تكرار هذه النعم يعرض هذا العتاب على الذين يتفكرون ويقدرون هذه النعم التي أنعم بها الله، ولايستطيع أحد في الوجود قبلًا ولا بعدًا، علوًا ولا سفلًا أن يأتي بذرة من نعمة واحدة منها.

نعمة ذكرها الله ﷻ في قوله: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾ (الرحمن) وعاد مرة ثانية وقال: ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ ﴾ (الرحمن) فمن خاف مقام ربه يكون له من الجنان أربعة، قال ﷺ:

{ جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا }[٣٦]

وهذا لمن يخاف الله ﷻ، هارون الرشيد كان من العلماء الأجلاء ومحب للصالحين، حدث نقاش بينه وبين زوجته السيدة زبيدة وكانت ابنة عمه وكانت أسيرة لديه، فقال لها: أنت طالق إن لم أكن من أهل الجنة، فجاءوا بالعلماء من الذي يضمن لهذا الرجل أن يكون من أهل الجنة؟ فتوقفوا، وكان هناك عالم مشهور اسمه الليث بن سعد رضي الله عنه، كان يقول فيه الشافعي رضي الله عنه: الليث بن سعد أفقه من مالك إلا أن تلاميذه أضاعوه، لأنهم لم يسجلوا علومه العظيمة التي كانت معه، فأتوا بالليث بن سعد، فقال: يا أمير المؤمنين أخرج من عندك من العلماء وأريد أن أختلي بك وحدك، فأخرج العلماء، وبعد أن جلسا قال له: أما ذكرت الله تعالى مرة فحدرت الدموع من عينيك؟ قال: بلى مرات ومرات، قال: أقسم على ذلك، فأقسم، قال: أما أني لم أحلِّفك تُهمةً لك، ولكن الله تعالى يقول: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾ (الرحمن) وأنت خفت من الله وبكيت، فقد أصبحت من أهل الجنة، ثم أحضر العلماء الذين كانوا معه وسمعوا الإجابة فاستحسنوا جميعًا هذه الإجابة، وعرفوا أن هناك رجال يختصهم الله ﷻ منه مباشرة للعطاء والنوال.

فإذًا السورة تبين بالطبع آيات الله، ولذلك يحتاج الواحد منا أن لا يقرأها فقط بل يتدبر فيها، وإذا أكرمه الله بالصفاء والنقاء يشاهد ما فيها، فيشهد على بديع إبداع قدرة الله وعظيم صُنع الله ﷻ فيقول من قلبه قبل لسانه لأعضائه كلها:

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ بعد هذه النعم بماذا نكذبه؟!.

---

٣٦ البخاري ومسلم عن عبد الله بن قيس رضي الله عنه

أما الويل فهو تحذير وإنذار للكافرين من الأفعال التي يفعلونها وتغضب رب العالمين، فكلما ذكر فعل يذكر بعده أن عاقبته في الويل، وفعل آخر عاقبته الويل، وهذا أنكى في التوبيخ وأنكى في المؤاخذة.

مثلًا أقول لأحد: أنت فعلت كذا وتستحق القتل، وعملت كذا مرة أخرى وتستحق القتل، لكن عندما أقول له: أنت عملت كذا وكذا وكذا وتستحق القتل، فكلهم عمل واحد، لكنه تعداد للأعمال التي تجعل صاحبها والعياذ بالله في نكال ووبال، وهذا من عجائب القرآن، والقرآن كله عجائب من حضرة الرحمن ﷻ، قال ﷺ:

{كِتَابُ اللَّهِ، فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، هُوَ الَّذِي مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ، قَصَمَهُ اللَّهُ، وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ، فَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، وَهُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلَا يَخْلَقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وَهُوَ الَّذِي لَمْ يَنْتَهِ الْجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ أَنْ قَالُوا: (إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا)، هُوَ الَّذِي مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}[٣٧]

هذا كلام ربنا الذي فيه النجاة في عصرنا، إذًا لا منجى ولا ملجأ ولا نجاة لنا ولغيرنا من المؤمنين في هذا الزمان إلا بالقرآن، والقرآن ليس تلاوة فقط، ولكن القرآن قراءة وتدبر وعمل، وإلا فنحن حاليًا مقبلون ومستشرفون على الحرب الذرية العالمية، فماذا معنا كلنا ونحن فقراء ومساكين ليقينا من ذلك؟ ليس معنا شيء، ألم نجهز عندنا سراديب ننزل فيها حتى لا تصيبنا القنابل الذرية؟ لا، من الذي ينجينا هنا؟ ﴿ وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ (الزمر).

ولذلك أنصحكم يا أحباب بأن تحيوا بالقرآن وتناموا به وتأكلوا به وتشربوا به وافعلوا كل شيء به، فهو المنجى والملجأ والعُدة العُظمى لنا عند كل الشدائد التي نتعرض لها في الأكوان، ولكن هذا لمن يقرأ ويتدبر ويعمل.

---

٣٧ سنن الدارمي والترمذي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه

فمن يقرأ القرآن بلسانه وأعضاؤه تكذبه بفعله، فهو بذلك يلعن نفسه ولا يدري، يقول: ﴿ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ ٦١ ﴾ (٦١آل عمران) وهو كذاب، فبذلك يلعن نفسه، أو يقول: ﴿ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨ ﴾ (هود) وهو أكبر ظالم لنفسه، فبذلك يلعن نفسه، لكن القرآن يحتاج للعمل، والعمل كما قال الله: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ﴾ (١٦التغابن) لم يكلفك الله شططًا ولكن على قدر استطاعتك:

﴿ لَا تُكَلَّفُ نَفۡسٌ إِلَّا وُسۡعَهَاۚ ﴾ (٢٣٣البقرة).

لا يقول لك: اجلس في المسجد أو في خلوة وناجي الله واقرأ كتاب الله ليل نهار، بل يقول لك: أنت في خدمة زوجتك وفي خدمة أولادك وفي خدمة جيرانك وفي أعمالك الدنيوية وفي صلة الأرحام وفي كل الأعمال التي تتعلق بالأنام، كل هذه ممكن أن تكون عبادة لك عند الله ﷻ ولكن تُخلص النية لله.

ولو نويت نية طيبة قبل أي عمل أصبح هذا العمل عملًا صالحًا عند الله ﷻ، وهذا الذي نحتاجه وهو صلاح النية، وأن تكون الأعمال خالصة لرب البرية، لا يرجو بها أجرًا ولا مدحًا ولا ثناءًا من الناس، وإنما ينتظر لكل أمر من رب الناس ﷻ.

١٦- مشيئة الله

السؤال: ما معنى المشيئة في قوله تعالى:

﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِى مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِى مَن يَشَآءُۚ ﴾ (٥٦القصص).

المشيئة مشيئة الله ﷻ، فإذا وافقت مشيئة العبد مشيئة الله فيا هناه، وإذا خالفت مشيئة العبد مشيئة الله التي ذكرها الله في كتابه فياويلتاه، لأنه بيَّن لنا ما يشاؤه الله لنا في القرآن، فالمهم أنني ما أريده يوافق ما يريده الله، قال ﷺ:

{ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ }[٣٨]

٣٨ معجم السقر وشرح السنة عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

فإذا كان هواه تبعًا لميول نفسه، أو تبعًا لحظه وشهواته فهذا بعيد عن الله ﷻ، فإذًا عليَّ أن أتأكد قبل أن أنوي أي عمل أن الذي أريده يحبه الله، وهو الذي يريده مني الله جل في علاه، فهنا اتحدت إرادتي مع إرادة الله المذكورة في كتاب الله، أو الآتية على لسان سيدنا رسول الله ﷺ، وهذا الجهاد الأعظم للمؤمنين أجمعين.

فحاليًا أعظم المشاكل في المجتمع الآن سببها أن الإنسان يريد أن ينفذ إرادته ولو خالفت إرادة الله، فتجد معظم المشاكل أن كل واحد منا يريد أن يُدخل نفسه فيما لم يكلفه به الله، فمثلًا يوزع التركة وهو لا يزال حيًا على حسب هواه، وهل أوجد الله هذا الأمر وتركه لنا؟ لا، فمتى نسميها تركة؟ نسميها تركة إذا مات صاحبها ، لكنه إذا كان لا يزال حيًا ليست تركة، فكيف أوزعها؟! ليس لك شأن، أنت هنا تعيش في الدنيا وأعطاك الله أرضًا تزرعها، وأعطاك بيتًا تسكن فيه، فأصبحت كمن يعمل في مصنع من مصانع السكر، يعطونه منزل وعند إحالته على المعاش لا يعطوه مكافأة نهاية الخدمة إلا إذا سلم السكن.

إرادة الله في هذا الأمر أن أترك الأمور على المشاع، وأهم شيء أن أجعل أولادي بنين وبنات يحبون بعضهم البعض، وأجتهد أكثر أن أجعلهم في درجة الأنصار في الإيثار، يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، وهذا شيء يفرح الإنسان.

فلو جئت بشيء لأحدهم فيقول لي: إن أخي فلان أولى به، فأفرح، لأنهم بُني ما بينهم على المحبة، ومن باب المحبة أقول لهم: يا أولاد بعد أن أترك الدنيا وأخرج إلى لقاء الله ابحثوا عن أحد العلماء العاملين ليقسم التركة بينكم على شرع الله.

وسبحان الله! لم يذكر الله أحكامًا بحذافيرها إلا أحكام الميراث، فلا يوجد حكم من أحكام الميراث إلا ومذكور في كتاب الله، لماذا؟ لأنه الميراث سبب المشاكل في الدنيا، لذلك كل الأقسام فيه موجودة في كتاب الله ﷻ واضحة جلية.

فما يفعله كثير من الناس في معظم بلادنا ونحن منبع علوم الإسلام، وأصل تلاوة القرآن، وربنا جعل هؤلاء في مصر هم خزانة القراء وخزانة العلماء الأتقياء الأنقياء الذين عندهم الوسطية السمحاء في دين الله ﷻ.

يجلسون مع بعضهم ويأتي الرجل العالم ويقسم التركة، أنت كذا وأنت كذا وأنت كذا وينتهي الأمر في دقائق، لأن الله يسر هذا الأمر، فلِمَ أتدخل وأحرم هذا وأزيد هذا؟! فأنا هنا أوافق إرادة الله أم أخالف؟ أخالف إرادة الله.

لو عندي حالة خاصة تحتاج إلى عناية خاصة، فسيدنا رسول لم يترك هذا الأمر، وأعطاني فرصة أن أُميِّزه عن غيره من الورثة لظروفه الخاصة، ... وأعرِّف باقي الورثة أن ظروفه كذا وكذا.

على سبيل المثال: لو عندي بنت لم تتزوج وأخواتها كلهم تزوجوا، وعندهم نساؤهم وعيالهم، فأين تذهب هي؟! هي ليست خادمة عند زوجة أحد منهم، فقد تذهب لزوجة أخيها وتكون خادمة لها!، وتتحكم فيها.

ومثال آخر: لو أن لي ابن مريض بمرض مستعص، ويحتاج مبالغ كبيرة لهذا العلاج، وأخوه لو أعطاه مرة فتمنعه زوجته في المرة الثانية، والعصر الذي نحن فيه حاليًا من آفاته أن معظم ما نسميهم رجال هم فقط ذكور، لكن الرجال أقل من القليل، لأن الرجل يكون صاحب الكلمة في بيته.

فهذه الأمور حضرة النبي ﷺ من حكمته البالغة أعطاها لي ولكن للظروف الخاصة، فقد طلبت امرأة من زوجها أن يهب لابنها شيء وطلبت منه أن يُشهد رسول الله ﷺ على ذلك، فذهب ومعه ابنه، فقال له رسول الله:

{ يَا بَشِيرُ أَلَكَ وَلَدٌ سِوَى هَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَفَكُلَّهُمْ وَهَبْتَ لَهُمْ مِثْلَ الَّذِي وَهَبْتَ لِابْنِكَ هَذَا؟ قَالَ: لَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَلَا تُشْهِدْنِي إِذًا فَإِنِّي لَا أَشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ }[٣٩]، فهذا ظلم، وحتى لا يغلق الباب قال له: { فَأَشْهِدْ عَلَى هَذَا غَيْرِي }[٤٠]

العلماء تكلموا في هذا الحديث كثيرًا، وقالوا: لا مانع من الهبة للظروف الخاصة لبعض الأولاد الذين يحتاجون لعناية خاصة، وبمعرفة إخوتهم وبرضاهم حتى يكونوا في البر

٣٩ البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنه
٤٠ سنن أبي داود وابن ماجة عن النعمان بن بشير رضي الله عنه

سواء لأبيهم ولأمهم، ولكن أنا أريد أن أُخصص هذا لأن زوجته تقوم لي بالواجب كما ينبغي، والآخر زوجته لا أحبها، فأريد أن أحرمه من الميراث، فهل هذا يوافق إرادة الله أم حظه وهواه؟ حظه وهواه ... لكن إرادة الله ليس لها شأن بهذه الأمور سواء أحببت زوجة ابني أم لم أحبها، فليس لهذا شأن بالميراث، فكما قال ﷺ:

{ سَوُّوا بَيْنَ أَوْلاَدِكُمْ فِي الْعَطِيَّةِ }[٤١]

وحتى وهم صغار وأنت تحب طفل عن الآخرين فلا بد أن تحرص أنهم لا يلاحظوا، هذا الحب تجعله في سرك، ولا تفعل أشياء في العلن يشعرهم بأنك تحب فلان عن فلان، وهذا الكلام يحدث في هذه الأيام وأسمعه كثيرًا، وخاصة أننا مجتمع ذكوري، فتقول البنت: أنا أعرف أن أبي يحب أخي هذا عني، وأنا أعرف أن أمي تحب أخي عني، ويُحدث هذا عقدًا نفسية عندها، لأن فرق المعاملة واضح، فالولد لو أخطأ مسموح له، وهي لو أخطات فالعقاب فوري ... فإذًا يجب أن توافق إرادة الإنسان إرادة الله في شرع الله إن كان في كتاب الله، أو في سُنَّة رسول الله ﷺ.

١٧- الرجوع في الهبة

السؤال: إذا وهب الأب شيئًا لأحد الورثة قبل موته ...

فهل يجوز الرجوع عنه بعد موته؟

الهبة إذا كانت مسجلة وموثَّقة في الشهر العقاري بيعًا وشراءً فلا يستطيع أحد الرجوع عنها، لكن إذا كانت شفوية أو بعقد ابتدائي يحق للورثة عدم الرضا عنها والرجوع بشأنها، وهذه فيها شيء من العقوق لأبيهم لأنهم لا يريدون تنفيذ وصيته، لكن هذا حقهم.

لماذا؟ الإسلام علَّمنا أن أي شيء لا بد أن نوثقه، لكن الناس تساهلت بعدم التوثيق، لذلك أنت المسؤول.

---

٤١ سنن البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما

الدولة تقريبًا في أوائل القرن العشرين أقرت وثيقة الزواج الرسمية، ولم تكن هناك وثيقة زواج قبل ذلك، كان الزوج يذهب لأهل الزوجة وإذا وافقوا يجلسوا مع بعضهم ويأتي اثنين شهود، وأي شخص كان يعقد العقد، ولم يكن مأذون ولا غيره، ولا توجد ورقة تُكتب، ولا بصمة ولا توقيع، ولكن الناس كان الرجل منهم كلمته ميثاق وعهد لا يرجع فيها أبدًا ولو كان فيها حتفه وقتله، فكان الناس محافظون على العهود.

لذلك لم تكن هناك قائمة جهاز وأثاث وغيره، لكن كان أي رجل من المجتمع الإسلامي لا بد أن يُعطي زوجته حقوقها، يعني إذا وصل إلى أنه لا يريد معاشرتها فلا بد أن يعطيها حقوقها التي فرضها الله ﷻ.

وليس هذا وفقط، فكان الأتقياء منهم يعملون بقول الله تعالى: ﴿ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا ﴾ (٣هود) يعني بعد أن يعطيها حقوقها؛ يعطيها شيئًا من عنده متعة ليست مفروضة عليه حتى يعمل بالآيات القرآنية.

فلما وجد ولاة الأمر أن الذمم خربت، والرجل يتزوج ويقول أنا لم أتزوج، ويقول: هذا ليس ابني أوهذه ليست ابنتي، فأقروا تسجيل عقد الزواج.

ولما وجدوا أن التوقيع لا يكفي قالوا: لا بد من البصمة للزوجين، لماذا؟ زيادة في التوثيق، لماذا؟ لأن الأمانة قلَّت عند كثير من الناس.

فعندما يهب الأب شيء لا بد من تنفيذه، مثلًا قال:: أنا لن أعطي لأخيكم ولا لأمكم، أنا سأعطي لزوجة أبيكم كذا، الأولاد البررة يقولون: لا بد أن نبر أبينا ونوفي بوصيته، مع أنها زوجة أبيهم وليست أمهم، لكن البر إنفاذ وصيته.

حدثت واقعة منذ عدة سنين في بلد بجوارنا بسبب شيء من ذلك، رجل مات وغطوه، وقبل دفنه حدثت مشادات بين الورثة وقامت بينهم معركة وأخذوا يضربون بعضهم بالنعال، وكانت النعال تصيب الرجل الميت المُغطى!!.

تريد أن تهب شيء لأحد وثِّقه بيع وشراء في الشهر العقاري، فلا يعترض على ذلك أحد لتضمن وصول الشيء الذي ترجوه، لكن الشفوي لم يعد ينفع في زماننا هذا أبدًا.

توجد أمور شرعية تُتخذ بعد الوفاة:

- **فبعد الوفاة لا بد أن عمل إعلام وراثة.**
  - **وإعلام الوراثة عبارة عن الإتيان بشاهدين يذهبا أمام القاضي ويقولا: إن فلان يرثه فلان وفلان وفلان.**
    - **وهناك قضايا كثيرة الآن مرفوعة لأنهم أسقطوا أحد الورثة من إعلام الوراثة، فيقوم برفع قضية أخرى وهكذا.**
- **وبعد إعلام الوراثة إذا اختلف الورثة يتم رفع قضية أخرى اسمها فرز وتجنيب، نقول: أن فلان هذا يمتلك من المباني كذا، ومن الأرض الزراعية كذا، ومن العقارات كذا، وفي البنك كذا.**
- **والبنك حاليًا يورِّث رسميًا، فالرجل إذا مات لا يُصرف مليمًا من البنك لورثته إلا بعد إعلام الوراثة، وكل واحد يخرج له شيك بميراثه الشرعي، والبنك يأخذ الخمس، وهكذا قوانين البنوك.**
- **والأرض تتوزع بنفس الكيفية، يأتي خبير من وزارة العدل ويعاين البيت ويقدره ويعطي كل واحد حقه، هذا له حجرة وهذا له حجرتين، وهذا له شقة وهذا نصيبه في الميراث كذا.**

أين الوصية هنا؟

لا وجود لها إذا كانت غير مسجلة، وهل يستطيع أحد أن يذكر الهبة؟ لا يوجد، فهذه كانت في الأيام الفاضلة عندما كان الناس حريصون على بر الوالدين، ولكنه الآن حريص على بر نفسه، ويظن أن بر نفسه بالدنيا فقط.

فإذا كان يريد أن يبر نفسه حقًا فيبدأ ببر الوالدين، لكنه يبحث عن الدنيا وليس له شأنٌ بغير ذلك.

لذلك أي شيء تريد أن تعمله لا بد أن توثقه في الشهر العقاري.

١٨- الدعاء في الصلاة

السؤال: ما حكم الدعاء في الصلاة؟

الصلاة كلها عبارة عن دعاء.

حتى القرآن الذي نقرأه في الصلاة كالفاتحة في كل ركعة فهي دعاء، قال الله تعالى:

{ قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ)، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)، قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ)، قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ }[٤٢]

وفي السجود قال ﷺ:

{ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ }[٤٣] **وفي الرواية الأخرى: { إِذَا سَجَدْتُمْ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَإِنَّهُ قَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ }**[٤٤]

فندعو الله في الوقوف، وندعو الله في الركوع أيضًا، وندعو الله في السجود، وندعو الله في التشهد.

فعندما قال ربنا: ﴿ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (٦٠غافر) لم يحدد دعاء، فترك كل واحد يدعو بما في قلبه وما يشغل باله، فأمرك أنت غير أمري غير أمر أخي غير أمر جاري، وكل واحد له أمر، فكل واحد يدعو بما يجول في قلبه، فالصلاة كلها دعاء.

---

٤٢ صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه

٤٣ صحيح مسلم وأبي داود عن أبي هريرة رضي الله عنه

٤٤ سنن البيهقي والنسائي عن عبد الله بن العباس رضي الله عنهما

ولذلك قال ﷺ: { الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ }[٤٥]، وفي الصيام يقول ﷺ:

{ إِنَّ لِلصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ لَدَعْوَةً مَا تُرَدُّ }[٤٦]

ولذلك دائمًا أوصي الأحبة وأقول لهم: عندما تسمع أذان المغرب لا تتعجل وتشرب، لكن قبل أن تشرب ادعو الله بالدعوة التي تريدها فلك دعوة لا تُرد.

زاد سيدنا رسول الله وسن لنا في وقت الشدة قنوت – يعني دعاء – في الركعة الأخيرة من كل صلاة بحسب اختلاف المذاهب.

السادة الشافعية قالوا: الدعاء بعد القيام من الركوع في الركعة الأخيرة، والسادة المالكية قالوا: الدعاء بعد قراءة الفاتحة والسورة وأنت واقف قبل الركوع في الركعة الأخيرة، ولا يصح أن تصلي مالكي وتدعو شافعي، لأن هذا اسمه التلفيق، وهو أنك تخلط المذاهب على بعضها، والمفروض أن تمشي على مذهب واحد.

والقنوت كان ﷺ في أوقات الشدة يقنت في كل الصلوات وليس الفجر فقط، فقد جاءه جماعة وطلبوا منه قُرَّاء ليحفظوهم القرآن بعد أن أعلنوا إسلامهم، فأرسل معهم سبعين قارئ، وكانوا ينوون الغدر، وبعد أن مشوا قتلوهم كلهم، فأخذ ﷺ يدعو عليهم شهرًا كاملًا في كل صلاة في القنوت، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ:

{ قَنَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَهْرًا مُتَتَابِعًا فِي الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ وَالْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ وَصَلَاةِ الصُّبْحِ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ إِذَا قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ مِنْ الرَّكْعَةِ الْآخِرَةِ، يَدْعُو عَلَى أَحْيَاءٍ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ عَلَى رِعْلٍ وَذَكْوَانَ وَعُصَيَّةَ، وَيُؤَمِّنُ مَنْ خَلْفَهُ }[٤٧]

ولذلك نحن عندما نكون في وقت شدة، يعني في وقت حرب بيننا وبين غيرنا أو أي وقت شدة، فمتاح لنا أن ندعو في كل الصلوات، فلبُّ العبادة هو الدعاء:

بماذا أدعو؟ بما يجول في قلبي، لأن هذ هو الذي يرجوه ربي ﷻ، بعض الناس ونحن

---

٤٥ جامع الترمذي والطبراني عن أنس رضي الله عنه
٤٦ سنن ابن ماجة والبيهقي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما
٤٧ سنن أبي داود عن ابن عباس رضي الله عنهما

في الحج يكون معه كتاب، فيسأل: هل أدعو من هذا الكتاب؟ أقول له: لا، فلو دعوة واحدة فقط من قلبك واستجاب الله لها تكفيك: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ (النمل)، فالدعاء يكون من القلب بما يفتح به الله ﷻ على المرء، فقلت: اللهم أصلح لي حالي وحال أولادي، فهل هناك دعوة أحسن منها؟! اللهم إنك عفوٌ كريمٌ تحب العفو فاعف عنا، هل هناك دعوة أفضل من هذه؟! فهي دعوة واحدة إذا استجيبت فقد كفت الإنسان في دنياه وفي أخراه إن شاء الله.

١٩- دعاء الإمام لنفسه دون من خلفه

السؤال: ما حكم دعاء الإمام في الصلاة بصيغة المفرد؟

نحن دائمًا ندعو بلسان الجماعة.

فعندنا في الفقه لو أن الإمام في الصلاة دعا لنفسه فقد خان الجماعة.

يعني أنا إمام في صلاة الجماعة في دعاء القنوت وقلت: اللهم اغفر لي وارحمني !!

فقد خنت من خلفي.

وماذا أقول؟

أقول: اللهم اغفر لنا وارحمنا، لأنني مندوب عنهم.

وكذلك في نهاية مجالس العلم:

ندعو دعاءًا جامعًا لنا ولمن سألنا ...

فيستجيب الله لنا ..

ويستجيب لمن سألنا أيضًا ...

وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

٢٠-زيادة العمر

السؤال: هل العمر يزيد؟

يقول الله تعالى:

﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ ﴾ (الرعد)

الله ﷻ عنده محو وإثبات، يعني إنسان يكون مُقدر له من عمره ستين سنة، ويعمل عملًا من البر فيدعو له أحد فيأخذ مدًّا في عمره زيادة عشر سنين فيصبح عمره سبعين سنة، فهذه حكمة الله، وآخر يكون مقدر له ستين سنة والناس من حوله يدعون عليه ليريحهم الله منه، فينقص من عمره عشر سنين.

فهل أحد منا يطَّلع على لوح المحو والإثبات؟ لا، فلنفرض أني من أهل الكشف ومطلع على اللوح المحفوظ، ورأيتُ أن معركة كذا ستحدث يوم كذا، فهل هذا أمر له ثبات عند خالق الأرض والسماوات؟ لا، فمن الجائزأن أقول: إن المعركة ستحدث يوم كذا، والله ﷻ لحكمة يعلمها يقول يؤجلها: ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (النحل) ..

فلا يجوز أبدًا لأحد من الصالحين ولا من المتقين أن يتنبأ بهذه الأحداث.

سيدنا الإمام عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه ذهبت له امرأة وكان عندها بنات وحامل فقالت له: يا سيدي أريدك أن تدعو الله أن يجعل هذا ولد أخ لبناتي، فوضع يده فوق ثيابها وقال: إن شاء الله ولد، فمرت الأيام وولدت بنتًا، فذهبت إليه وقالت له: يا سيدنا الشيخ أنت قلت أنه ولد وجاءت بنت، فقال لها: القادر كذَّب عبد القادر، القادر ﷻ يفعل ما يشاء، فمن يستطيع أن يتعرض لقضاء الله ويحكم على أمر في علم الله ﷻ

البعض يريدون الظهور ويعرفون أن كثير من الناس مشغولون بهذه الأمور الغيبية، ويريد أن يبين ما سيحدث، مثلًا كل عام في رمضان، نجد على مواقع التواصل أن الشيخ الفلاني قال: إن ليلة القدر يوم كذا، والشيخ الفلاني قال: إن ليلة القدر يوم كذا.

والشيخ الفلاني من أين عرف هذا الكلام؟! وهل الله يُنبئ أحدًا بهذه الأمور؟! لكن الصالحين كان لهم مؤشرات طيبة لاحظوها، فبعضهم كالشافعية قالوا: إذا وافقت ليلة الجمعة في العشر الأواخر ليلة وترية فهي غالبًا تكون ليلة القدر، لكن هذا قول هم يقولوه، لكن هل يحكموا به حكم فصل؟ لا، إنما هذا تشجيع على إحياء ليلة القدر وعلى الأعمال المقربة في ليلة القدر.

لكن كل الأمور الغيبية كما قال الله: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ ﴾ (الجن) لم يقُل ولي أو مؤمن ولكن (رسول) فمن الذي يُخبر بهذه الأمور؟ الرسول، لأن الرسول مُكلف بأن يبلغ الرسالة ويؤدي الأمانة.

صحيح أن الرسول ﷺ ذكر كل ما يحدث للأمة إلى يوم القيامة، وهذا باب كبير جمعه سيدنا الإمام أبو داود في سننه في باب اسمه (باب الملاحم) والملاحم يعني الحروب الكبرى التي ستحدث قبل القيامة التي نحن مشرفين عليها.

وفي هذه سيدنا رسول الله ذات يوم من الأيام، وهذه كانت عجيبة من الأعاجيب، فعن عمرو بن أخطب رضي الله عنه قال:

{ صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْفَجْرَ وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهْرُ فَنَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الْعَصْرُ ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا }[٤٨] وفي رواية أخرى عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: { قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَامًا مَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، إِلَّا حَدَّثَ بِهِ حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ، وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ }[٤٩]، ثُمَّ قَالَ حُذَيْفَةُ: { وَاللَّهِ مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ قَائِدِ فِتْنَةٍ إِلَى أَنْ تَنْقَضِيَ الدُّنْيَا يَبْلُغُ مَنْ مَعَهُ ثَلَاثَ مِائَةٍ فَصَاعِدًا إِلا قَدْ سَمَّاهُ لَنَا بِاسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ وَقَبِيلَتِه }[٥٠]

سيدنا رسول الله ﷺ عندما يحكي هذه الأحداث، وكان الله ﷻ يتولى بقدرته تثبيتها

---

٤٨ صحيح مسلم ومسند أحمد عن عمرو بن أخطب رضي الله عنه
٤٩ صحيح مسلم وسنن أبي داود عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه
٥٠ الشفا بأحوال المصطفى عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه

في أذهان أُناس، وعدم تثبيتها في أذهان آخرين، فينتهي المجلس وكأنه لم يسمع شيئًا، ما هذا؟ .... هذه حكمة يعلمها رب العالمين ﷻ.

هذا الباب موجود لكن من يستطيع كشف الأسرار التي تحته؟ لا يوجد إلا من أباح له حضرة النبي، وإذا وضَّح حضرة النبي لأحد فيكون هذا سر، فهل يجوز له كشف هذا السر؟ لا يجوز كشف هذا السر إلا بإذنٍ من رسول الله ﷺ، وهذه تكون في الأحداث الكبرى.

كسنة ١٩٧٣م مثلًا في حرب العاشر من رمضان، كان عندنا في طنطا رجل هو أصلًا من سوهاج اسمه الشيخ محمد خليل الخطيب رضي الله عنه وأرضاه، وكان مُدرسًا في المعهد الديني وأكرمه الله بالمعرفة، وكان على صلة برسول الله ﷺ، وكان يذهب إليه الرئيس السادات يزوره، وذهب إليه الدكتور عبد الحليم محمود فقال له: أنا رأيت رؤيا وأريدك أن تذيعها للناس على منبر الأزهر، قال له: ما هذه الرؤيا؟

قال: رأيت رسول الله قادم ومعه مجموعة من الصحابة الأجلاء ومجموعة من الأولياء، وذاهبون إلى سيناء وقال لي: تعالى خلفنا، فعرفت أن الله سينصرنا في هذا العام إن شاء الله.

الأمر هنا هل واضح وضوح كلي أم وضوح جزئي؟ وضوح جزئي، وصعد الدكتور عبد الحليم محمود منبر الأزهر في هذه الأيام، وبشَّر الناس بالنصر وقال: أخبرني رجلٌ من الصالحين بأنه رأى كذا وكذا.

ونحن أيضًا كان معنا الشيخ محمد علي سلامة رضي الله عنه وأرضاه، فقال:

هذا العام يا أولادي إن شاء الله سيكون النصر، ما هذا؟ قال: أنا رأيت في المنام أني ذاهب إلى سيناء، وسيدنا رسول الله ﷺ في مسجدٍ في سيناء، وعلى باب المسجد كان واقفًا سيدي أحمد البدوي وسيدي إبراهيم الدسوقي، فاستأذنتُ في الدخول، وأخذتُ أخاطب رسول الله ﷺ وأضرع إليه في شأن الأُمَّة، فقال لي: أبشر فقد طفُّوها يا بني !!! قال: فأخذت أقفز إلى أعلى حتى كادت تلمس رأسي سقف المسجد، وعرفت أنه سيكون النصر إن شاء الله رب العالمين.

فهذه بشريات ..

لكن الخبر اليقين عند رب العالمين ﷻ، فلا يعلم الغيب الا الله.

٢١- الجفر

السؤال: ما المقصود بالجفر؟

يجب أن ننتبه جميعًا، فأي كلام منسوب إلى الشيعة أضع تحته ألف خط لأنه موضع شك، فالشيعة ينسبون إلى الأئمة الكرام ما لا يجوز ولا يصح، وهم متغالين في هذا الأمر، قال الإمام علي رضي الله عنه:

{ يَهْلِكُ فِيَّ رَجُلَانِ: مُحِبٌّ مُفْرِطٌ يُقَرِّظُنِي بِمَا لَيْسَ فِيَّ، وَمُبْغِضٌ يَحْمِلُهُ شَنَآنِي عَلَى أَنْ يَبْهَتَنِي }[٥١]

فهم تغالوا في الحب، ولذلك يؤلفون أحاديث وينسبونها للأئمة الكرام، وهي ليست أحاديث واردة في كتب الحديث، وهم لا يعترفون بكتب الأحاديث، وعندهم كتاب كبير واحد يسمونه (الكافي) والأحاديث التي فيه روايات عن آل البيت، وآل البيت لم يرووا أحاديث كثيرة، فالسيدة فاطمة كم حديث روته عن رسول الله؟ لا يتعدون على الأصابع، لكن هم يأتون بآلاف الأحاديث عن السيدة فاطمة.

فهم يدَّعون أن سيدنا الإمام علي كان معه جلد والذي يسمونه الجفر، وجفير يعني جلد مدبوغ، ويقولون أن سيدنا رسول الله أملاه فيه كل ما سيحدث إلى يوم القيامة، في حين أن الأحاديث الصحيحة تقول: قيل لسيدنا الإمام علي:

{ أَخَصَّكُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِشَيْءٍ؟ فَقَالَ: مَا خَصَّنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِشَيْءٍ لَمْ يَعُمَّ بِهِ النَّاسَ كَافَّةً إِلَّا مَا كَانَ فِي قِرَابِ سَيْفِي هَذَا، قَالَ: فَأَخْرَجَ صَحِيفَةً مَكْتُوبٌ فِيهَا: لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ سَرَقَ مَنَارَ الْأَرْضِ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا }[٥٢].

وقيل له:

---

٥١ مسند الإمام أحمد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه

٥٢ صحيح مسلم ومسند أحمد

{ هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ مِنْ الْوَحْيِ إِلَّا مَا فِي كِتَابِ اللَّهِ؟ قَالَ: لَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا فَهْمًا يُعْطِيهِ اللَّهُ رَجُلًا فِي الْقُرْآنِ }[٥٣]

والشيعة عندهم اعتقاد أن الأئمة يُوحى إليهم، يعني أن الوحي لم ينقطع، وأئمتهم ما زال الوحي يتنزل عليهم، ويقولون أن الإمام جعفر الصادق وسَّع الجفر وشمل هذه الأمور كلها.

فكل هذه أمور مشكوك في صحتها وليست مكتوبة في الكتب الصحيحة التي هي مرجعية لأهل السنة، وليس لنا شأن بهذا الأمر.

أول دليل على أن هذه الأمور غير صحيحة، أنهم حاليًا ينتظرون الإمام المهدي، وصنعوا سردابًا بجوار دار قُم، ويقولون أنه دخل في هذا السرداب ولم يخرج، وكل يوم في الصباح تذهب فرقة موسيقى وفرس مزركش وينتظرون الإمام المهدي يخرج من هذا السرداب، ويظلون حتى المغرب ثم يعودوا ويرجعوا في اليوم التالي، ويقولون: ننتظر الإمام المهدي الذي سيملأ الأرض عدلًا ونورًا كما مُلئت ظلمًا وجورًا.

وهذا الكلام الذي يقولونه ويروجونه على صفحات الانترنت، ويقولون جفر الإمام جعفر الصادق، وجفر الإمام فلان، وهذا له شروح وهذا له شروح، لكن نحن علينا بكتاب الله وهذا وحده الذي قال فيه سيدنا رسول الله:

{ كِتَابُ اللَّهِ، فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ }[٥٤]

هذا الذي فيه كل شيء، وكان الإمام علي يقول: (لوضاع مني عقال بعيرلوجدته في كتاب الله تعالى) بالقرآن سيرشدني الرحمن إلى الموضع الذي فيه هذا الشيء الذي ضاع مني، فلا أشغل نفسي بأمر الجفور ولا بأمر الملاحم، فكثير من الناس مشغولون بعلامات الساعة الكبرى وعلامات القيامة الصُغرى، ولكن أنا يهمني يوم قيامتي، والحديث يقول:

{ مَنْ مَاتَ فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ }[٥٥]، فقيامتي على الأبواب، ...

قد تكون الآن أو غدًا، فالإنسان المؤمن مشغول بنفسه عن هذه الأحداث.

---

٥٣ صحيح البخاري والترمذي
٥٤ سنن الدارمي والترمذي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه
٥٥ رواه ابن أبي الدنيا، وأورده الشوكاني في فوائده

٢٢- صلاة الجنازة على المنتحر

السؤال: هل يجوز لنا أن نصلي على مسلم مات منتحرًا؟

هو مسلم، كيف مات؟ لا يعلم بحال موته إلا ربه، نفرض أنه أصيب بحالة نفسية ولم نرها وجعلته يفعل ذلك وينتحر بدون أن يشعر، فهذا الأمر متروك لله إن شاء عفا عنه وإن شاء حاسبه، لكن لأنه مسلم وينتسب للإسلام له حقوق علينا، أننا نغسله ونكفنه ونصلي عليه وندفنه في مقابر المسلمين.

لكن هل يوجد أحد منا يعرف أسباب موته؟ لا أحد، لذلك له حق علينا، وما بينه وبين الله فالله أعلم به وسيحاسبه ويتولاه، فالحسيب هو الله ﷻ وهو الذي يعلم ما في القلوب، والحساب على ما في القلوب وليس على الظاهر، ودائمًا المؤمن يلتمس العذر للمؤمنين.

فالأمراض النفسية كثُرت في هذا الزمن، أحيانًا الإنسان من شدة المرض النفسي لا يعرف ماذا يفعل، ولا يشعر بما يفعله، فربما حدث عنده هياج نفسي ولم ينتبه وألقى بنفسه من البلكونة ... ماذا نفعل؟

نفعل الواجب علينا نحوه، نغسله ونكفنه ونصلي عليه وندفنه في مدافن المسلمين.

الناس تتحدث في هذه المواضيع بكثرة، يقولون: مات كافرًا، كيف عرفت أنه مات كافرًا؟! هل يوجد منا من معه صلاحية أن يحكم على مسلم أنه مات كافرًا؟ لا أحد، حتى من مات وهو يصلي ليس معنا صلاحية أنه مات مسلم أو غير مسلم.

لأنه قد يكون عمل جريمة ويريد أن يُخفي جريمته فيتوضأ ويذهب ليصلي ويقف في صفوف المصلين ثم مات، ولنفرض أنه مات وهو ساجد، فهل نقول عليه أنه ولي من أولياء الله ونعمل له ضريح؟ إنه ارتكب جريمة، ولكننا لا نعرف ولذلك هذا الأمر كله لله:

﴿ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ ﴾ (٥٧الأنعام).

٢٣- فضل قراءة الفاتحة

السؤال: ما فضل قراءة الفاتحة؟

هي واردة في الحديث القدسي المروي عن الله ﷻ الذي يقول فيه:

{ فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ)، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)، قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ)، قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ }[٥٦]

وأين نجد تصريح آخر بعد ذلك؟!

هذا لعبدي، وله أيضًا كل ما سأل.

ولذلك نقول: الفاتحة لحضرة النبي لأنه قال: ولعبدي ما سأل، مثلًا قام أحد وأطعمنا، ولأن النبي قال:

{ مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ }[٥٧]

فماذا نفعل؟

نقول: الفاتحة لفلان، لأن الله قال لنا: ولعبدي ما سأل ..

وعندما يموت أحد فالأفضل في البداية قبل أن نشهد له، وهذه كان ماشيًا عليها سلفنا الصالح إلى أن خرجوا الناشئة الذين أفسدوا عقائد الناس في زمننا وقالوا: لا يجوز،

---

٥٦ صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه

٥٧سنن أبي داود والنسائي عن ابن عمر رضي الله عنهما

لكن نشهد له ونقول: كان صالحًا أو كان مؤمنًا، وسيدنا رسول الله ﷺ أعطانا الدليل، قال:

{ إِذَا رَأَيْتُمْ الرَّجُلَ يَعْتَادُ الْمَسْجِدَ، فَاشْهَدُوا لَهُ بِالْإِيمَانِ }[٥٨]

يعني كان محافظًا على صلاة الجماعة في المسجد ..

فواجب عليَّ أن أشهد له بالصلاح، وأشهد له بالإيمان.

يعترض واحد من غير المنتبهين ويقول لي: أنت لا تعرفه فهو يصلي ولكنه يعمل كذا وكذا وكذا، لكن لا شأن لي بذلك لأني لست أعمل في المباحث، وربنا هو الذي علَّمنا، وحضرة النبي شرحها لنا:

{ مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ يَشْهَدُ لَهُ ثَلَاثَةُ أَبْيَاتٍ مِنْ جِيرَانِهِ الْأَدْنَيْنَ بِخَيْرٍ إِلَّا قَالَ اللَّهُ ﷻ: قَدْ قَبِلْتُ شَهَادَةَ عِبَادِي عَلَى مَا عَلِمُوا وَغَفَرْتُ لَهُ مَا أَعْلَمُ }[٥٩]

وفي رواية أخرى:

{ إِذَا مَاتَ الْعَبْدُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مِنْهُ شَرًّا، وَيَقُولُ : النَّاسُ خَيْرًا، قَالَ اللَّهُ ﷻ لِمَلَائِكَتِهِ: قَدْ قَبِلْتُ شَهَادَةَ عِبَادِي عَلَى عَبْدِي وَغَفَرْتُ لَهُ عِلْمِي فِيهِ }[٦٠]

يدخل الجنة بشهادة إخوانه المؤمنين له.

ولذلك إخواننا السابقين كانوا أُميين، وكانوا يأخذون العلم من الفقهاء والعلماء العالمين، لذلك كانوا يمشون على الصواب، فنشهد له وبعد ذلك نقرأ له الفاتحة، لماذا؟ لأن الله ﷻ قال: (هذا لعبدي ولعبدي ما سأل).

أنا أقرأ الفاتحة أن الله يغفر لهذا الرجل، هل يستجيب أم لا؟ سيستجيب، وأقرأ الفاتحة أن يرحم الله هذا الرجل، فسيرحمه الله، وأقرأ الفاتحة أن يدخله الله الجنة، فسيدخله الجنة، وأقرأ الفاتحة أن الله يتجاوز عن ذنوبه، فيتجاوز الله عن ذنوبه، لأنه قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل.

---

٥٨ سنن ابن ماجة والدارمي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه
٥٩ مسند الإمام أحمد أبي هريرة رضي الله عنه
٦٠ مسند البزار عن أبي هريرة رضي الله عنه

الباب الثانى

أمراض القلوب

١. علاج الحقد والحسد ٦٩
الغبطة أو الحسد المحمود ٧٠
علاج الحقد والحسد المذموم ٧١
٢. أهمية الأمانة للسالك ٧٣
أمانة الجوارح ٧٣
أمانة المجالس ٧٤
نموذج الأمناء ٧٥
أمانة الأسرار الزوجية ٧٥
أمانة المال ٧٥
صفات السالك الوفي ٧٦
٣. أحوال المسبحة ٧٨
٤. مرض سوء الظن ٧٩
حسن الظن بالله ٨٠
حسن الظن بالناس ٨١
٥. مرض حب الرياسة والتمشيخ ٨٤
٦. الصبر في طريق الله ٨٦
٧. الأعمى والبصير ٨٩
٨. كتمان الأسرار ٩٠
٩. اليسرى والعسري ٩٣

الباب الثانى

أمراض القلوب

١- علاج الحقد والحسد

السؤال: من الأمراض التي تُنئي الإنسان في طريق الله مرض الحقد والحسد، نرجوا معرفة كيفية علاجهما، والوقاية منهما؟

مرض الحقد هو أن الإنسان يتطلع إلى النعم التي في يد غيره، ... ويتمنى – والعياذ بالله – زوالها منه، وكذلك الحسد أن ينظر الإنسان إلى ما عند أخيه، أو ما عند أي رجل من المؤمنين من النعم.

ولا يخلو أي إنسان في الكون من عطاء من عطاءات الله، منا من له عطاءات ظاهرة كوظيفة مرموقة، أو سعة في الرزق والمال، أو جمالٌ في الطلعة والشكل، أو زوجةٌ مطيعةٌ صالحةٌ تعينه على أمور دنياه، أو أولادٌ بررة، أو إخوةٌ له متعاونين على عمل الخير على الدوام، وغيرها من الأمور الدنيوية.

ومنا من له عطاءات باطنية، كأن يهب الله له من مواهب العارفين، كأن يُمتع بالرؤية الصالحة، أو أن يُكرم بمشاهدة سيد الأولين والآخرين، أو يهب له عينًا من عيون الإلهام يُكرم بها بالعلوم الإلهامية الربانية، أو يُكرم بفتح عين بصيرته فيكاشَف بما في نفسه، ويكاشَف بما في عالم الملكوت الأعلى وعالم الأرض من الآيات، أو يُكاشَف بما في الجنة، أو يُكاشف بما هو مكتوبٌ على العرش، أو غيرها من الأمور المعنوية التي لا يسع وقتنا لإحصائها وعدها.

وكلها إذا تحركت نفس الإنسان ورأى أن هذا الخير الذي عند أخيه لا يليق به ولا يستحقه، ويرى نفسه أولى بهذا الخير، فهذا يدل على أن هذا القلب ما زال فيه موضع ظُلمة دخلت منه النفس والشيطان بسموم الحقد وسموم الحسد.

فالحسد أن يتمني زوال النعمة، ولكنه لا يفعل شيئًا لزوالها، والحقد أن يتمنى زوال النعمة ويسعى بجد ونشاط لزوالها من أخيه، كأن يشكوه شكاوى كيدية، أو يحاول أن يُوقع بينه وبين أحبابه بالنميمة والغيبة وقالة السوء، أو يحاول أن يحاربه إن كان سلطانٌ على عمله في أرزاقه، فيحجب عنه علاواته أو مكافآته أو ترقياته، وهكذا، قس على ذلك بقية الأشياء، ويقول في ذلك كله إمامنا الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

ألا من يكن في قلبه بعض ذرةٍ من الكبر والأحقاد ما هو ذائق

ويقول:

دعوا الحسد والكبر القبيحين سادتي دعوا طمعًا فيما يزول وسابقوا

الغبطة أو الحسد المحمود

نحسد أخانا في الله، يعني نتمنى أن نكون مثله فيما وصل إليه في مرضاة الله، ونتمنى أن نكون مثله في قيام الليل، وفي صيام النهار، وفي تلاوة القرآن، وفي جذب الآخرين إلى طريق الرحمن، وفي الصُلح بين المتخاصمين من الإخوان، وفي هذه السُبل الصالحة، ولذلك قصر النبي ﷺ الحسد المحبوب على ذلك، وما سواه مذموم، فقال ﷺ:

{ لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَ آنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَ آنَاءَ النَّهَارِ}[٦١]

رجلٌ آتاه الله مالًا فهو ينفقه في سبيل الله، وليتنا نجد هذا الحسود في زماننا هذا، فقد قلَّ الإنفاق، وملأ الشُح النفوس، وأصبح الناس ينفقون على أنفسهم وأهليهم بغير حساب، فإذا طُلب منه شيء لله يقول: من أين؟! فأنا مديون، وأنا لا يكفيني راتبي ولا دخلي إلا بالكاد، وليس معي شيئًا، وهو يوميا يفيض عن طاقته في الطعام قسطٌ كبير يلقيه في القمامة، أو على الأحسن يلقيه للطيور التي يربيها، ولم يأمرنا الله تبارك وتعالى أن نغذي الطيور بطهي نطهيه ونضيف له السمن، ونضيف له الأشياء الطيبة، فإنها لا تريد ذلك، وإنما تريد أشياءًا تليق بها في الأكل والطعام.

---

٦١ البخاري ومسلم

فالرجل الذي آتاه الله مالًا فأنفقه في سبيل الله، هذا الذي نغبطه، والحسد هنا يُسمى الغبطة، والغبطة هي أن أتمنى أن أعمل مثل عمله، أو أكون مثله في هذا العمل الصالح، ومعي النية الطيبة حتى يتقبله الله ﷻ مني.

أو رجلٌ آتاه الله القرآن فهو قائمٌ به آناء الليل وأطراف النهار، يتلوه ويتدبره ويعمل به، لا أحسد من يتلو القرآن ولا يعمل به، ولا من يتلو القرآن ويتدبره وفقط، وإنما أغبط الذي يتلو القرآن ولو ما تيسر له: ﴿ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾ (المزمل) ثم يهم للعمل به، ثم بعد ذلك تكون نيته صالحة عند العمل به، وهذا هو التدبر المطلوب من المؤمن: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ (القمر).

علاج الحقد والحسد المذموم

وعلاج هذه الأمور أنَّ المؤمن يعلم علم اليقين أن الرزاق هو الله، وأن الله كما قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ }[٦٢]

وماذا علينا؟ الرضا بما قسم الله، ولا نتطلع لما في أيدي الآخرين إذا كنا عاجزين عن الوصول إليه، أو الحصول عليه.

نسعى لكي نحصل عليه، فإذا لم يُوفِّق الموفق نقنع بما آتانا الله، ولا نبحث عن وسيلة غير مرضية عند الله، إن كان كسبًا حرامًا عن طريق الغش أو الخداع أو الكذب أو الزور، أو إذا لم نستطع نحقد على هذا الإنسان.

والحقد لا يمنع الأرزاق التي ساقها الرزاق، ولكن يمنعني من الوفاق في طريق اللحوق بالرفاق محمدٌ ﷺ وحزبه، ويجعلني لا أستطيع الوصول إليهم ولا نيل ما نالوا ولا تحصيل ما حصلوا.

ولذلك قال ﷺ مشيرًا إلى أغنى الناس، من أغنى الناس يا رسول الله؟ قال ﷺ:

{ ارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ }[٦٣]

---

٦٢ مسند أحمد والحاكم في المستدرك عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
٦٣ جامع الترمذي ومسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه

إن كانت قسمة في الأرزاق الظاهرة، أو قسمة في الأرزاق الباطنة، فكلها أرزاق يقول فيها الخلاق: ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ (٢٠لقمان).

ولذلك لا نجد حسودًا يسود، إن كان في الدنيا أو في الدين، فقد قالوا: الحسود لا يسود، والحقود يُعجِّل بفناء جسمه، ويُعجل بهلاك أعضائه، لأن الحقد أكبر مرض يؤثر على صحة الجسم وعلى صحة القلب.

ولذلك أمر المؤمنين أول جهاد لهم في طريق الله:

جهاد النفس في العمل بقول الله ﷻ في علاه: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (الحجر).

إذًا بعد أن يعتقد الإنسان أن الرازق والرزاق هو الله، ويرضى بما قسمه له مولاه، عليه أن يجاهد نفسه جهاداً شديدًا مع العارف بالله على نزع كل ما في صدره من شجرة الغل، والغل يحوي الحقد والحسد والأثرة والأنانية، وغيرها من هذه المسائل التي تجعل الإنسان يغار من الأحباب، أو يريد أن يكون سوءًا بين أخوين من الأحباب، أو يسعى للإيقاع بين الأحباب، ومثل هذ الذي يفعل ذلك لم يدخل في دائرة الإيمان، وإنما ما زال في دائرة المنافقين والعياذ بالله ﷻ.

ولكي يكون الإنسان مؤمنًا ثابت الإيمان، ويدخل في ساحة التربية ليصل إلى مقام الرضوان، ينبغي أن يتحلى بقول الرحمن: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾ (٤٧الحجر) ويدخل في الإخوان الذين يقول فيهم الرحمن:

﴿ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (الحجر).

ليس بينهم إلا النقاء والصفاء والنور والضياء والبهاء، ومحبة الجلوس على مائدة خير الأنبياء، والعكوف على الصالحين واعتبارهم لهم آباء، والرغبة في الوصول إلى رضا الله ﷻ هي همهم في الدنيا، وأن يحظوا بالتمتع بجمال حضرته يوم اللقاء.

أسأل الله ﷻ أن يُطهر صدورنا ونفوسنا وقلوبنا من كل هذه الأمراض النفسية والقلبية والباطنية، ويُحمِّلنا بالجمالات الوهبية المحمدية.

٢- أهمية الأمانة للسالك

السؤال: ما الأمانة؟ وما أهميتها للسالك في طريق الله ﷻ؟

أمانة الجوارح

هناك أمانة في السمع والبصر والأعضاء، قال ﷺ فيها:

{ أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنَ الْإِنْسَانِ فَرْجَهُ، ثُمَّ قَالَ: هَذِهِ أَمَانَتِي عِنْدَكَ لَا تَضَعْهَا إِلَّا فِي حَقِّهَا، فَالْفَرْجُ أَمَانَةٌ، وَالسَّمْعُ أَمَانَةٌ، وَالْبَصَرُ أَمَانَةٌ }[٦٤]

وأمانة الجوارح أن لا يستخدمها أو يستعملها المرء إلا فيما يرضي الله، فإذا استعمل أي عُضو أو جارحة فيما يغضب الله، ويخالف ما جاء في شرع الله، كان ذلك خيانة، فقد قال الله ﷻ للمؤمنين في شأن العين:

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ ﴾ (٣٠النور) وقال في شأن المؤمنات كذلك:

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ ﴾ (٣١النور).

فإذا حدَّق الإنسان البصر فيما نهى عنه الله – كأن ينظر الرجل إلى غير محارمه، وتنظر المرأة كذلك إلى غير محارمها – وأطال النظر، كان ذاك مخالفًا لتعاليم كتاب الله ﷻ، ولذلك حذَّر النبي ﷺ من ذلك فقال:

{ النَّظْرَةُ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ مَسْمُومَةٌ، فَمَنْ تَرَكَهَا مِنْ خَوْفِ اللَّهِ، أَثَابَهُ جَلَّ وَعَزَّ إِيمَانًا يَجِدُ حَلاوَتَهُ فِي قَلْبِهِ }[٦٥]

الإمام عليٌّ رضي الله عنه وكرم الله وجهه لأنه كان سالكًا في الطريق القويم، وحريصًا على متابعة سيدنا محمد الرؤوف الرحيم ﷺ نبهه النبي ﷺ عن نظرة الفجاءة ..

يعني إذا تفاجأ الإنسان بامرأة أمامه، أو تفاجأت المرأة برجل أمامها ..

---

٦٤ الورع لابن أبي الدنيا عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
٦٥ الحاكم في المستدرك ومسند الشهاب عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه

فقال ﷺ له ولنا أجمعين:

{ يَا عَلِيُّ لَا تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ فَإِنَّ لَكَ الْأُولَى وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةُ }[٦٦]

النظرة الأولى هي التي جاءت فجأة، ليتبين من أمامه، ولكنه يجب أن يسارع إلى غض البصر امتثالًا لأمر الله في كتابه ﷻ.

وهكذا كل الجوارح التي ركَّبها فينا حضرة الرحمن، لا بد أن نستخدمها كما قال الله في صريح القرآن، وكما بيَّن ذلك في هديه النبي العدنان ﷺ.

أمانة المجالس

وكذلك من الأمانات حفظ السر لأي مجلس جلست فيه، إن كان مع فرد أو أكثر، فقال قال ﷺ:

{ الْمَجَالِسُ بِالأَمَانَاتِ }[٦٧]

وبيَن الأمانة التي يجب حفظها عندما يتحدث المرء مع أخ له أو صديق له، فقال ﷺ:

{ إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ الْحَدِيثَ ثُمَّ الْتَفَتَ فَهِيَ أَمَانَةٌ }[٦٨]

إذا تحدثت مع رجل فالتفت ليرى هل هناك من يتصنت أو يسمع فهي أمانة.

يعني لا تحكي ولا تخبر أحد بأي شيء دار بينك وبينه في هذا الحديث، وإلا تكون قد أفشيت السر، وإفشاء السر خيانة ... وإذا كان ذلك في الحديث العادي، فأحاديث الصالحين والعارفين أكثر وأكثر ...!! لأن الإمام أبو العزائم رضي الله عنه يقول:

قد يختبر الشيخ المريد فيحكي له سرًا من أسراره الخاصة ليختبره:

إن أفشى ذلك السر كان ذلك علامة على أنه لا يصلُح لأمانة الأسرار الإلهية !! وإن حفظه ولم يفشه لأحد، كان أمينًا في الأرض، أمينًا على خزائن السماء، أمينًا على علوم المرسلين والصالحين والأنبياء.

---

٦٦ جامع الترمذي وأبي داود عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه

٦٧ اعتلال القلوب للخرائطي ومسند الشهاب بصيغة (المجالس بالأمانة) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه

٦٨ جامع الترمذي وأبي داود عن جابر رضي الله عنه

نموذج الأُمناء

وقد كان أصحاب النبي ﷺ أغلبهم على هذه الصفة الجميلة وهي الأمانة، فانظر معي إلي أبي حُذيفة رضي الله عنه الذي سماه النبي أمين سر المنافقين، وأعطاه أسماء المنافقين وهيئاتهم وعلاماتهم، فلم يكشف هذا السر لأحد أبدًا، حتى لعمر بن الخطاب أمير المؤمنين.

فقد قال له مرة عمر رضي الله عنه: أفيَّ نفاق يا حُذيفة؟ قال: لا يا أمير المؤمنين، ولا تسألني عن شيء بعدها، حفاظًا على أسرار النبوة التي حملها.

وكان عمر رضي الله عنه يتعقبه عند الصلاة على الجنائز، فإذا رأى حُذيفة يصلي على جنازة رجل أو امرأة، ذهب وصلى مع المصلين، وإذا لم يجد حذيفة، تعلل وتعذر ولم يذهب إلى الصلاة على الجنازة، لأن الخبر اليقين كان مع حذيفة وهو يريد أن يتيقن من هذا السر.

أمانة الأسرار الزوجية

وكذلك من الأسرار والأمانات التي أمرنا النبي بحفظها؛ حفظ ما يدور بين الرجل وزوجه، فالعلاقات الزوجية أمانة، ولا ينبغي للرجل أن يُحدِّث بما دار بينه وبين زوجته، ولا ينبغي لزوجة أن تُحدِّث بما دار بينها وبين زوجها، ولو كان ذاك لأقرب الأقربين، فما بالكم بمن يشاهد الغير على الفيس بوك وغيره من البرامج؟! فهذه لعنة أصابت هؤلاء، نسأل الله تبارك وتعالى أن يحفظنا من لعناته وسخطه وغضبه تبارك وتعالى.

أمانة المال

أما الأمانة على المال فهي التي تبين معادن الرجال الصالحين لمصاحبة الصالحين، فقد قال إمامنا أبو العزائم رضي الله عنه: أول ما نختبر المريد بالمال، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه، وهذا اختبار نجده مع الصالحين أجمعين، فقد شاهدتُ أكثر من رجلٍ من الصالحين يوكل ساحته إلى رجل يرى فيه الصدق والأمانة، ويهمس له بعض المحيطين ويقولون له: لِمَ لا تحاسبه؟ فيقول: نحن لا نحاسب أحدًا، وإنما يحاسبه الله تبارك وتعالى.

وأعظم خيانة تمنع الإنسان من كل خير في دنياه، ومن كل نجاة يوم لقاء الله، ومن اللحاق بركب الصالحين، وشفاعة سيد الأولين والآخرين، أن يخون أحد المريدين شيخه في

شيء دنيوي ائتمنه عليه من الدنيا الدنية، لأنه يُثبت بذلك أنه غير أهل للمجالس النورانية العلية، ويخرج منها مذؤومًا مدحورًا، وإن كان يظن أنه قريب، ولكنه في قلبه وبروحه وبكله غريبٌ عن هؤلاء، وإن كان يتعايش معهم بظاهره، لكن الله ﷻ يعلم السر وأخفى.

ولذلك رُوي أن زوج السيدة زينب بنت رسول الله ﷺ، وهو ابن خالتها وهو العاص بن الربيع، كان آتيًا في قافلة لقريش من بلاد الشام وما زال لا يؤمن بعد، ولأنه لم يؤمن فإن النبي أمره أن يفارق زينب، وأن تلحق به في المدينة، فامتثل للأمر لأنه كان يحبها، ولا يريد إغضابها، وبينما هو راجعٌ مع تجارته أخذه المسلمون أسيرًا وذهبوا به إلى المدينة المنورة، فشرح الله صدره للإسلام، ونطق بالشهادتين أمام المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، فهمس في أُذنه بعد ذاك بعض المنافقين وقالوا له: ما دمت قد أسلمت فلا ترجع إلى مكة وزوجك هنا وهذا المال خذه غنيمة لك، فانظر إلى رجل نطق بالشهادتين فقط، ولكنه علم سر الإسلام بإلهام الله ﷻ له في قلبه: ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ (التغابن) قال: بئسما نصحتني به يا أخي!، أتريد أن أبدأ عهدي في الإسلام بالخيانة، لأنه يعلم أن الطريق السديد هو الأمانة لقوله ﷺ:

{ لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلاَ دِينَ لِمَنْ لاَ عَهْدَ لَهُ }[٦٩]

بل أنه أوصى من غدر بالإنسان وخانه فقال ﷺ:

{ أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ }[٧٠]

صفات السالك الوفي

فإن المسلم دائمًا أمين، والمسلم يدخل على حضرة النبوة بما اتصف به النبي قبل الرسالة، وكان يُسمى الصادق الأمين، ويدخل على معية خير الأولين والآخرين، ويدخل في رحاب الصالحين بالصدق والأمانة التي يضبط عليهما تصرفاته وأحواله في كل وقت وحين ... فإن اختلَّ تصرفٌ منهما نأى وبعُد عن المقام، وإن كان جالسًا تحت الأقدام، لأن الصالحين ينظرون بعين الله، والله ﷻ كما قال ﷺ:

٦٩ مسند أحمد وابن حبان عن أنس رضي الله عنه
٧٠ جامع الترمذي وأبي داود عن أبي هريرة رضي الله عنه

{ إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ }[٧١]

وكذاك الصالحون ينظرون إلى قلوب الآخرين بنور رب العالمين ﷻ.

وانظر إلى جموع المؤمنين عندما دخلوا ديوان كسرى، ورأوا خزائن لا تُعد ...

وأرسلها سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه إلى المدينة على جمال كان أولها في المدينة، وآخرها في المدائن في فارس الآن ...

وهؤلاء عندما دخلوا على هذه الكنوز المبهرة أدُّوا كل ما عثرت عليه أيديهم، حتى من عثر على إبرة كان يؤديها لقائده، ويرفض أن يدُّس شيئًا خفية في جيبه، أو في أثاثه، أو فيما معه من ثياب، لأن النبي ﷺ أمرهم أن يكونوا أمناء، فكانوا أمناء.

وعندما رأى ذلك أصحاب النبي، ورأوا ما لا يُعد ولا يُحد من الجواهر ومن الذهب ومن النقود الذهبية ومن الديباج ومن الحرير ومن المصنوعات التي لم يسبق لهم رؤيتها من قبل، قال عمر رضي الله عنه:

(إن قومًا أدُّوا هذا لأمناء).

فقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه:

(عففت فعفَّت رعيتك يا أمير المؤمنين).

ما فتحوا البلاد وقلوب العباد إلا بالصدق والأمانة اللتان ورثوهما من سيد العباد ﷺ، فلا ينال أي مريد ولو ذرة من ميراث النبوة، إلا إذا تجمَّل بالصدق في أقواله، والصدق في أفعاله، والصدق في أحواله.

والأمانة في كل نواحيها التي أشرنا إلى بعضها، نسأل الله أن يجعلنا أجمعين من الرجال الذين يقول فيهم في كتابه المبين:

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ (الأحزاب).

---

٧١ صحيح مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه

٣- أحوال المسبحة

السؤال: سمعنا من بعض الصالحين أن للمسبحة أسماء كحال صاحبها ..

فقالوا: إما مِسبحة ... أو مَذبحة ... أو مَفضحة، ما معنى ذلك

الحقيقة أن الصالحين أناسٌ حكماء لا يصدر منهم قولٌ أو عمل إلا إذا دققوا في إخلاص القصد لله تعالى قبله وأثناءه، فلا يفعل شيئًا جزافًا.

كثير من الناس جعلوا المسبحة كالميدالية يحملها في يده، ولا يسبح بها، حتى رأيتُ بعض القراء يمسك المسبحة في يده، ويضعها هنا وهنا.

وهناك بعض الدراويش ويقول الناس أنهم مجاذيب، يضع مسبحة كبيرة ألفية على رقبته حتى إذا رآه الناس يقولون إنه رجل من المجاذيب ورجل من الصالحين.

لكن الصالحون قالوا: الناس في حكمهم في حمل المسبحة ثلاثة أصناف:

إما مسبحة فيمسكها ليسبح عليها، فإذا إنتهى من التسبيح يضعها في جيبه، كما نفعل في ختام الصلاة، فالإنسان يخرجها ليعد عليها، فإذا انتهى من العد يضعها في جيبه، أو يريد أن يستغفر مائة مرة، أو يصلي على النبي مائة مرة، أو يسبح مائة مرة، فيُخرج المسبحة لتعينني إذا كنت أريد ذلك، فاسمها هنا مسبحة.

وإذا كنت أحملها ولا أسبح عليها فهذه مفضحة، لأني أفضح نفسي أمام الناس، لأني أريد أن أتشبه بالصالحين، وأنا غافل من الغافلين، لأني ساكت ولا أتكلم ولا أذكر.

أو جالس على كرسي في الطريق وأمسك المسبحة في يدي حتى يقول الناس سيدنا الشيخ، وكيف حالك يا شيخ فلان؟ وادعوا لنا يا شيخ فلان، وكل هذا فضيحة والعياذ بالله، نسأل الله الحفظ من هذا الوباء ومن هذا الداء.

والذي يعلقها في رقبته فستذبحه، وتذبحه يعني يُنحَّى به، ولا يدخل في طريق الصالحين ولا يشم رائحة العارفين أبد الآبدين، لأنه لا أحد من العارفين عمل هذا أبدًا.

هل سمعتم عن أحد العارفين الكبار كان معلقًا مسبحة وحاملها على رقبته؟ لا أحد، كلهم المسبحة يعلقها في الخلوة، وعندما يدخل الخلوة يسبح عليها، وبعد أن ينتهي من الخلوة يعلقها في نفس الخلوة، ولا يريها لأحد.

وهم يجدوا ويجتهدوا إلى أن يصلوا إلى حال الذكر القلبي، لماذا؟ يقولون: نكون مع الناس، والناس لا يرون ما يتحرك بداخلنا، نائمين والقلب يتحرك نحو مولاه، يمشون والقلب مشغول بذكر الله، لكن هل أحد يرى أحد من الجالسين شيئًا؟ لا، وهذا الكمال لأهل الكمال، يكون مع الله ولا يراه من حوله من خلق الله إلا من أعطاه الله نورًا يشعر به أو ينظر إلى قلبه بنور الله ﷻ.

٣- مرض سوء الظن

السؤال: مرض سوء الظن من الأمراض التي تؤخر المريد وربما تقطعه في طريق الله، ما كيفية علاجه؟ وما كيفية ميزان أعمال الصالحين ورؤيتهم؟

مرض سوء الظن من الأمراض المهلكة، التي إذا تعرض لها وأُصيب بها مريد، فإنه لا يتقدم أُنملة في طريق الله ﷻ.

وسوء الظن معناه أن يسمع الإنسان كلامًا من أخيه، أو يرى منظرًا لأخيه، فيُحدث له معنىً سيئًا في نفسه، مع أنه لا يعلم المعنى الذي يقصده أخيه، إن كان في كلامه، أو كان في مظهره ومنظره.

فإذا رآه مثلًا وقد يكون في حالة ضائقة شديدة، ويظهر عليه الوجوم والحُزن، وهو ذاهبٌ إليه ربما يظن أنه واجمٌ منه، ويؤوله يتأويلات وتبريرات كثيرة ليقنع نفسه بظنه الذي ظنه، مع أنه ظن السوء، وقد حذَّر من ذلك الله ﷻ في قرآنه الكريم فقال عز شانه: ﴿ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ (١٢الحجرات).

إن بعض الظن قد يصل إلى درجة الإثم، الإثم هو الذنب، وذلك إذا ظن الإنسان

بأخيه ظنًا لا يُفكر فيه أخيه لأنه خَيِّر ويعمل الخير ويحب فعل الخير، وهو ظن أنه يُضمن له الشر، أو يحاول أن يمكر به ليوقع به في شر، فهذا الظن في الحقيقة ذنبٌ يحاسبه الله ﷻ عليه، وقال ﷺ مُحذرًا من ذلك:

{ إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ }[٧٢]

وإياكم يعني أُحذركم تحذيرًا شديدًا من الظن، وجعل الظن كذبًا لأن الإنسان يُحمِّل أخاه ما لم يكن في نيته، ولم يسمعه في قوله، ولم يستبن له في عمله، فهذا كذبٌ على هذا الأخ الذي ظن فيه الظن السيء والعياذ بالله ﷻ.

حسن الظن بالله

ولذلك لا بد للمريد أن يكون أولًا حسن الظن بالله، وحُسن الظن بالله من أكبر علامات سلامة القلب وصفائه ونقائه وحب الله ﷻ للعبد.

وحُسن الظن بالله تعالى أن العبد إذا صادفته الأقدار بشيء لا يرضاه في حياته أو في نفسه أو في ماله أو فيمن حوله، لا يُحمِّل ذلك كما يفعل بعض الجهال على الذات الإلهية، ونسمع منهم عبارات شركية، كأن يقول: ربنا لا يحبني، ولماذا يفعل بي كذا؟! وينسب الشر الذي نزل به والضُر الذي أصابه لله، مع قول الله ﷻ في صحيح القرآن:

﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ ﴾ (٧٩النساء).

فالإنسان إذا مسَّه ضُر، أو أصابه شر يلوم نفسه ويعاتبها ويحاسبها ليتبين له الموضع الذي أخطأ فيه، وتسبب في هذا الأمر، لكن لا ينسب إلى الله إلا كل كمال، وكل خيرٍ وكل شيء يُسر به البال، ويفرح به القلب وينشرح به الصدر.

ولذلك يقول الله ﷻ في حديثه القدسي:

{ أَنَا عِنْدَ حَسَنِ ظَنِّ عَبْدِي بِي }[٧٣]

إذا أحسنت الظن بالله فياهناك في المنزلة العظيمة التي تحل فيها في القرب عند

---

٧٢ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

٧٣ فوائد تمام الرازي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

حضرة الله، والمودة التي يشملك بها الله، والعناية التي يُحيطك بها حضرة الله ﷻ، لأنك محبوبٌ لله، ومحبوب الله يرى الخير على الدوام.

وأصحاب النبي ﷺ لمَّا منعهم أهل مكة من دخول مكة في عام الحديبية، وتهامسوا فيما بينهم، وروَّج بينهم بعض المنافقين أنه لو كان نبيًا لصدَّقنا، ودخلنا مكة لأننا جئنا معتمرين، ولم يعلموا ما يخفيه لهم الغيب من الخير في هذا الأمر، لكن الحبيب ﷺ وهو أكمل الناس في حُسن الظن بالله، قال:

{ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللَّهُ أَبَدًا }[٧٤]

مطمئنٌ تمام الإطمئنان أنه في يد الله، وأن الذي يُحركه هو قدرة الله، وأن الله ﷻ لا يسعى به إلا إلى الخير كل الخير له وللمؤمنين أجمعين.

فمن حُسن الظن بالله أن العبد لا ينسب أي قصور أو تقصير أو ضُر أو شرٍ أو مرض أو عيب أصابه إلى الله، بل ينسبه لنفسه، ويُفتِّش في نفسه ويحاسبها، وينزِّه الله ﷻ عن هذه الخواطر المردية، التي تُسقط منزلته ولو كان من كُمَّل الصديقين.

حسن الظن بالناس

كذلك على العبد أن يُحسن ظنه بإخوانه وأحبابه والمعاشرين له ومن حوله من الناس أجمعين، بأن يحمل أمورهم على أحسنها.

فإذا استمعت إلى كلمة أو عبارة من أخي، لماذا أُسارع للهواجس التي تجعلها نفسي تدور في خلدي؟! وأقول إن هذا الأخ يريد بي كذا ،أو أراد بي كذا، وأظن ظن السوء، وظن السوء هنا لأنه يسمع إلى حديث نفسه، ولا يسمع وجيب قلبه، فلو سمع إلى وجيب قلبه – والقلب يتلقى من الله – فإن القلب يُلهمه بمحامل طيبة نحو أخيه.

ربما يريد لي كذا، ربما أراد أن يفعل لي هذا من أجل كذا، ربما اختار لي أفضل من هذا وهو كذا وكذا، ربما صدَّني عن هذا الأمر لأنه يعلم أن فيه ضُرٌّ لي، ويحمل أمر أحبابه جميعًا ومن حولهم على أحسنها، حتى قالوا:

---

٧٤ البخاري ومسلم عن سهل بن حنيف رضي الله عنه

((التمس لأخيك ولو سبعين بابًا من العُذر فإن لم تجد عُذرًا من سبعين، فقل العيب فيَّ وليس في أخي))

يعني سبعين بابًا من المحامل الطيبة الخيِّرة، فلا ينبغي أبدًا لأي سالك في طريق الله ﷻ أن يظن ظن السوء في إخوانه.

والأعظم من ذلك أن يظن ظن السوء في شيخه، لأنه يتعجل الفتح، والإنسان كما قال الرحمن: ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾ ﴾ (الإسراء).

وخاصة إذا سمع من بعض المبتدئين الذي يُعطونهم بعض الأشياء القليلة ليحببونهم في طريق الله كالرؤيا المنامية، والرؤيا تكون في البداية لأهل البداية لتثبيتهم حتى يُكملوا إلى النهاية، ولكنه إذا مشى في الطريق وقرَّ واستقرَّ وثبت يقينه، يُمنع عن الرؤيا لأنه يطلب أعظم منها وهو الكشف، أو الرؤيا الحقَّة الصادقة التي يُكرم الله بها الصادقين، ولذلك قالوا: إذا كمُل يقين العبد حُرم الرؤيا.

فإذا كان يتلذذ بالرؤيا المنامية، فهذا كالطفل الذي يتلذذ بالرضاع من ثدي الأم، فلا بد له أن يُفطم لكي يأكل الأكل الشهي بأسنانه، ويلوكه بلسانه، ويقوى على ضروب الحياة بقوته التي يأخذها من هذا الغذاء الذي جعله الله للأقوياء.

وإلا سيظل ضعيفًا إذا اعتمد على لبن الأم لأنه غذاءٌ للضعفاء الذين لا يستطيعون تحصيل غذاء الأقوياء، فإذا طمع في شيء ولم يقدم لربه ما يستحق به هذا الشيء، فهذا أكثر المريدين في زماننا، يريدون فتح الله وإكرامات الله والعلوم الوهبية والأسرار الربانية والأحوال العلية بدون جهاد، وهذا لا يكون أبدًا:

تريد أن ترى حسني وترقى بلا حربٍ شديدٍ لا يكون
فمن رام الوصال إلى جنابي أصفيه وفي هذا فتون

ونفسه الإبليسية أو نفسه الحيوانية أو نفسه الجمادية أو نفسه النباتية أو غيرها من النفوس توهمه أنه يستحق كذا وكذا من فيض الملك القدوس، فإذا لم يصله شيء لأنه لم يقدم لهذا الأمر شيئًا، ربما يظن السوء بشيخه ويقول كما نسمع من البعض: الشيخ لا يحبني، ولو كان يحبني لكنت مثل فلان وأصبح عندي كذا وكذا.

والشيخ لا شأن له بهذه الأمور ... فالشيخ مندوبٌ عن حضرة رسول الله، ورسول الله ﷺ يقول:

{ وَاللَّهُ الْمُعْطِي وَ أَنَا الْقَاسِمُ }[٧٥]

أنا أمين مخازن، ولا يستطيع أمين المخازن أن يصرف من مخزنه إلا بإذن من رئيسه المباشر، وإلا كان مختلسًا، ويُعطي الأمانة لأهلها التي ذُكرت له في هذا الإذن المباشر.

فإذًا الإنسان إذا لام، لا يلوم إلا نفسه، قال ﷺ:

{ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ }[٧٦]

ويعلم علم اليقين أن شيخه يحب له الخير كل الخير:

ولكنه إذا كان مُؤهلًا لذلك الخير، ويستطيع أن يحفظ السر ولا يبيح به لغير أهله، أعطاه له الله في الوقت والحال.

وإذا علم منه كما أراه الله أنه لا يستطيع كتمان هذا السر، وربما يُبيح به فيفضح أسرار الحضرة الإلهية، وتعرض للمقت وللغضب، أخَّره إلى حياته الأُخروية، واحتفظ له به في الميعاد، فلا يُعطون السر إلا لمن يستطيع حفظ السر، ومن لا يستطيع حفظ السر يؤجلون له عطاءه إلى أن يبلغ:

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٢٢ ﴾ (يوسف).

إذًا لا ينبغي للمريد أن يُسيء الظن بالحق ﷻ، ولا بشيخه، ولا بأحبابه في طريق الله ﷻ، ولا بمن حوله من الناس أجمعين، إن كان من الجيران، أو من الزملاء في العمل، ويُحسِّن نيته ويأخذ الأمور على أحسنها، وله بذلك عظيم الأجر والثواب وحُسن الجزاء عند الله ﷻ.

أسأل الله ﷻ أن يُحسن نوايانا، ويُصفي طوايانا أجمعين، ويباعد بيننا وبين ظن السوء كما باعد بين المشرق والمغرب أجمعين.

---

٧٥ البخاري ومسلم عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه

٧٦ صحيح مسلم والبيهقي عن أبي ذر رضي الله عنه

٤- مرض حب الرياسة والتمشيخ

السؤال: من الأمراض المتوطنة للمريد حب الرياسة والمشيخة، كيف يكون التخلص منها؟ وما علاجها؟

حب المشيخة وحب الرياسة داءٌ كائن في نفس كل إنسان، فالنفس كفرعون تريد الرياسة، وتريد الظهور، وتريد أن يكون حولها الجموع الحاشدة، والمعجبين، والمرددين للألفاظ التي تروق للسامعين، فكل إنسان لم يتخلص من جهاد النفس يكون على هذه الكيفية، ولا يزال الإنسان يجاهد نفسه حتى يتغلب على نفسه، ويتخلص من أهوائها وشهواتها، ويكون بعد ذلك قائمًا بالله لله ﷻ.

الذي يدفع الإنسان إلى حب التمشيخ والرياسة، هو أنه يحب أن يكون له شيء، ويكون له رياسة على غيره، فيكون له تسلط على البعض، ويكون له قولٌ مسموعٌ عند البعض، ويكون له وجاهةٌ عند البعض، ويكون له منزلة عند البعض، وهذه كلها من آفات النفس.

أما المؤمن الصادق لا يهمه إلا أن يكون له منزلةٌ عند الله، ووجاهةٌ عند الله، وكلمة مسموعة عند حضرة الله، إذا دعاه أجابه، وإذا سأله لباه، وإذا طلب منه أعطاه، فيكون له عنده ﷻ منزلة عالية، ولا يهمه ما عند الناس:

فليت الذي بيني وبينك عامرٌ ... وبيني وبين العالمين خراب
إذا صحَّ منك الود فالكل هينٌ ... وكل الذي فوق التراب تراب

ولذلك قال سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: ((آخر داء يخرج من قلوب الصديقين، حب الرياسة)) لأنه داءٌ شديدٌ وصعب، والنفس تتمناه وتشتهيه، ولو حتى صعدت إلى حد ما بمنازل المقربين، وفي درجات الواصلين لله رب العالمين، يظل هذا الداء إلى أن تفنى بالكلية ويكون مقصد العبد ليس إظهار نفسه، ولكن إظهار مولاه، وإظهار دين الله، وإظهار شرع حبيب الله ومصطفاه ﷺ.

لا يحب أن يعرفه الخلق، لكن يحب أن يعرف الخلق عن طريقه الحق، يُعرِّفهم بالحق لا بنفسه، ويُعرِّفهم بالحبيب الأعظم، وينسب إليه كل فضل، وإذا تحدثوا حوله بما يقول لهم، يقول لهم كما قال إمامنا أبو العزائم رضي الله عنه:

كل الذي أنا فيه فضـــل محمدٍ منه بدا وإليه كان وصـــوليا

ينسب كل ما يظهر منه من خير وبر وفضل إلى رسول الله ﷺ، أو إلى حضرة الله ﷻ، ولا يرى من نفسه إلا ما يخرج من النفس من سوءاتها، ظلمه وجهله وغفلته وضلاله إذا تخلى عنه مولاه، ولو تخلى عنه مولاه بعنايته كيف سيكون حاله؟ وكيف سيكون مآله؟ ولذلك كان أصحاب حضرة النبي ﷺ الأصفياء يقولون:

اللـهـم لـولا الله مـا اهـتـديـنـا ولا تصـــدقـنـا ولا صـــلـيـنـا

فإذًا كل الذي نحن فيه من الخير والعمل الصالح بمعونة الله، وتوفيق الله، ونظرات وإمداد رسول الله، وتوجيهات أئمتنا من المشايخ والصالحين، ويكفينا شرفًا وتيهًا وفخرًا أنهم شرفونا وأقامونا في هذا المقام العظيم الذي لا يقيم فيه الله إلا من أحبه وارتضاه، وجعل له منزلة عالية عنده في الدنيا ويوم لقياه.

ولذا يقول سيدي أبو العباس المرسي رضي الله عنه مبينًا أنواع العبيد في هذا المقام:

((من كان يحبُّ الظهور فهو عبدٌ للظهور، ومن كان يحبُّ الخفاء فهو عبدٌ للخفاء، ومن كان عبدًا لله، سواءً عليه أظهره أو أخفاه)).

لو اجتمع عليه الملايين، كما لم يجتمع عليه إلا رجلٌ أو رجلين، هذا يساوي هذا، فلا يغتر بالملايين، ولا يرى في نفسه ضيمًا إذا كان عنده نفرٌ أو نفرين، لأنه يؤدي رسالة الله، كما قال إمامنا أبو العزائم موضحًا هذه القضية: ((خلقك ليظهر، لا لتظهر)).

فالعبد الصادق الذي يُظهر ما فيه من جمال جمَّله به مولاه، ومن كمال كمَّله به حبيب الله ومصطفاه، ومن حُسن أدب أدَّبه به شيخه في الله، وينسب كل ذلك لأهله، ولا ينسب لنفسه حرفًا ولا قدرًا ولا شيئًا من ذلك، وهذا هو السبيل للتخلص من الرياسة وحبها، والمشيخة والسعي لها.

فيسعى الإنسان لإظهار جمال الله لخلق الله، وإظهار كمال رسول الله للمقربين من حضرة الله، وإظهار كمالات شيخه للمبتدئين في طريق الله، وهو بعد ذلك يسلخ نفسه من كل ذلك، ولا يرى لنفسه فضلًا إلا أنهم أقاموه وشرفوه، وأعانوه في هذا المقام العظيم، وهذا يحتاج إلى الدخول في مقام الفناء عن كل الحظوظ والأهواء:

فنى من شـــاهد المجلى ونال الســـــر وارتاح
وغـنَّى بالحـقـائـق مـن رأى الأشـــبـاح أرواح

أسأل الله ﷻ أن يحققنا بهذا المقام أجمعين.

٥- الصبر في طريق الله

السؤال: ما فضل الصبر مع الشيخ؟ وهل يستطيع الإنسان أن يمشي في طريق الله نَفَسًا بغير مدد الصبر من حضرة الصبور ﷻ؟

ألهم الله ﷻ القوم الصادقين حينما خرجوا لله ﷻ مجاهدين أن يقولوا في الدعاء: ﴿ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا ﴾ (٢٥٠البقرة).

فكأن الصبر يأتي إمدادًا لمن يحبه الله ويجتبيه، ويريد أن يرفعه إلى مقامات الصالحين والمقربين، وقد قال الله ﷻ جازمًا في درجات الجنة، وفي الدرجات العلية الوهبية عند حضرته: ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥ ﴾ (فصلت). أي ما يُلقَّى هذه الدرجات إلا الذين صبروا.

وقال الله ﷻ لمن عنده رغبة أن يكون شيخًا للناس، أو يكون إمامًا للأبرار والمتقين، أن يتضرعَّ بالصبر العظيم لقوله ﷻ: ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ ﴾ (٢٤السجدة)، فيتدرج الإنسان في درجات الصابرين مع الله ﷻ، فيصبر كما صبر أُولوا العزم من المرسلين والوارثين والمقربين أجمعين، كما قال الله لنبيه ﷺ: ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ (٣٥الأحقاف) يعني اجعل صبرك يعادل ويساوي صبر أولو العزم من الأنبياء والمرسلين أجمعين، ... فانظر إلى هذه الدرجة العُظمى.

ولما كان ﷺ متدثرًا بثياب العبودية لله، ولا يرى لنفسه قدرًا ولا منزلة عند مولاه، ولا يرى أنه يصنع أو يفعل شيئًا إلا بتوفيق الله، ومعونة الله، وحول الله، وطول الله، قال الله ﷻ له: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ (النحل ١٢٧) أي أن الله ﷻ هو الذي يُمده بمدد الصبر الجميل: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ (يوسف ١٨).

والصبر الجميل هو الصبر الذي ليس فيه شكوى، ولا منازعةٌ في النفس، ولا القاء اللوم على حضرة الربوبية، بل تسليمٌ كامل لأقدار الله، وما يجريه المولى ﷻ على العبد، حتى ينال ما يرجوه وما يُرضي حضرة الله ﷻ، يقول الإمام أبو العزائم رضي الله عنه متحدثًا بلسان الحضرة الإلهية:

تريـد أن ترى حُســـني وترقى بلا حربٍ شـــديـدٍ لا يكون

والحرب الشديد هنا مع النفس ومع الحاقدين ومع الحاسدين ومع المنافقين ومع همزات الشياطين .. حرب متعددة المواقف يقول فيها الله ﷻ: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ (غافر ٥١).

تريـد أن ترى حُســـني وترقى بلا حربٍ شـــديـدٍ لا يكون
فمن رام الوصـــال إلى جنابي أصـــفيـه وفي هـذا فتـونٌ

والتصفية تحتاج إلى صبر طويل، فإذا أكرمه الله وجعله يتجاوز هذه الفتن والمحن ولا يقع فيها، كان من المطلوبين لحضرة الله، وخصَّه الله بما خصَّ به حبيبه ومصطفاه من العطاءات الإلهية ومن المنح الربانية.

فالصبر مطلوب للمريد من بداية الطريق، وإن المرشدين الصادقين دائمًا وأبدًا يبدأون باختبار الطالبين الصادقين في أمور تحتاج إلى الصبر الطويل، كأن يُنزله في غير مكانته، وينظر هل يرضى بذلك أو لا يُسلم لذلك.

رُوي أن سيدي إبراهيم الشلقامي رضي الله عنه ساكن أبا الوقف التابعة لمركز مغاغة في محافظة المنيا، وكان شيخًا من أكابر أهل المكاشفة، وكان تلميذه النجيب سيدي أبو الليل وهو الآن في بني مزار قُطبًا يُزار بعد أن نجح في الإمتحان.

فكان الشيخ يأمر المريدين عند تناول الطعام إذا كان هناك لحمٌ أن لا يأكلون إلا إذا وزَّع الشيخ بنفسه عليهم اللحم، فكان يُوزع اللحم على المريدين، ويُعطي لابنه النجيب سيدي أبو الليل عظمة يأكل فيها، وبعد فترة طالت وهو لا يتغير ولا يتحوَّل، جاء ذات يوم وأعطاه قطعة لحم، فنظر فيها ثم قال: يا سيدي إن هذا ليس نصيبي – لأنه عُوِّد أن نصيبه عظمة – قال الشيخ: أنت نجحت فكل اللحم، فكان هذا اختبارٌ له في البداية.

فالمريد في بدايته يريد أن يكون موضع عناية الشيخ ومن حوله، فإذا أهملوه ولم يراعوه ولم يستقبلوه، ربما يجد في نفسه شيئًا ويتركهم ويُولي هاربًا، وهو بذلك لم ينجح في هذا الاختبار.

وربما يأمره شيخه وهو رجلٌ من الأكابر أن يكنس المكان، فيستعظم أن يكنس المكان فيُطرد من هذه الحضرة وهي حضرة الجنان، يقول فيها حضرة النبي ﷺ:

{ إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا }[٧٧]

وربما يأمره أن يتجهَّز ليتناول الطعام عنده، فإذا جهَّز الطعام وخرج الشيخ من المسجد فأمسك فيه رجلٌ من الفقراء، فيأمره أن ينقل الطعام من منزله إلى منزل هذا الفقير، فإذا تغيَّر أو تحوَّل، يقول له: هذا فراق بيني وبينك.

فاختبارات المريدين في البدايات تكون في هذا الصبر الجميل الذي يحتاج إلى تعود الإنسان على تحمل المشاق والمصاعب حتى يصل إلى مراضي الله.

وما من نبيٍّ من الأنبياء عرفنا سيرته إلا ونظرنا إلى قدر ما تَحمَّله من الصبر في بدايته عند تأهيله لدعوة الله، وعند قيامه بدعوة الخلق إلى الله.

وكذا الصالحون أجمعون يحتاجون إلى الصبر في البداية ليُأهلوا أنفسهم ويُصفُّوا قلوبهم، ليصلوا إلى ما يحبه لهم الله من المنازل العلية، وبعد ذلك يلاقون الشدائد التي لا يتحملها أحدٌ من البشر في سبيل تبليغ دعوة الله، ولا يرجون من وراء ذلك إلا رضاه ﷻ.

إذًا الصبر هو عُكَّاز المريد الذي يتوكأ عليه في كل حركاته وسكناته !!!

---

٧٧ جامع الترمذي ومسند أحمد عن أنس رضي الله عنه

بل هو عُكَّاز المؤمن الذي يريد به أن ينجو من فتن الدنيا وامتحاناتها وبلاءاتها، وأن يتحرى الحلال ويبتعد عن المعاصي والشبهات والحرام، فهذه وهذه تحتاج إلى صبر طويل، لينجو من دخول النيران، ويحظى بدخول الجنان.

فما بالكم بمن يريد أن يخلع الله عليه خلع الرضوان، وأن يكون من أهل الكشف والعيان؟! إن هذا يحتاج إلى صبر طويل، لا نستطيع أن نصفه.

نسأل الله ﷻ أن يُجمِّلنا بخُلُق الصبر في كل أحوالنا؛ الصبر عن معاصي الله، والصبر على طاعة الله، والصبر على الفتن التي تقع بنا وحولنا في هذه الحياة، والصبر على المكاره في إبلاغ دعوة الله، وأن يجعل هذا العمل خالصًا ابتغاء وجه الله.

٦- الأعمى والبصير

السؤال: ما معنى قول الله تعالى:

﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ ﴾ (فاطر)

الأعمى هنا أعمى القلب، الذي ليس في قلبه نور يرى به أنوار النبوة وأنوار الرسالة وأنوار الوحي والإلهام الإلهي:

﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ (الحج)

هل يستوي الذي استودع الله في قلبه نورًا يدرك به نور الإيمان ... ونور الرسالة ... ونور الوحي: ﴿ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ (الشورى) مع الآخر: ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ (النور) ؟؟

فهل هذا مثل هذا؟! لا، ... الأول أعطاه الله وتفضل عليه بالنور، ... والآخر لا يريده الله ﷻ لما في صدره وفي قلبه من شقاق ونفاق وغيره، فطمث الله على قلوبهم:

﴿ فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (يس).

ماذا يبصرون؟ ... يرى الشمس ويرى الكهرباء ويرى الشجر ويرى الناس، لكن لا يرى ما في القلوب من حقائق استودعها فيها رب الناس !!!

فالكفار هل شاهدوا حضرة النبي؟ ... هم رأوه، وهل نقول عليهم صحابة لأنهم رأوا النبي؟ لا !!، لأن الله قال: ﴿ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ ﴾ (الأعراف) ... لا يرون النور الذي بداخلك ... وهذا هو الأساس.

والظلمات هي ظلمات الكفر والشرك والنفاق، والنور هو نور الإيمان.

فالنور واحد والظلمات كثيرة، إن كانت ظلمات الكفر وظلمات الشرك وظلمات الذنوب وظلمات المعاصي ... ظلمات كثيرة بدون حساب ... والظلمات مع كثرتها لا تستطيع أن تقف أمام النور، فمهما جمعوا ظلماتهم وأجَّجوا ظلماتهم لا تستطيع مواجهة النور، لأن النور من الله ﷻ.

هذا معنى بسيط للأعمى والبصير والظلمات والنور، والتفصيل موجود في كتابنا (تفسير آيات المقربين).

٧- كتمان الأسرار

السؤال: ما أهم أدب كان يؤدب به النبي أصحابه الكرام؟

أول أدب كان يؤدب به رسول الله ﷺ أصحابه الكرام هو كتم السر، وأول درس للصغار تدريبهم على كتم السر، لماذا؟

لأن معظم مشاكل المجتمع من إفشاء الأسرار، فأنا عندما أسمع من إنسان كلام فلا أحد منا يستطيع أن يعيده كما سمع، إلا إذا سجله بهاتف أو غيره، فإذا أعاد الكلام إما أن يزيد شيئًا أو ينقص شيئًا، وهنا قد يخرج الكلام عن مقصده، وهذه ناحية، الناحية الأخرى عندما أتكلم يكون لي نية في الكلام ومقصد في الكلام، فمن أعاد هذا الكلام، هل يعرف ماذا في نيتي أو ما مقصدي في هذا الكلام؟ لا، فلماذا أعيد الكلام؟!

فكان ﷺ يحرص على هذا حرصًا بالغًا، فعندما أراد أن يهاجر من مكة إلى المدينة ذهب لسيدنا أبو بكر في ساعة الظهيرة، فوجد عنده ابنته الكبرى السيدة أسماء وابنته الصغرى السيدة عائشة فقال:

{ أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا هُمَا ابْنَتَايَ يَعْنِي عَائِشَةَ وَأَسْمَاءَ، قَالَ: أَشَعَرْتَ أَنَّهُ قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ، قَالَ: الصُّحْبَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الصُّحْبَةَ }[٧٨]

ومن فرحته طفرت الدموع من عينيه، ولذلك السيدة عائشة تقول:

{ فَلَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ يَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ }[٧٩]

بعد أن مشوا جاء أبو جهل وكان عنيفًا وشديدًا، فقابلته السيدة أسماء، فقال: أين أبوك؟ قالت: لا أعلم، فضربها ضربة شديدة أطارت قرطها من أذنها من شدة الضربة، وجاء جدها وكان على الكفر، وكان كفيفًا، فقال لهم: أظن أن أبوكم أخذ ماله معه كله وترككم بدون شيء، قالت له: لا، بل ترك لنا الخير كله، وكانت الأموال ذهبًا وفضة ولم تكن ورقًا كأموالنا هذه، فجاءت بحجارة ووضعتها في المكان الذي يُوضع فيه المال ووضعت عليها قماشة وقالت له: تعالى وانظر، فوضع يده عليه، وقال لها: إن كان قد ترك لكم هذا فقد ترك لكم خيرًا كثيرًا.

السيدة أم سليم أم سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنهما، كانت من كبار الصالحات، نذرت قبل الإسلام إن رزقها الله بولد أن تجعله خادمًا للكعبة، فرزقها الله بأنس، فلما هاجر رسول الله ﷺ للمدينة وأسلمت كان أنس عنده عشر سنين، فقالت: يا رسول الله كنت قد نذرت أنسًا للكعبة واليوم أهبه لخدمتك، فكان سيدنا رسول الله يرسله لحاجة ويجد جماعة من الصغار يلعبون فيلعب معهم، لأنه كان طفلًا صغيرًا، ثم يتذكر حاجة رسول الله فيذهب إليها، وذات يوم كانت أمه تمشي فوجدته وسألته: إلى أين يا أنس؟ قال لها: كلفني رسول الله بأمر، قالت له: وما هذا الأمر؟ قال: ما كنت لأُفشي سر رسول الله، فاحتضنته ... وقبَّلته ... وقالت له: هكذا فكن !!

---

٧٨ صحيح البخاري وابن خزيمة عن عائشة رضي الله عنها
٧٩ تاريخ الطبري عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه

أما الآن إذا كان الرجل ذاهب ليزور أخاه، تقول له زوجته: خذ ابنك معك، وتقول للولد عندما يرجع: ماذا أطعموكم؟ وماذا سقوكم؟ وماذا قالوا لكم؟ لتعرف الأخبار كلها، ولو لم يخبرها تعامله أسوأ معاملة!! .. ما هذا؟ لأننا خالفنا النهج الذي يجب أن نمشي عليه كلنا وهو كتمان الأسرار، وهو أول أدب نعلمه للصغار.

كيف أعرف السرَّ يا رسول الله؟ ... قال:

{ إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ الْحَدِيثَ ثُمَّ الْتَفَتَ فَهِيَ أَمَانَةٌ }[٨٠]

يعني إذا حدثك أخوك بحديث ثم التفت لينظر هل جاء أحد من هنا أو من هنا حتى لا يسمع أحد، تعلم هنا أن هذا سر فلا تبيحه لأي إنسان أيًا كان وهو أمانة، قال ﷺ:

{ الْمَجَالِسُ بِالأَمَانَاتِ }[٨١]

فإذا أفشيت السر فقد خنت أمانة المجلس، نحن كلنا يحدث لنا في الحياة ظروف يضيق صدر الإنسان فيها، ولا يستريح إلا إذا تحدث لأحد، فعندما يتحدث لأحد كأنه أزاح هذا الهم عن قلبه، فمن يتحدث له يجب أن يكون كتومًا أمينًا للسر لا يبيحه لأحد.

هذه الأسرار مع بعضنا، لكن أسرار رسول الله أو أسرار المشايخ المربين فهذه أعلى وارقى، فلا بد للإنسان أن يحافظ عليها تمامًا، لماذا؟ الإمام أبو العزائم رضي الله عنه وأرضاه يقول: (قد يُفضي لك الشيخ ببعض أسراره الخاصة ليختبرك، فإن كتمت السر صرت أهلًا لتلقي الأسرار الإلهية العلية وإن لم تكتم السر فلن تصلُح لصحبة الصالحين)، لأنك غربال كل ما يوضع فيه لا يحتفظ به، فستكشف أسرار الله ﷻ من الأقدار الإلهية والأحداث الكونية التي يُظهرها للصالحين ولا يتحدثون عنها إلا بأمر صريح من سيد الأولين والآخرين ﷺ .... من الذي يربي الإنسان منا على هذا الأمر؟ فأنا أعمل حسابي من البداية على كتم الأسرار، حتى في الأمور العادية.

ومن الأسرار التي ذكرها رسول الله ما يدور بين الرجل وزوجه من حديث أو فعل أو غيره، لا بد أن تكون في طي الكتمان، لكن نجد الآن الموظفين من الرجال والنساء يجلسون

---

٨٠ جامع الترمذي وأبي داود عن جابر رضي الله عنه

٨١ اعتلال القلوب للخرائطي ومسند الشهاب بصيغة (المجالس بالأمانة) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه

في المكاتب مع بعضهم ويتحدثون في الأمور الخاصة، كأن يقول رجل لأمرأة؟ هل اغتسلت اليوم؟!! وهذا الكلام عندما أسمعه أتأذَّى، هل وصل بنا الأمر إلى هذا الحد؟!! مَن شر الناس؟ قال ﷺ: { إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عَنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا }[٨٢]

فلا بد من كتمان الأسرار، وهي صفة الرجال، فلابد لكل مسلم أن يكون صدره مثل البحر يسع الجميع ولا يكشف ستر الجميع، لماذا؟

حفاظًا على نقاء المجتمع الإسلامي، فما الذي ضيعنا الآن؟

أنك تقول كلمة صغيرة في العمل أو في الشارع أو هنا أو هنا، ثم تجد من سمعها كأنه مُخرج سينمائي عظيم، يعمل لها إخراج ودوبلاج، ويضع عليها كلمة من هنا وكلمة من هنا، ويتحدث بذلك لهذا وهذا، ثم تقابل أحدهم فتجده قد تغير من جهتك، وكلما رآك يدير وجهه للجهة الأخرى، لماذا؟ لما وصله من الكلام غير الصحيح، فنحن لماذا نثير نفوس المؤمنين على المؤمنين؟! لا ينبغي ذلك أبدًا في أي أمر من الأمور ولو حتى في مزاح.

فالإنسان المؤمن يكتم الأسرار أيًا كانت وعلى أي وضع كانت، لأن هذا من صفة الأخيار: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ ﴾ (٢٣الأحزاب) ونحن عاهدناه على كتم السر، وعلى الوفاء بالعهد، وعلى حفظ العهد.

٨- اليسرى والعسرى

السؤال: قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ ﴾ (الليل) ما الفرق بين الحالتين؟

كما يقولون في العبارة البسيطة: (بنياتكم تُرزقون) يعني يُعطي الله كل واحد على

٨٢ صحيح مسلم وأبي داود عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

حسب نيته، قال تعالى في القرآن الكريم:

﴿ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ ﴾ (٧٠الأنفال)

فيعاملنا الله بحسب النوايا.

وذكر لنا أحداثًا في القرآن الكريم:

ففي سورة القلم أخبرنا الله عن رجل كان عنده بستان عظيم، وكان كلما جمع البستان يدعو الفقراء يحضروا معه جمع المحصول ويُعطي الثلث للفقراء، والثلث لأهل بيته، والثلث يعيد به مرة ثانية العمل في الحديقة.

فلما مات اجتمع أولاده وقال أخوهم الكبير: نحن لا نُعرِّف الفقراء وسنذهب في السر لنجمع المحصول، وذهبوا للبستان سرًا فوجدوا المنَّ نزل وحرق الحديقة بأكملها، مالذي حدث هنا؟ عاملهم الله بنيتهم، هم نووا أنهم في الصباح لن يعطوا للفقراء فحرمهم الله، يعني طالما حرمتم الفقراء فأنتم أيضًا أخذتم قرار حرمان من الله ﷻ.

ولذلك يقول الله تعالى:

﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ ﴾ (٥٨الأعراف) فالأمور كلها على حسب النية، والنية لا يطَّلع عليها ولا يعلمها إلا الله ﷻ.

ولذلك المؤمن دائمًا يُحسن نواياه ويُصفي طواياه، حتى يُصلح الله له كل أموره في هذه الحياة، فأي أمر تعثَّر عليَّ أن أراجع النية، ماذا كانت؟

أنا أريد لابني أن يدخل كلية الطب، ووفرت له كل المدرسين للدروس الخصوصية، ووفرت له كل ما يحتاجه وفي النهاية لم يحصل على المجموع الذي يُؤهله، لماذا؟ نيتي لم تكن خالصة، لأنني قد كنت أريد أن أتباهى به، حتى يقولون: ابن فلان دخل الطب، فالنية لا بد أن تكون خالصة لرب البرية ﷻ، وهكذا.

فصلاح النوايا عليه إصلاح كل ما حولنا وكل ما هو لنا، لأن الله يعامل الكل بما في قلوبهم، وبالنوايا التي في أفئدتهم.

الباب الثالث

تزكية النفس

١. مجالس تزكية النفوس	٩٧
٢. الرؤيا والحلم	٩٨
٣. التربية عن طريق الرؤيا	٩٨
٤. حب النبي سماعًا وكشفًا	٩٩
٥. رقي المريد	١٠١
٦. حياة النفس وموتها	١٠٣
٧. السالك ابن وقته	١٠٥
٨. شعبان وغذاء الروح	١٠٧
٩. انشقاق الغمام في السير والسلوك	١٠٨
١٠. السَنَة الإيمانية	١٠٩
١١. ذكر أهل الكمال	١١١
١٢. طهارة القلب	١١٥
١٣. القلب السليم	١١٧
١٤. الغين	١٢٠
١٥. معنى (ن)	١٢١
١٦. بين المغفرة والرحمة	١٢٣
١٧. السيد أحمد الرفاعي في الروضة	١٢٤
١٨. صلة الرحم القاطع	١٢٦
١٩. التوبة النصوح	١٢٩
٢٠. تزكية النفس	١٣٠

الباب الثالث

تزكية النفس

١- مجالس تزكية النفوس

السؤال: بعض الأحباب يقول:

نحن نسمع العلم الذي يقوله العالِم ..

فما الداعي للجلوس بين يديه أو معه في مجلسه؟

نقول لهؤلاء:

قال سيدي ابن عطاء الله السكندري رضي الله عنه:

((حال رجل في ألف رجل، خير من كلام ألف رجل في رجل واحد))

وترجم هذه الحكمة إمامنا أبو العزائم رضي الله عنه فقال:

((بالحال تزكية النفوس، لا بالفلوس ولا بالدروس)).

تزكية النفوس لا تكون إلا عن طريق الحال.

والحال لا يكون إلا لمن حضر عند صاحب الحال من أهل البدايات.

إذا ارتقى يصله الحال وهو في مكانه.

لكن أهل البدايات: لا بد لهم من الجلوس بين يدي صاحب الحال

لينالهم هذا الحال الذي به تزكية النفوس:

فتجملوا بالحال من بابٍ سما بالفضل ناولكم رحيق مدامي

٢- الرؤيا والحلم

السؤال: كيف نفرق بين الرؤيا الحقة، وأضغاث الأحلام؟

الرؤيا الحقة تكون مشهدًا متكاملًا يراه المرء كأنه يعيش في الحقيقة والواقع، ولا ينس منه شيئًا بعد يقظته، بل يظل في مخيلته كأنه يعيش فيه.

أما أضغاث الأحلام، كأن يرى الإنسان منظرًا رآه في عالم اليقظة، أو يرى منظرًا تخيلته نفسه، أو خيَّله له الشيطان، ثم يذهب هذا المنظر ويأتي بمنظر آخر، فإذا تعددت هذه المناظر، ولم تكن في مجلس واحد، وليس بينها صلة، كان هذا دليلًا على أنها أضغاث أحلام، وليست رؤيا صادقة.

فالرؤيا الصادقة تكون مشهد واحد، أو منظر واحد، في موضوع واحد، وإن تعددت الفصول فيه، نسأل الله أن يجمِّلنا بهذا الجمال، وأن يكمِّلنا بهذه الخصال.

٣- التربية عن طريق الرؤيا

السؤال: هل من الممكن أن يُربَّي المريد من شيخه عن طريق الرؤيا؟

سبق أن قلنا ووضحنا أن الله حي قيوم، لا يصل إليه واصل إلا بحيٍّ قائم، ولو كان لأحد من الأشياخ أن يُربي عن طريق الرؤيا، لتركنا الأشياخ أجمعين واكتفينا برؤية سيد الأولين والآخرين وتربينا عليه منامًا، وخاصة أن رؤيته ﷺ ليس فيها شك، لقوله ﷺ:

{ مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ، فَقَدْ رَآنِي، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ بِي }[٨٣]

لكن المريد يحتاج إلى مواجهة شيخه ليتأدب بأدبه، وليكون بين يديه كما كان

٨٣ صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه

الصحابة الكرام بين يدي حبيب الله ومصطفاه، فيأخذ منه الأوصاف الطيبة التي أكرمه بها الله، ويتخلق بها، كالتواضع وعدم الكبر والشفقة والرحمة والحنان والعطف، ويراها مُثُلًا جلية في حركات شيخه مع من حوله، فيحتاج إلى تعلم ذلك من رجل يجالسه ويهذبه ويتأدب بأدبه.

والشيخ له بعد ذلك حقائق نورانية يسلطها على المريد في جلساته المباركة تفعل ما لا يشعر به المريد إلا بعد رقيه في حضرة القرب إلى الحميد المجيد ﷻ.

٤- حب النبي سماعًا وكشفًا

السؤال: يقول الإمام أبو العزائم رضي الله عنه مخاطبًا سيدنا رسول الله ﷺ في إحدى مواجهاته لحضرته: (أحببتك كشفًا لا سماع رواية) نرجوا التوضيح؟

الجمال المحمدي جمالٌ ظاهر وجمال باطن، فالجمال الظاهر يعشقه ويميل إليه الإنسان إذا سمع أو قرأ أوصاف حضرة النبي من قلب عاشق متوق لرؤية النبي، أو قلم رجل ورع كان مملوءًا قلبه بحب النبي، فيُحب النبي ﷺ عن السماع من الصالحين، أو القراءة من كتب الصالحين.

فإذا ارتقى في المقام ورآه ﷺ في المنام، يستحضر جمالاته الوهبية، وحُلله النورانية، فيزيد الحب في قلبه لحبيب الله، لما رأى عليه من الجمالات التي جمَّله بها الله، وهذه الجمالات لا تُرى لعين الرأس، ولكن تُرى لعين القلب وعين السر وعين الروح وعين الفؤاد.

وهذه الجمالات ليست محصورة، ولا مقصورة، بل تتجدَّد على الدوام، ولذلك قال بعض الصالحين: من رأى رسول الله ﷺ رؤيا عينية – يعني رآه في حقيقته النورانية – وكان لابسًا حُلةً إلهية، فمن كرمه ﷺ يخلعها عليه – يُعطيها له – والله ﷻ يُجدد له بحلة أبهى وأشهى وأحسن منها، وخير الله ﷻ لا ينتهي، لأنه لا نهاية لجمال الله وكمال الله، وكذا لا نهاية لعطاءات الله لحبيب الله ومصطفاه ﷺ.

والتي أشار إليها الله في قوله: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥ ﴾ (الضحى) لم يقُل أعطاك، ولكن سوف، وسوف للمستقبل، أي ولسوف يعطيك في الدنيا والبرزخ والآخرة والجنة حتى ترضى، وهذه العطاءات لا يستطيع أحدٌ أن يصفها، ولا أن ينعتها، لأنها عطاءات خاصة بحبيب الله ومصطفاه ﷺ، لذلك عندما قال ﷺ:

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ، فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ، وَأَسْتَغْفِرُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ }[٨٤]

والرسول ﷺ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فمم يستغفر الله؟ قالوا: كلَّما ارتقى مقامًا، استغفر الله من المقام الذي قبله الذي كان فيه، لأنه ارتقى إلى مقام أعلى وأجمل، وفي الرواية التي يقول فيها ﷺ:

{ إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي وَ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُاللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ }[٨٥]

قال سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: احترتُ في هذا الحديث، والغين يعني الغير، فكيف يأتي غيرٌ على قلب رسول الله؟! قال: فجاءني ﷺ في المنام، وقال: ((غين الأنوار، لا غين الأغياريا مبارك)).

فإن الأنوار التي على القلب عندما تنزل عليه أنوار أسطع منها وأبهى منها وأنور منها وأجلى منها، يستغفر الله ﷻ من الأنوار السابقة، وأنه وقف ولو نَفَسًا عندها، لأنه كان يمشي والله ﷻ يقول له لا تقف بل قُل: ﴿ رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ۝١١٤ ﴾ (طه).

والعلم هنا هو علم الشهود، يعني ربِّ زدني شهودًا في ذاتك، وشهودًا في أوصاف ذاتك، وشهودًا في جمالاتك، وشهودًا في كمالاتك، ولا منتهى لجمالات الله، ولا لكمالات الله ﷻ.

أما كيف السبيل إلى ذلك؟

فإن هذه منحٌ إلهية، .... وعطاءات ربانية، .... يقول الله ﷻ فيها لخير البرية: ﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٩ ﴾ (ص) هذا عطاؤنا كله معك، فامنن على من تشاء أو أمسك على من تشاء، وفصَّله نبينا ﷺ فقال:

---

٨٤ مسند أحمد والنسائي

٨٥ صحيح مسلم وأبي داود عن الأغر المزني رضي الله عنه

{ وَاللَّهُ الْمُعْطِي وَ أَنَا الْقَاسِمُ }[٨٦]

فهو يقسِّم هذه العطاءات على قدر صفاء النوايا، وطهارة الطوايا، وخلو القلوب من الأغيار، وعلو الأرواح طالبة لما عند الله من العطاء المدرار، ولا يعطيه لأحد مجاملة، ولا يعطيه لأحد بغير سبب مما ذكرناه، لأن الله ﷻ يعلم علم اليقين، أنه كما قال في شأنه: ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ (التكوير) أي ليس ببخيل.

فلا يبخل بعطاء عن مستحق له، فإذا جهَّز الإنسان نفسه، واستعان بالله فأعانه، وطلب من الحبيب مدده فأمده، وتأهل لذلك، فإن الله ﷻ يعطيه ذلك فضلًا من الله ونعمة والله عليمٌ حكيم.

٥- رقي المريد

سؤال: هل رقي المريد في شيخه بأن يقربه الله فيكشف له حقيقة شيخه؟ ... أم يرقيه في نفسه بأن يكشف له الله حقيقة نفسه؟

الحقيقة أن هذا السؤال متشابك، فإن المريد يمر بكل هذه الأطوار، فإذا أحب الله عبدًا كما قال بن عطاء الله السكندري رضي الله عنه:

((إذا أحبَّ الله عبدًا دلَّه على أوليائه، وكشف له عن خصوصيتهم، وحجبه عن بشريتهم)).

فيكاشفه الله ﷻ على قدره بما يتحمل من أحوال هؤلاء الأولياء الصالحين، ويُبين لهم بعض منازلهم عند سيد الأنبياء والمرسلين، وبعض درجاتهم عند أهل الله في عالين وعليين، ليلجأوا إليهم، ويسألوهم أن يدلوهم بالله على الله ﷻ عملًا بقول الله:

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ ﴾ (الفرقان).

٨٦ البخاري ومسلم عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه

فإذا ترقَّى المريد وعرف الشيخ المربي، والتزم به، ولازم مجالسه، ولازم تعاليمه ووصاياه ونصائحه، عرَّفه الله ﷻ بنفسه.

إذًا لا معرفة للنفس إلا بعد معرفة الإمام المرشد المربي الروحاني المعرفة الحقية، وليست قاصرة على المعرفة البيانية، أو المعرفة الحسية، أو المعرفة العقلية.

ولذلك قال الله ﷻ لنا أجمعين: ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ ﴾ (٣٢النجم) لا يستطيع الإنسان أن يزكي نفسه، فالإنسان ولو كان من كبار الأطباء والحكماء لا يستطيع أن يُشخِّص داءه، ويصف لنفسه دواءه، ولكن لا بد أن يعرض نفسه على طبيب نطاسي مثله، يُشخص له الداء، ويكتب ويصف له الدواء الذي به يتم الشفاء.

إذًا لا يستطيع الإنسان تزكية نفسه، لأن التزكية وظيفة أمير الأنبياء والمرسلين، في قول الله ﷻ:

﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١ ﴾ (البقرة).

والتزكية هذه كانت دعوة أبو الأنبياء إبراهيم لنبينا لشدة حاجة المؤمنين الصادقين إليها:

﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ ﴾ (١٢٩البقرة).

إذًا التزكية لا تكون إلا من حضرة النبي، أو من وارث زكَّاه النبي وأعطاه الإذن بأن يُزكّي غيره من المؤمنين والمؤمنات .... بعد هذه التزكية يعرِّفه نفسه.

لذلك قال بعض الصالحين: **إن الوقوف بين يدي العبد الصالح، كالوقوف على جبل عرفات**، لأن الإنسان عندما يجلس بين يديه متأدبًا خاشعًا يعرف نفسه، ولا يعرف الإنسان حقيقة نفسه إلا بمعاشرة ومجالسة الصالحين، فيكشف الله له عن حقيقة نفسه، وكما قيل في الأثر: **((من عرف نفسه فقد عرف ربه))**.

نسأل الله ﷻ أن يُعرِّفنا المعرفة الحقية الربانية أجمعين.

٦- حياة النفس وموتها

السؤال: يقول الشيخ عبد القادر الجيلاني: {كلما جاهدت النفس وقتلتها بالطاعات حيَّت – أي احتيت – وكلما أكرمتها ولم تنهها في مرضاة الله ماتت، وهذا معنى الحديث: (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر)}، نرجو التوضيح؟

جهاد النفس يقتضي أن يمنعها الإنسان من المخالفات ما ظهر منها وما بطن، وأن يحاول أن يجدُّ ويجتهد في القيام بالطاعات والقربات حتى تحتيي النفس الحياة الإيمانية التي يقول فيها الله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ (٢٤الأنفال).

فلا حياة حقيقية في المملكة الدنيوية إلا للأتقياء المؤمنين الصادقين، أما غيرهم فيقول الله فيهم: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ (١٢٤طه) له معيشة يأكل فيها كما قال الله في هؤلاء: ﴿ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَـٰمُ ﴾ (١٢محمد).

ويقول مرة أخرى نزولًا بمرتبتهم عن الأنعام: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ (١٧٩الأعراف) لأن الأنعام لا تغفل عن ذكر الله ﷻ طرفة عين ولا أقل، وتشكر الله دومًا على جميع نعماه.

فإذًا لكي يكون الإنسان حيًّا حياة حقيقية لا بد أن يحتيي القلب بنور الإيمان، ويمتنع ظاهرًا وباطنًا عن مخالفات حضرة الرحمن التي ذكرها في القرآن والتي أشار إليها في سُنَّته النبي العدنان، ثم يقوم بعد ذلك طائعًا لله وخادمًا له بالجسم وجميع الأركان، فيكون شبيهًا بملائكة الله، وينطبق عليه قول مولاه: ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦ ﴾ (التحريم).

فإذا تمت المشابهة بينه وبين الملائكة حصل بينهم وصال، فتتنزل له الملائكة وتحادثه وتجالسه وتؤانسه وتدارسه، ويكون دائمًا وأبدًا يشهد كذلك بعين قلبه بعد محو الجفا منها عوالم عالين وملكوت رب العالمين ﷻ:

تـجـذب الـروح الـهـيـاكـل في الصـــفـا أعلى الـمـنـازل
إن أداروا الـــراح صرفًـــا أســـكرت عـالٍ وســـافـل

هذا الجهاد جهاد منع المخالفات، والعمل الجاد في الطاعات والقربات والذي يحيي الإنسان الحياة الإيمانية، فإذا أحيا نفسه بالجهاد الحياة الإيمانية تفَّضل الله ﷻ عليه من عنده بالحياة الإحسانية فيشهد ما غاب عن العيون:

وإن نـظـرت عـيـني إلى أي كـائـنٍ تغيب المباني والمعاني ســواطع

وهذا فضل من الله نتيجة جهاده الذي نجح فيه وأبلى فيه بلاءًا حسنًا مُستنًّا بحبيب الله ومصطفاه ﷺ.

فإذا ارتقى إلى مقامات الإحسان وشاهد الأنوار في العوالم الملكية وشاهد الأنوار الملكوتية وشاهد العوالم الجناينة وشاهد كل العوالم العلوية وأعرض عنها بالكلية رغبة في شهود ما يتاح له من حضرة الذات الأحدية، رقَّاه الله إلى درجة اليقين فيكون فيه من الموقنين الذين ذكرهم الله ﷻ في كتابه المبين: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ ﴾ (الأنعام) والإيقان هو العيان من الرحمن بعد البيان، فيعاين ما غاب عن العيون بنور الله ﷻ المكنون وسره المصون بعد أن يفيض عليه من علمه المخزون ويؤهله على يد حضرة النبي المصطفى ﷺ.

فيرتقي بذلك إلى حيث لا حيث، إلى درجات لا نستطيع وصفها ولا توضيحها بل ولا حتى الإشارة إليها، لأنه ارتقى إلى حياة يقينية، ثم إذا مات عشقًا في الذات الإلهية يحييه الله حياة قدسية يقول فيها رب البرية:

{ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ }[٨٧]

وبداية ذلك كله: ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ ﴾ (٧٨الحج) وبداية هذا الأمر: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾ (العنكبوت) إذا جاهدت في الله ﷻ في البداية فإن الله بفضله يتفضل عليك بالعطاءات والمنن التي توصلك إلى الغاية.

٨٧ صحيح البخاري وابن حبان والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه

نسأل الله ﷻ أن يعيننا على هذا الجهاد، وأن يذيقنا هذا العطاء، وأن يجعلنا مع هؤلاء النبلاء ومع سيد الرسل والأنبياء، ويتوّجنا بتاج السعداء في الدنيا ويوم اللقاء.

٧- السالك ابن وقته

السؤال: ما معنى قول أحد الصالحين: الفقير ابن وقته، وكل وقت خلا من خدمة الله تعالى فهو باطل؟

الفقير، أو السالك في طريق الله، أو العارف ابن وقته:

يعني لا ينشغل بما فات، لأنه دائم الاستغفار والتوبة لله، فلا يتذكر ما فعله من ذنوب أو عيوب، لأنه تيقَّن أن الله غفرها له، لأنه يقول:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ (البقرة).

كما لا يستحضر ولا يتذكر ما حدث له من إساءة الخلق فيما مضى، لأنه يحرص على أن يكون ذا قلب سليم تقي نقي، ليس فيه غلٌّ ولا حرصٌ ولا كرهٌ لأحدٍ من المسلمين، نزع الله ذلك من صدره لقوله ﷻ:

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (الحجر).

كما لا يتذكر ولا يتفكَّر فيما هو آت، لأن الغد لا أعلم إن كان من نصيبي فأعيش فيه، وإن كان من نصيبي فأنا موقنٌ أن الله بعطائه وغناه يكفيني ما أحتاج إليه فيه، فلماذا أشغل البال بالغد وأنا لا أعلم غيب الغد؟! هل سأصل إليه أو لا أصل؟! قال الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ (١٨الحشر).

والغد هو يوم القيامة، وهو يوم الحساب والعرض والجزاء عند الله ﷻ.

لكن الغد في الأيام والمستقبل لا أُفكر فيه، ولا أحسب حسابه، حتى أن أصحاب

النبي رضوان الله ﷻ عليهم أجمعين، كانوا يقولون:

((من تفكَّر فيما يفطر عليه في رمضان أثناء النهار فقد أخطأ)).

لأنه لا يدري هل يصل إلى هذه الساعة، أم يودع الدنيا تلبيةً لنداء الله: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾ (الفجر)، فشعار الصالحين والمتقين وصية النبي ﷺ لسيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: { إِذَا أَصْبَحْتَ، فَلا تَنْتَظِرُ الْمَسَاءَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلا تَنْتَظِرُ الصَّبَاحَ }، وقوله: { كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ، وَاعْدُدْ نَفْسَكَ فِي الْمَوْتَى }[٨٨]

المؤمن لا يشتغل إلا بالوقت الذي هو فيه، ما الذي كلَّفني الله في هذا الوقت؟

- إن كان فرضًا وجب يسارع إلى أداء فرض الله، وإن كان معروفًا يرتضي فعله يسارع إلى عمل هذا المعروف أو البر أو الخير طلبًا لمرضاة الله.
- وإن كان سعيًا على المعاش خرج ليسعى على معاشه حتى يكفَّ نفسه وأولاده عن سؤال الناس.
- وإن كان مشاركة للمسلمين في تشييع جنازة، أو في عيادة مريض، أو في مساعدة محتاج، ينظر إلى الأمر الذي كلَّفه الله به في هذا الوقت ليقوم به كما يحب الله ويرضى، ويقتدي فيه بالحبيب المصطفى ﷺ.
- وإن كانت نعمة جاءته في هذا الوقت، يستوجب عليه الشكر لله: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ (٧إبراهيم).
- وإن كان ابتلاء ابتلاه به الله في نفسه أو ماله أو أولاده أو في أي شيء له، فإنه يجب عليه في هذا الوقت الرضا عن أمر الله، أو الصبر على ما قدَّره عليه مولاه.

وبذلك يكون وقته كله في طاعة الله، وفي خدمة الله جل في علاه.

نسأل الله أن يجعلنا أهلًا لذلك، وأن يعيننا على ذلك .. آمين يا رب العالمين.

---

٨٨ الحديث الأول: صحيح البخاري وابن حبلن عن ابن عمر ﷺ، والثاني: مسند أحمد والطبراني عن ابن عمر ﷺ

٨- شعبان وغذاء الروح

السؤال: يقول الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

شـــعبـان ذكرى لروحي فيـه انشـــقـاق الغمـام

كيف يكون شهر شعبان ذكرى للروح؟

إذا تشعَّب الإنسان في فعل الخيرات، وأدام في الإقبال على رب البريات، ودخل من كل باب من أبواب القرب إلى الله، وتقرب وتحبب إلى الله ﷻ بما يفتحه له من أبواب قربه ومناجاته، فإن الله ﷻ يشقُّ له الغمام، يعني يزيل عن قلبه كل شيء يحجبه عن ربه.

وهو يكون تشبيهًا للغمام الذي يحجب الشمس عن السطوع، إذا كانت الشمس ساطعة وجاء غمام حجب ضوءها، وحجبها نفسها عن أهل الأرض.

فشمس رسول الله ﷺ ساطعة على الدوام منذ بدئها إلى الختام على أرواح قلوب المؤمنين المخصوصين بالقرب من رب العالمين ﷻ.

فيأتي دخان الذنوب، ويأتي غمام العيوب، فيسطو على أشعة هذه الشمس وحقيقتها نفسها عن القلب الذي هو مُختارٌ ومُجتبى ليكون قريبًا من حضرة علام الغيوب.

فسُمي شهر شعبان لأنه يتشعَّب فيه الخير، ويكثر فيه عمل البر، وقد نوَّع فيه الحبيب المصطفى ﷺ القربات، ليُعلمنا أن تنوع القربات هو السبب في إزالة هذه الغشاوات، فكان آنة يصوم، وكان أحيانًا كثيرة يقوم الليل، وكان أحيانًا كثيرة يتصدق على الفقراء والمساكين، ويعلم الدروس الفقهية لمناسك رمضان للمسلمين أجمعين .. فكانت عباداته ﷺ متنوعة، ومن أعظمها وأجلها عبادة الدعاء، بمعنى التذلف والتذلل والتقرب والمسكنة لله ﷻ.

فإذا اقتدى الإنسان المؤمن المقبل على مولاه بهذه الأحوال النبوية في هذا الشهر الكريم، فإن الله ﷻ يتجلى على قلبه، فيكشف عنه كل غمام يحجبه عن رؤية شمس الحضرة

المحمدية، بل إنه قد يتجلى لروحه فيكاشفها بمعاني الأسماء والصفات الربانية، وربما يتجلى لنفخة قدسه فيكشف له اللثام عن أنوار الذات العلية، وبذلك يكون هذا الشهر هو شهر حياة الأرواح في تجليات وإكرام الكريم الفتاح ﷻ.

٩- انشقاق الغمام في السير والسلوك

السؤال: ما المقصود بانشقاق الغمام في السير والسلوك إلى الله؟

هناك غمامٌ على النفوس وهو غمام الشهوات الدنيوية، والحظوظ واللذات الوقتية، وهذه تحجب النفوس عن تزكيتها، وعن قربها من حضرة المتابعة لحبيبها ﷺ.

فإذا شقَّ الله ﷻ للعبد غمام النفس، رزقه الزهد في الدنيا، والزهد في الشهوات، والزهد في هذه المتع الدنيئة، فلا يأخذ منها إلا بقدر ما سمحت له به الشريعة، ويُعرض عن باقيها، فيفتح الله له آفاق نفسه للتزكية، ويدخل في قوله سبحانه لحبيبه ﷺ: ﴿ وَيُزَكِّيكُمْ ﴾ (١٥١البقرة) فيزكيه رسول الله ﷺ.

فإذا زكت النفس انتقل إلى جهاد القلب، والغمام الذي يحجب القلب عن الرؤية الإلهية هي الاغيار، إن كانت رؤية في عالم الملكوت، أو رؤية في أنوار الحي الذي لا يموت، أو رؤية لحضرة الحبيب ﷺ.

وكلمة الأغيار يعني كل شيء غير الله يحجب أُفق القلب، فينشغل به عن مولاه، فإذا انشغل به عن الله حجبه عن هذا الذي حدثناه والذي حكيناه، فإذا شقَّه الله، ورفع هذا الغمام، أصبحت عين قلبه كما يقول الإمام أبو العزائم رضي الله عنه وأرضاه:

غُض عين الحس واشهد بالضمير تشهدن يا صب أنوار القدير

ودخل في العباد الذين يقول الله ﷻ فيهم: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ ﴾ (الأنعام).

أما الغمام الذي يحجب الروح عن مشاهدة المنازلات الإلهية، والتجليات الربانية،

والعطاءات القدسية، هو ما تصبو إليه النفس من طلبات نفسية من الله ﷻ عند القرب من القريب سبحانه، والغمام في هذا المقام هو أن يكون له بين الناس مقامًا، أو يقوم الناس له بالتحية والإكرام، أو يكون عنده رغبة خفية في حب الظهور بالمشيخة أو بالعلم أو بالرئاسة أو بالصوت الحسن، أو بأي شيء تتباهى به النفس في دنيا الناس.

وأعلاها – وهو أيضًا حجاب – إذا كان يريد أن تظهر له كرامات يراها الناس ويتحدثون عنها، ويتناقلون الحديث أن فلان له كرامات كذا وكذا، وهذا الحديث يسر النفس، ولكنه يحجبه عن الجمالات الوهبية العلية، والتجليات الإلهية التي يتجلى بها الله، والتي يقول فيها الإمام أبو العزائم عن الأفراد الذين تجاوزوا هذه المقامات:

والعارف الفرد محبوبٌ لخالقه ... فات المقامات تحقيقًا وتمكينا
في كل نَفَسٍ له نور يواجهه ... من حضرة الحق تمكينًا وتلوينا
يمشي على الأرض في ذُلٍ ومسكنةٍ ... هام الملائكُ شوقًا فيه وحنينا
لا يعرف الفرد إلا ذو مواجهةٍ ... صفا فصوفي فأحيا النهج والدين
معناه غيبٌ ومبناه مشاهدةٌ ... والفرد معنىً وليس الفرد تكوينا

هذه أهم الغمامات التي نستطيع الحديث عنها والإباحة بها، أما ما فوق ذلك فلا يكون إلا بالتلقي من القلوب إلى القلوب، ومن الأرواح إلى الأرواح، نسأل الله أن يجعلنا من أهل ذلك أجمعين.

١٠- السَنَة الإيمانية

السؤال: يقول الإمام أبو العزائم: ((شهر شعبان هو ختام السنة الإيمانية، ويقوم أهل الله الصالحون في ليلة النصف من شعبان بتقديم الحساب الختامي لأعمالهم طوال السنة)) نرجو التوضيح، وكيف نفعل هذا الأمر؟

هذا الأمر قد وضحناه في كتابنا (شرف شهر شعبان)، وهو أن الأعمال تُرفع إلى الله ﷻ في وقتها وحينها حين يعملها المرء، لقوله ﷻ:

﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ ﴾ (١٠٥التوبة).

ومن فضل الله ﷻ علينا أنه جعل الملائكة يعيدون رفعها مرةً أُخرى يوم الإثنين ويوم الخميس، لعل الإنسان فيما بين ذلك يرجع فيما أخطأ فيه فيتوب، أو فيما لم يُحسن فيه فيُحسن، سُئل ﷺ عن صيام الإثنين ويوم الخميس فقال:

{ تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ فَأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَ أَنَا صَائِمٌ }[٨٩]

ومن رحمة الله العُظمى بالمؤمنين أجمعين، أن الله ﷻ يجعل للمؤمنين رفعًا تامًا لكل أعمال العام في ليلة النصف من شهر شعبان، وهي ليلة تُرفع فيها وتُعرض فيها الأعمال على الله ﷻ.

فترفع الملائكة الأعمال التي عملها العبد في العام الماضي إلى نصف شعبان، وتستنسخ من اللوح المحفوظ الأعمال التي سيعملها في العام القادم، ولذلك قال الله ﷻ: ﴿ يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ٣٩ ﴾ (الرعد).

فجعل الله ﷻ عام المؤمنين في عملهم وتقربهم إلى رب العالمين يبدأ من شهر رمضان، شهر البر والخير والإحسان إلى الله ﷻ.

وينتهي بشهر شعبان وهو شهر التوبة والأوبة والعفو والغفران من حضرة الرحمن ﷻ، فهذا بحساب المؤمنين في الأعمال الصالحات التي يرفعونها إلى الله، والتي يتوجونها في ليلة النصف بالتوبة النصوح إلى الله.

ولذلك ندعوكم في هذه الليلة إلى الإكثار والمداومة على الاستغفار، وإلى التوبة إلى الله تعالى من جميع الذنوب والأوزار، ونقول جميعًا:

((نستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ونتوب إليه، تبنا إلى الله، ورجعنا إلى الله، وندمنا على ما فعلنا، وعلى ما قلنا، وعزمنا على أننا لا نعود إلى ذنبٍ أبدًا، وبرئنا من كل شيء يخالف دين الإسلام))

اللهم تقبل توبتنا، واغسل حوبتنا، وأبدل ذنوبنا بحسنات، واعف عنا يا عفو، واغفر لنا يا غفور، وارحمنا يا رحمن، واجعلنا من عبادك الذين تقول فيهم في القرآن:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ٢٢٢ ﴾ (البقرة).

---

٨٩ سنن الترمذي ومسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه

١١- ذكر أهل الكمال

السؤال: ذكرتكم فضيلتكم أن هناك ذِكرٌ لأهل الجمال، وذِكرٌ لأهل الجلال، وذِكرٌ لأهل الكمال، نرجوا من فضيلتكم التوضيح؟

إن الله ﷻ له الأسماء الحسنى كلها.

وقد قسَّم العارفون المكاشفون أسماء الله الحُسنى إلى أقسام.

- فهناك أسماء الجمال، وهي التي تواجه الإنسان بما يحبه ويرضاه، كاسمه الباسط، واسمه الرازق، واسمه الوهاب، التي تعطي الإنسان ما يتمناه من مولاه، وأسماء الجمال عامة تخصُّ عباد الله المؤمنين والمحسنين والموقنين.
- وهناك أسماء الجلال، وهي تخص الكافرين والمشركين، وقد تجرُّ إلى ذيلها العصاة المتمسكين بمعاصيهم، والذين لا يرجعون عنها من المسلمين، وأسماء الجلال هي القهار والجبار والمنتقم وما شابه ذلك.
- أما أسماء الكمال، فهي الأسماء الخاصة بذات الله ﷻ، ولا يشاركه فيها أحدٌ أبدًا، كاسمه ﷻ الصمد، واسمه الأحد، واسمه ذي الجلال والإكرام، وغيرها من الأسماء العظيمة.

وقال العارفون أن أسماء الجمال سبعون إسمًا، ولذلك قال الله لنبيه عندما كان يستغفر للمنافقين: ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾ (٨٠التوبة) يعني بعدد أسماء الجمال.

وقالوا: إن أسماء الجلال عددهم تسعة عشر، وهم بعدد أبواب النار: ... ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (المدثر) لأنها محل القهر والجبروت والقوة للحي الذي لايموت.

وأسماء الكمال بعد ذلك هي عشرة أسماء، وهي أسماء الله ﷻ الخاصة بذاته ﷻ.

فإذا أنعم الله ﷻ على الإنسان بالجمال، أغدق عليه النعم، وأكرمه بموفور الصحة والعافية، وأنعم عليه بنعمة الأولاد وجعلهم بررة وأتقياء، وأنعم عليه بنعمة الجاه، وأنعم عليه بأي نعمة يرجوها في هذه الحياة.

فالواجب عليه أن يشكر مولاه، وأن يتوجه في عبادته إلى الله بالشكر لله ﷻ على ما وهبه من هذه العطاءات، وهذه الخيرات ليكمل الله له النعمة فيُكرمه بالجمالات الإلهية في برزخه، والجمالات الإلهية في حشره، والجمالات الإلهية في الجنة إن شاء الله.

فالجمالات الإلهية في الدنيا تتمثل في الخيرات، وخاصة إذا كانت مباركات، لأنها آتية من فضل الله ومن إكرام الله، وتحتاج إلى شكر الله، ولذلك يقول الله ﷻ لداود وسليمان لمَّا آتاهم من هذه الخيرات من الملك العظيم، ومن تسخير الجن، والكلام مع الطيور والحيوانات وغيرها:

﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣ ﴾ (سبأ)

لم يقُل قولوا، ولم يقُل قوموا، وإنما الشكر عملًا.

فالشكر قولٌ باللسان، وهو الحمد لله والشكر لله، وذلك لا يكفي بمفرده فقط، وإنما يحتاج إلى عقيدة بالقلب والجنان، وعمل بالجوارح والأركان.

فإذا أعطاه الله نعمة المال، يكون شكر الله على هذه النعمة بأن يُخرج منها حق الله وهي الزكاة، ثم يزيد فيتصدق بعد ذلك على عباد الله الفقراء.

وإذا أنعم الله عليه بالجاه يسعى بجاهه لإيصال الحقوق للضعفاء الذين لا يستطيعون الوصول إلى المسئولين لطلب حاجاتهم وضروراتهم.

وإذا أنعم الله عليه بالصحة، فعليه أن يساعد الضعفاء وخاصة المرضى والعجزة والكبار في السن، ويساعدهم على قضاء حوائجهم ومصالحهم ابتغاء وجه الله ﷻ.

ولذلك الرجل الصالح بشر بن الحارث رضي الله عنه وكان من كُمَّل الأولياء قيل له: أن فلانًا الغَنيّ يصوم الأيام المتتابعة، ويقوم الليالي ذات العدد، قال: لقد دخل في عبادة ليست له، إن هذه عبادة الفقراء، أما عبادته فهي أن يُنفق مما آتاه الله على المحتاجين والفقراء من خلق

الله ﷻ، فكل إنسان ينفق مما آتاه الله، ويجعل في عمله نصيباً لهؤلاء، فإذا كان طبيبًا ويفتح عيادة يجعل له ولو كل يوم كشفٌ أو كشفين لغير القادرين من الفقراء، الذين لا يستطيعون دفع هذا الكشف، ... وإذا أكرمه الله وأتى لهم بالدواء من العينات التي يُحضرها له الصيادلة، فقد عمل عملًا حسنًا يُؤجر له عند الله.

والمدرس الذي عنده مجموعات، يجعل في كل مجموعة ولو ابنًا واحدًا لرجل فقير لوجه الله ... والذي يُحفِّظ القرآن يجعل كذلك لنفر ممن لا يستطيعون دفع الأجر نصيبًا في حفظ القرآن، على أن يواليهم نفس الإهتمام الذي يواليه لمن يدفع له نفقة تحفيظ القرآن، وهكذا قس على ذلك في كل الأمور.

أما إذا نزل بالإنسان حالٌ من الجلال، كأن ألمَّ به مرض، أو أصابته فاقة، أو لا يجد عملًا يعمله يأكل منه رزقه الحلال، أو سُدت أمامه أبواب يحتاج إلى فتحها، أو عنده بنتٌ كبُرت ويحتاج إلى تزويجها، أو عنده ولدٌ لا يستطيع ترويضه على العمل الصالح وعمل الصالحات، أو له أعداء يكتنفونه ولا طاقة له بهم، كل هذه من أنواع الجلال والشدة التي تنزل عليه، فعليه بالأذكار الواردة في القرآن الكريم، والواردة عن النبي الرؤوف الرحيم في وقت الشدة.

فيسأل الله ﷻ رفع هذا العناء، وإزالة هذا البلاء، ويتوسل إليه أولًا بسيد الرسل والأنبياء، ثم بالصالحين والأولياء، ثم يردد ما ذكر الله في قرآنه أنه استجاب هذا الدعاء، بأن يقول: ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (الأنبياء) ويرددها لأن الله قال عقبها: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٨٨الأنبياء) قال ﷺ في شأنها:

{ دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنْ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ؛ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ }[٩٠]، على أن يدعو ولا يقنط ولا ييأس ولا يمل، بل يصبر حتى يستجيب له مولاه ﷻ، أو يدعو بقول رسول الله ﷺ: { مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ، وَابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ

٩٠ سنن الترمذي ومسند أحمد عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَ أَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجًا }[٩١]

أو يدعو بالدعاء الجامع الذي دعا به النبي فاستجاب الله له في الحال عندما أساء إليه أهل الطائف، فتوجه إلى الله وقال: { اللَّهُمَّ إليكَ أشْكو ضَعفَ قُوَّتي، وقِلةَ حيلَتي، وهَوانِي على الناسِ يا أرحَمَ الراحِمينَ، أنتَ أرحَمُ الراحِمينَ، و أنتَ ربُّ المُستَضعَفينَ، إلى مَن تَكِلُني؟ إلى عَدُوٍّ يَتَجَهَّمُني يَلْقاني بالغِلْظةِ والوَجهِ الكَريهِ، أمْ إلى صَديقٍ قَريبٍ مَلَّكْتَه أمْري؟ إنْ لم يكُنْ بكَ غَضَبٌ عليَّ فلا أُبالي، غيرَ أنَّ عافيتَكَ أوسَعُ لي، أعوذُ بنورِ وَجْهِكَ الذي أضاءَتْ له السمَواتُ، وأشرَقَتْ له الظلُماتُ، وصلَحَ عليه أمرُ الدُّنيا والآخِرةِ أنْ يَنزِلَ بي غضَبُكَ، أو يَحِلَّ بي سَخَطُكَ، ولكَ العُتْبى حتى تَرْضى، ولا حَولَ ولا قُوةَ إلَّا بكَ }[٩٢]

أو يدعو بما قال الله سبحانه في القرآن: ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾ (آل عمران) فإن الله قال عقبها: ﴿ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ ﴾ (﴿١٧٤﴾آل عمران) وغيرها من الأدعية الواردة في السنة النبوية والآيات القرآنية، ... فهذا ذكر أهل الجلال الذين نزلت بهم الشدائد، أو نزلت بهم النوازل ليرفع الله عنهم ذلك.

أما ذكر أهل الكمال فهم الذين لا يرجون من الله إلا الله، ولا يرجون من وراء ذكرهم جنة ولا خوفًا من النار، وإنما يرجون فقط رضاء الله عنهم، وهم الذين قال الله في شأنهم: ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ (﴿٢٨﴾الكهف).

فهؤلاء يصطلمون في الأسماء الإلهية التي تدل على كمال الله، ولا يرجون من وراء ذكرهم إلا وجه الله، ولذلك لا يستخدمون عددًا في ذكرها، ولا وقتًا لذكرها، وإنما يذكرونها دائمًا وأبدًا إذا فتح الله لهم الباب، وفتح الباب أن يُلهمهم الله بهذا الذكر فيستمرون فيه حتى يكشف الله لهم شيئًا من أنواره، ويفيض عليهم قليلًا من أسراره، فهذا ذكر أهل الكمال، نسأل الله أن نكون منهم أجمعين، آمين آمين يا رب العالمين.

---

٩١ مسند أحمد وابن حبان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
٩٢ معجم الطبراني وتاريخ دمشق لابن عساكر

١٢- طهارة القلب

السؤال: قرأتُ لفضيلتكم في كتاب (همة المريد) أن طهارة القلب تكون بالعلم اللدني، ويقول الإمام أبو العزائم رضي الله عنه: (القلب بيت الرب، فطهره له له بالحب) فما الفرق بين طهارة القلب بالعلم، وطهارة القلب بالحب؟

طهارة القلب تحتاج إلى إرادة داخلية تكون من ذات العبد، وفيها تظهر همته وعزيمته، وأقوى هذه الإرادات المحبة إذا تمكنت من القلب والفؤاد، فقد قيل:

(حَبَّة المحبة لا تبقي في القلب لغير المحبوب حَبَّة).

وحَبَّة المحبة تحتاج إلى من يرعاها ... ومن يرعاها هو العارف الرباني الذي يلهمه الله ﷻ بالعلوم الوهبية والأسرار القرآنية ... فإذا استمع إليه السالك في طريق الله، وكان مأخوذًا بكله نحو مولاه، غير مشغول بمفاتن هذه الحياة، فإن العلم الإلهامي يكون كماء المطر لحَبَّة المحبة في قلبه، ينميها ويُرعرعها حتى تخرج في قلبه شجرة باسقة الأغصان، وهي التي يقول فيها الرحمن ﷻ:

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ ﴾ (إبراهيم) الكلمة الطيبة هي الكلمة التي يسمعها من العالم العارف بعد المحبة التي تمكنت في فؤاده، والشجرة الطيبة هي شجرة المحبة التي تُزرع في قلوب الأحبة ويخرج منها المودة والإخلاص والخشوع والزهد والورع والتوكل على الله، وكل الصفات العظيمة التي يحبها الله ﷻ.

هذه الشجرة أصلها ثابت في قلب العبد المراد .... وفروعها التي تجتنى منها الثمار في سماء القرب من حضرة الله، لأن الله هو الذي يجني هذه الحقائق، وهو الذي يُثيب عليها، وهو الذي يعطي الأجر العظيم والدرجات الكبرى عليها، ولا يستطيع أحدٌ من الأولين ولا الآخرين أن يُثيب أي عبد على هذه الثمار التي أشرنا إلى بعضها ولم نذكرها كلها.

فشجرة المحبة زرعها الله ﷻ في قلوب المحبوبين بنبتة طيبة في قوله:

﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ (٥٤المائدة)

إذا وُجدت هذه الشجرة في القلب، ووُجد من يهتم بها، ويهتم بسُقياها بالعلم النافع، وتأديبها بالأدب النبوي الرافع، فإنها تنتج إنسانًا رحمانيًا يقول فيه الرحمن: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤ ﴾ (الرحمن).

يُعلِّمه العلوم القرآنية الظاهرة والخفية، ثم يأذن له بالنطق بلسان البيان ليُعلِّم من حوله من بني الإنسان، بعد تعليمه من حضرة الرحمن ﷻ:

هو العلم لا يُجلى بغير الحقائق وعلمٌ بكشفٍ فيه قرب لخالقي
وما العلم إلا ما يُعلِّمه العلي وآي يعلمكم دليلٌ لصادق

وآي يعلمكم أي آية: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ ﴾ (٢٨٢البقرة)

وفي أول الرحمن نورٌ لمهتد به عَلَّم القرآن جذب الموفقِ

فحَبَّة المحبة وُضعت في قلوب الأحبة من الأزل القديم، وهي سرٌ من أسرار ذات الله ﷻ، وبها ينال العبد في الدنيا والآخرة كل تعظيم.

ولكن تحتاج في الدنيا إلى من يربيها وينميها ويهذبها ويؤدبها حتى تُؤتي ثمارها المرجوة، فتكون نافعة لنفسها، ونافعة لبني جنسها، ونحن نرى مثال لذلك في عالم النبات، فالنبات الذي يضع الإنسان حبته في الأرض، ويشرف على تنميته وسقياه وتسميده وتهذيبه، ويشرف عليه حتى يُؤتي ثماره، فإنه يؤتي ثمارًا طيبة.

أما النبات الذي يخرج من نفسه، ولا يُشرف أحدٌ عليه، ولا يهتم به أحد فنسميه نبات شيطاني، والنبات الشيطاني لا يكون له ثمار، وإنما يكون حطبًا للنيران، لأن هذه هي سُنَّة الرحمن في الأكوان.

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من أهل هذه المحبة، وأن يُعطِّف علينا قلوب الأحبة لتروي ثمرة المحبة من سماء فضل الله، ومن مُزن سيدنا رسول الله ﷺ.

١٣- القلب السليم

السؤال: ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ (الشعراء) وقوله: ﴿ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ ﴾ (الصافات).

الفرق واضح، يضع الله ﷻ شروط القبول عنده لمن أحبه، فشرط القبول عند الله ليس كثرة الأعمال وفقط، وليس كثرة الأذكار وفقط، وليس الجهاد في الصيام والقيام وغيرها من العبادات وفقط، إنما قبل ذلك وبعد ذلك وأثناء ذلك؛ تطهير القلب بالكلية من كل الهمم الدنية والهمم الشيطانية والهواجس النفسية والخواطر الردية، وتطهيره من كل ما سوى الله، وكل ما سوى الله يسمى غير، فيطهره من جميع الأغيار، ليملأه الله ﷻ من عنده بالأنوار، ويتنزل فيه بالأسرار التي ينال بها المرء درجة أن يكون من عباد الله الصادقين الأخيار.

فجعل الله ﷻ شرط من يأتي إلى الله وينال القبول والرضا والعطف والمحبة والمودة من الله أن يكون صاحب قلب سليم: ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ (الشعراء).

يأتي إلى مولاه، ولم يقُل في الدنيا أو في الآخرة، إن كان في الدنيا وأتى الله بالقلب السليم، أعلى الله شأنه ورفعه إلى أعلى درجات التكريم، ووهبه من كل ضروب فضله وعطائه ﷻ:

إذا تعرض عبدي لنيل فضلي تحلى
بحلة الحسن مني وبالشهود تملى
يُحبه كل قلبٍ مُطهَّر لي صلَّى
يُحبه كل خلقي والحب مني قبلا
وإن فتحت كنوزي أغنيتُ قولًا وفعلًا
وإن نظرت بعيني للعبد قد صار مولى
حكمتُ أني قريبٌ هلا تقربت هلا
إليك أقرب منك بمحكم الذكر يُتلى

فيتقرب العبد إلى الله بأنواع العبادات، وهذه وسيلة له للدرجات في الجنات، أو

يتقرب إلى الله بالزهد في الدنيا، وهذه وسيلة له للنجاة من النيران، لكن من أراد أن يتقرب لذات الله فرَّغ قلبه مما سواه ﷻ: ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ (الشعراء).

من الذي فعل ذلك ونال ذلك، هذا المثل الذي ذكره الله ﷻ، وهو عن سيدنا إبراهيم نبي الله وخليل الله: ﴿ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ ﴾ (الصافات).

فإنه وهو في بلاد العراق أُلقي في النار، والنار كان الملك النمروذ ومن حوله من الأعوان قد جمعوا حطبها كما قيل في ستة أشهر، ولما أوقدوها لم يستطيعوا أن يقتربوا منها ليلقوه فيها، فجاءهم إبليس في صورة إنسان وأشار عليهم أن يصعدوا إلى قمة جبل، وأشار عليهم بعمل المنجنيق، وهو عبارة عن عمودان من الخشب وبينهما عمود يتحرك، وجعلوا فيه حبلين وفي قاع الحبلين كرسي، وأجلسوه على الكرسي، وحركوا هذه الحبال ثم قذفوه في النار.

فتلقاه الأمين جبريل قبل أن ينزل إلى النار بعد أن ضجَّت ملائكة السماء واتجهوا نحو الله ﷻ ضارعين أن يُنقذ خليل الرحمن، ولما جاءه جبريل قال له: أليس لك حاجة؟ قال: أما منك فلا، وأما من الله فعلمه بحالي يُغني عن سؤالي، فكان عنده يقين شديد في مولاه، حتى أنه رفض أن يسأل جبريل مع أن الذي أرسله هو الله.

وجبريل كان قد أخذ معه سُترة واقية من النار من الجنة، وألبسه هذه السترة، ونزل في قاع النار ونزل جبريل فمد يده فأتى بشجرة من الجنة، وأشار بأصبعه إلى الأرض فنبعت عين ماء، وجاء له بطنفسة يعني مرتبة من الجنة جلس عليها، فكان يأكل من ثمار الشجرة ويستظل بظلها، ويشرب من الماء، وهم يظنون أن النار قد أتت عليه.

ثم ابتلاه الله ﷻ بعد ذلك فعاش حتى سن الثمانين ولم يُرزق بولد، فلم يجزع، ولم يتألم، ولم يشكو الله إلى عباد الله كما يفعل الكثير في عصرنا هذا، بل سلَّم أمره لمولاه.

وبعد الثمانين كان قد ذهب هو وزوجته السيدة سارة إلى مصر، وأراد الملك أن يعتدي عليها فحفظها الله، ووهب لها جارية وأبقار وأغنام، فأشارت عليه أن يتزوج بالجارية لعله يُرزق منها بغلام، والجارية هي السيدة هاجر، فتزوج إبراهيم هاجر وأنجب منها إسماعيل، وبعد أن شبَّ الولد وحُبب إليه، أمره الله أن يأخذه وأمه ويضعه في منطقة جرداء لا زرع فيها ولا ماء، ولا حتى شجر ولا حيوان ولا أي شيء فيه حياة، فقالت: بعد أن

تركها إبراهيم هي والغلام، لمن تتركنا ها هنا يا إبراهيم؟ فلم يرد عليها، فلما كررت ثلاثًا قالت: أآلله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذًا لن يضيعنا.

ولما بلغ الولد سن الرشد، وكان فيه سيما النبوة أمره الله ﷻ أن يذبحه: ﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (الصافات) عرف الغلام أن رؤيا الأنبياء وحيٌ.

وكان سيدنا إبراهيم كذلك لا يأكل إلا إذا جاءه ضيف، وربما يصوم الأيام المتتالية حتى يأتي ضيف ليأكل معه، ولذلك قيل: لِمَ سُمي الخليل خليلًا؟ قيل: لأنه جعل جسمه للنيران، وماله للضيفان، وولده للقربان، وقلبه للرحمن.

لذلك كما قال الله ﷻ: ﴿ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ ﴾ (الصافات) وهذه هي حقيقة التسليم الذي يقبل الله به كل عبد يريد أن ينال هذا المقام الكريم، ويدخل في قول الله في محكم التنزيل: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ (الأنعام).

وهناك حكمة لتكريمٌ مصر وأهل مصر من الله، فكان إسماعيل بن إبراهيم من زوجته المصرية تكريمًا لأهل مصر، ثم جاء النبي ﷺ فزاد هذا التكريم، فتزوج بمارية القبطية وأنجب منها ابنه الوحيد إبرهيم، ولذلك قال ﷺ:

{ إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ، وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقِيرَاطُ، فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا، أَوْ قَالَ: ذِمَّةً وَصِهْرًا }[٩٣]

وفي بعض الأثر: (نسبًا وصِهرًا) أما النسب: فهو أم إسماعيل التي وُجد منها ذرية إسماعيل، وإسماعيل هو الجد الأكبر للنبي ﷺ، وأما المصاهرة: فهي زوجته التي تزوجها النبي من مصر وهي مارية القبطية، وإنما سُميت قبطية لأنها كانت من القبط، ولكنها لما تزوجت النبي أسلمت.

نسأل الله أن يحفظ مصرنا من كل سوء، وأن يُجيرنا من كل خزيٍ، وأن يجعلنا وأهل مصر في أمان، كما قال في القرآن: ﴿ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾ (يوسف).

---

٩٣ صحيح مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه

١٤- الغين

سؤال: ما معنى الغين؟

الغين يعني الغير، الفرق بين العين والغين نقطة، فعين الشيء يعني حقيقته، لكن الغين يطلق ويراد به كل شيء غير الله يخطر على البال أو يمر على الخاطر والخيال أو يدخل إلى قلب الإنسان فيجعله يغفو أو يهفو أو يبتعد عن ذكر حضرة الرحمن ﷻ.

سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله ﷻ عنه قرأ حديث رسول الله ﷺ:

{ إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي وَ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُاللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ }[٩٤]

فيقول: احترت كيف لرسول الله أن يُغان على قلبه؟! فهو في صفاء الصفاء ونقاء النقاء وكله نور وبهاء وضياء، قال: فرأيته ﷺ منامًا وقال لي: (غينُ الأنوارلا غينُ الأغيار يا مبارك)، يعني الغين الذي عندي هو غين الأنوار، كيف؟ كان ﷺ في ترقيات مستمرة مع الله، فكلما ارتقى إلى مقام نظر إلى المقام الذي كان فيه قبله فوجده كان غينًا، يعني ليس هو المقام الأفضل أو الأحسن، فيستغفر الله ﷻ من الركون إلى هذا المقام.

وهذا بالنسبة لحضرة النبي ﷺ، لكن بالنسبة لنا نحن الغين يعني الأغيار، أنا أُصلي لله، ولو كان القلب صافيًا وليس فيه أغيار فكل الصلاة تكون مشاهدات وتجليات وأنوار.

لكن الكثير عندما يصلي يأتيه على الفور عالم الخيال الذي في داخله، فيدير له الشرائط المسجلة، كحديث مثلًا دار مع زوجته، وقال لها كذا وكذا، وكان الأصح أن يقول لها كذا، أو حوار دار بينه وبين زميل له في العمل، أو حوار دار بينه وبين جاره، وهكذا.

فهذه أغيار لا بد للإنسان المؤمن أن يجاهد نفسه في سبيل التخلص منها حتى يخلص القلب ويكون خالصًا للأنوار، ولا يخلص القلب للأنوار إلا إذا خلا من الأغيار كلها، قال ﷺ:

---

٩٤ صحيح مسلم وأبي داود عن الأغر المزني رضي الله عنه

{ القَلْب يَصْدأُ كَمَا يَصْدَأ الحَدِيد، قِيلَ: يَا رَسُولَ الله، وَمَا جِلَاؤُه؟ قَالَ: تِلَاوَة القُرْآن وَذِكْرُالله تَعَالَى }[٩٥]

الذكر القلبي – وليس اللساني – هو الوحيد الكفيل بتنظيف القلب من الأغيار وإعداده وتجهيزه لتنزل الأنوار والأسرار من العزيز الغفار ﷻ.

١٥- معنى (ن)

سؤال: ما معنى (ن) في قول الله تعالى: ﴿ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ١ ﴾ (القلم)؟

بدايات السور المتقطعة إن كانت (الم) أو (المر) أو (المص) أو (كهيعص) أو (حم)، أو (ن) أو (ق) كلها أسرار ربانية بين الله وبين الحضرة المحمدية، تكلم فيها المفسرون ولكن كل واحد يجتهد على حسب ما وصل إليه فكره، وهي لا تحتاج إلى فكره، ولكنها تحتاج إلى كشف يكشف الله من خلاله المراد في حقيقة هذه الآية.

ولذلك على سبيل المثال الإمام القشيري رضي الله عنه وأرضاه له كتاب اسمه (لطائف الإشارات) يقع في ثلاث مجلدات، أتى فيه بالإشارات التي رُويت عن العارفين في كتاب الله من البداية إلى النهاية، منها أن كل (بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) في أول كل سورة لها معنى غير المعنى المقصود بالسورة السابقة لها والسورة اللاحقة بها، وكتب هذه المعاني بكل واحدة من هذه السور.

فمن أين أتى بهذه المعاني؟... إنه إلهامات من الله ﷻ لا تُحصَّل بعلوم الدراسة، ... وإنما تُحصَّل عن طريق الوراثة: ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ ﴾ (٣٢فاطر) يعني الذين ورثوا الكتاب وعلوم الكتاب وأسرار الكتاب من الله ﷻ.

يحكي الإمام القشيري ويقول: عندما نزل جبريل وقال: (كاف) قال ﷺ: (علمتُ) قال: (هيا) قال: (علمتُ) قال: (عين) قال: علمت، قال: (صاد) قال: (علمت) قال

٩٥ الأربعين في فضائل ذكر رب العالمين للدمشقي عن ابن عمر رضي الله عنهما

جبريل عليه السلام: يا رسول الله علمتَ ولم أعلم وأنا الذي نَزلتُ به؟!. فهذا دليل على أنها صيغ نستطيع أن نسميها كما في العلوم الحربية (شفرة)، فهي شفرة بين الله وبين حبيبه.

هذه الشفرة لا يكشفها إلا للمُخلَصين وليس للمُخلِصين، فهناك فرقٌ بين المخلِصين والمخلَصين، والمخلَصون الذين سيكشفها لهم ... لا يستطيعون أيضًا أن يكشفوها إلا لواحد من المُخلَصين.

ولذلك كان من التكنولوجيا الربانية في معركة العاشر من رمضان أنهم احتاروا في اختيار الشفرة التي يمكن أن يستخدموها في الحرب ولا يستطيع اليهود فك رموزها ومعرفة معانيها، والرئيس السادات كان رجل عاقل وذكي وألمعي، فجاءه رجل نوبي وقال له: نجعل الشفرة باللغة النوبية، حيث أنها لغة تُنطق ولا تُكتب، ولا يعلم بها إلا المتكلمون بها من أهل النوبة، واليهود لا يعرفونها ولا يعرفوا كيف يكشفونها، وقد كان، فجعلوا الشفرات كلها التي بين القادة وبين الفصائل والقادة والألوية كلها باللغة النوبية، لأنها ليست لغة عالمية، فلا يعرفها إلا أهل النوبة.

فنفس الأمر بالنسبة لآيات الحروف المقطعة بالقرآن الكريم فهذه شفرات بين الله وبين حبيبه ﷺ، لكن عندما ننظر في كلام المفسرين، فالمفسرين طبعًا كل واحد منهم يفسر بما وصل إليه اجتهاده العقليّ، وبما وصل إليه في العلم النقليّ الذي هو فيه ...

فبعضهم يقول: (نون) يعني الدواة، وهي التي كتب منها القلم بمداد القدرة كل الكائنات وما تحتاج إليه إلى أن تفنى الدنيا وتأتي الآخرة إن شاء الله، وهذا تفسير عقلي وليس له سند من النبوة ولا من القرآن.

وبعضهم قال: هذه النون يعني اللوح المحفوظ، فكل واحد من الملائكة أو كل مجموعة مكلفة بعمل، وكل يوم يصعدون إلى اللوح المحفوظ وينظرون ما فيه في هذا اليوم، فمثلًا ملائكة الموت كل واحد منهم يكون مكلف بقبض فلان وفلان، ويكون محدد له الزمان والمكان وكل شيئ، لأنه يتلقى الأمر أولًا بأول، فلا يعرف أحد من الملائكة أن فلان سيموت بعد خمس سنين، وهل هو الذي يميته؟ لا ولكن تأتيه فورًا في كل وقت وحين الأوامر في حينها.

فيُحكى أن سيدنا سليمان الحكيم بن داود كان جالسًا في مجلسه، فجاء مَلَك من السماء، وأخذ ينظر إلى رجل جالس مع سليمان ويدقق فيه النظر، حتى أن هذا الرجل طلب من سيدنا سليمان أن تحمله الريح إلى بلاد الهند، فأمر الريح فحملته إلى بلاد الهند، فقال للمَلَك: لم كنت تدقق النظر في عين هذا الرجل؟ قال له: لأني رأيت أنه سيُقبض بعد قليل في بلاد الهند فعجبت كيف يكون عندك.

وهذا تفسير من التفسيرات في هذا الشأن، لكن القول اليقين كما قلت أن هذه عبارة عن شفرات بين حبيب الله ومصطفاه ﷺ، ولذلك فيها من الأسرار الربانية والأنوار القرآنية ما لا يطلع عليه إلا أهل الله الصادقين من كُمَّل الوارثين الذين يرثون علوم الوراثة عن سيد الأولين والآخرين ﷺ.

١٦- بين المغفرة والرحمة

سؤال: ما الفرق بين المغفرة والرحمة؟

المغفرة لمن أذنب أو نتوقع أن له ذنوب، لكن الرحمة عامة لنا ونحن في الدنيا، فنحن كلنا نعيش في رحمة الله، ومن رحمة الله علينا هذا الهواء الذي نتنفسه، ومن رحمة الله ﷻ علينا الشمس التي تسطع علينا كل يوم في وقت محدد وتغيب في وقت محدد، ولم تتخلف يومًا واحدًا من أول الزمن إلى يومنا هذا، ومن رحمة الله تعالى بنا أنه يحرك لنا أعضاءنا، ويحافظ على هذه الأعضاء عند المنام، ويسلمها لنا عند القيام.

فرحمة الله تشمل كل حركاتنا وسكناتنا في هذه الحياة، ورحمة الله ﷻ لا تتركنا طرفة عين ولا أقل، ولو تخلَّت عنا رحمة الله طرفة عين لهلكنا جميعًا.

لكن المغفرة لمن أذنب أو يظن أنه ربما يكون قد أذنب، لأنه لا أحد منا يعرف المقبول من الأعمال التي عملها، لأن هناك أعمال نعملها ونظن أنها حسنات وهي عند الله ذنوب وسيئات، فما نطلبه دائمًا كما علَّمنا الله وعلَّمنا رسول الله أن نقول:

﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ (الحشر ١٠)

وحضرة النبي ﷺ كان يقول:

{ مَنِ اسْتَغْفَرَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ حَسَنَةً }[٩٦]

لكن الرحمة نحن مشمولون بها من البداية إلى النهاية، وأول هذه الرحمة أن الله جعلنا مسلمين، وجعلنا من أمة خير النبيين، ووفقنا للعمل الصالح الذي يُحبه ويرضاه في كل وقت وحين.

لكن العبارات التي يكتبها الناس: (رحمة الله واسعة) فهذه عبارات مجازية من أساليب البلاغة في اللغة العربية، لكننا عندما نقف على ما جاء في كتاب الله وما جاء عن رسول الله ﷺ، الأولى أن ندعو للميت بالمغفرة، لأن الله إذا غفر له سيكون من أهل الجنة على الفور بدون شك، فيتغمده الله ﷻ برحمته ويدخله جنته إن شاء الله رب العالمين، فنأخذ بالاثنين فنقول: اللهم غفر له وارحمه:

﴿ وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١١٨ ﴾ (المؤمنون).

١٧- السيد أحمد الرفاعي في الروضة

سؤال: هناك قصة تروى عن سيدي أحمد الرفاعي أنه أثناء حجته وقد ذهب لزيارة الروضة الشريفة، وقف أما الروضة وسلم على النبي فأخرج النبي ﷺ يده الشريفة من الروضة وسلم عليه، ما حقيقة هذه الرواية؟

هما في الأصل قصتان وليست قصة واحدة لأنه حج مرتين، وسيدي أحمد الرفاعي كان فقيرًا، وليس فقيرًا أنه ليس عنده مال، ولكن لكثرة إنفاقه على الفقراء والمساكين والضيوف، فلم يدخر شيء وكل ما يأتيه ينفقه أولًا بأول.

وهذه رواية ذكرها كثير من الصالحين في كتبهم ومراجعهم، ومع ذلك لا نتحدث بها مع المنكرين، وليس عندهم حُسن النية في هذه الغايات، فكل أمر يخص الصالحين يأخذوه بسوء النية، فلا أذكر له هذه الأحوال أبدًا.

---

٩٦ مسند الشاميين للطبراني عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه

فذكروا عنه رضي الله عنه أنه كان في الزيارة الأولى لما وقف أمام رسول الله ﷺ وكان حاضر معه كثير من الصالحين معاصرين له، فقال: السلام عليك يا جدي، ولم تستطع قدماه أن تحملاه فاهتز ووقع على الأرض يعني أُخذ، وقال:

في حالة البعد روحي كنت أرسلها تُقبل الأرض عني وهي نائبتي
وهذي دولة الأشباح قد حضرت فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

الذين حضروا في هذا الموقف وكانوا حوالي سبعين ألفًا، رأوا يدًا امتدت من روضة رسول الله ﷺ وأمسك بها الإمام أحمد وقبَّلها أمام الجميع، .. المنكرون يقولون: لا أصدق هذا إلا إذا رأيته، لكن المؤمن كما يقولون عنه: يُصدِّق ويُصدَّق، فالرواية طالما عن الصادقين أصدق بها، وماذا يضرني لو صدقت بها، ففيها بشرى طيبة لمحبي سيد الأولين والآخرين، ولكننا لكي نريح أنفسنا منهم ننظر إذا كان وُجد أحد من المنكرين، فلا داعي لهذه الرواية، ونبحث عن غيرها.

وفي المرة الثانية وهو يودع رسول الله، وهذه من آداب الصالحين أن الإنسان إذا كان في زيارة الحبيب لا يبدأ الزيارة إلا بعد أخذ الإذن، وإذا أراد أن يسافر لا بد أن يودع.

الإمام أبو الحسن الشاذلي وصل إلى خارج المدينة وأمرهم بنصب الخيام، ومكثوا ثلاثة أيام، يقولون له: نريد أن نزور، يقول: حتى يأتي الإذن من رسول الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ ﴾ (٥٣الأحزاب) وبعد الثلاثة أيام قال لهم: هيا ندخل.

ولذلك الصالحون في دخول الحرم النبوي يقف عند الباب أولًا ويقول: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ ﴾ (٥٣الأحزاب) بعضهم يسمع صاحب البيت يقول له: ادخل يا فلان، وبعضهم عندما يشتغل بالصلاة على النبي في عمره ويزيد أكثر وأكثر وتأتيه النفحات، فمن ضمن هذه النفحات يشمون رائحة عند الصلاة على النبي ليس لها مثيل في دنيا الناس، وعندما يقرأ آية الاستئذان يشم هذه الرائحة، فيعرف أنها إذن فيدخل إلى رسول الله ﷺ.

ومن آداب الصالحين إذا همَّ بالإنصراف لا بد أن يودِّع، فيذهب عند رسول الله

ويقول: اللهم لا تجعل هذا آخر العهد بزيارة نبيك، اللهم ارزقني زيارته مرات وكرات !!

هل هذه فيها شيء؟ لا، لكن المنكرين الجهلة ينكرونها، لكنني أدعو الله أن يأتي بي هنا مرات وكرات، ولما ذهب سيدنا أحمد الرفاعي ﷺ وأرضاه في الحجة الثانية وقف أمام حضرة النبي ﷺ قال:

يقولون عدتم بم رجعتم يا أكرم الخلق ما نقولُ

فسمعوا صوتًا يقول:

قولوا رجعنا بكل خير واتحد الفرع بالأصولُ

طبعًا لا أحد من المنكرين حضر هذه الواقعة ولم يسمعها، فبالتالي لا يصدقها، وأنا بالتالي لا أحكيها له أصلًا، فأنا أعلم أن هذا مريض، ولو أكل لحمًا سمينًا سيموت، فهل أعطيه قطعة لحم سمين؟ لا، بل أبحث له عن قطعة عظم وتكفيه، فخاطبوا هؤلاء الناس على قدر عقولهم، وخاطبوا الأحباب على قدر قلوبهم، لأنها قلوب واسعة ومتسعة ومنفسحة فتقبل كل ذلك، وهذا لأهل القلوب، لكن أهل العيوب وأهل الذنوب ليس لنا شأن بهم.

١٨- صلة الرحم القاطع

سؤال: الرسول ﷺ أوصى بصلة الأرحام، لكن البعض دائمًا يشعر ناحيتك بأنك عدو له مع أنك تمشي معه بإخلاص، هل قطيعته نعمة، أم كيف أصله؟

نحن نخلط بين أمرين، فهناك فرق بين صلة الرحم، وبين مخالطة الرحم ومصادقته، يعني يكون صديق لي وأزوره ويزوري وأجلس معه، لأن الأرحام ليست على نسق واحد، فأنا أعرف هذا من هذا.

الذي أخالطه وأذهب إليه وأزوره وهو يأتيني ويكون بيني وبينه معاشرة فلا مشكلة فيه.

لكن الآخر كيف أصله؟

في العيد أهنئه، أو في التليفون أسأل عن أخباره، وإذا مرض أعوده، وإذا كان عنده فرح أهنيه، وإذا مات أحد من عائلته أقف معه حتى لا يشعر أحد بنا، ولا أعطي فرصة لأحد يقول: لماذا فلان غير موجود معهم؟ ... والصلة يكفي فيها السلام، لأن السلام لله فلا ينفع الخصام، والممنوع الخصام، قال ﷺ:

{ لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ سَنَةً فَهُوَ كَسَفْكِ دَمِهِ }[٩٧]

من يخاصم أخوه سنة كمن قتله، فأنا لا أخاصمه، لكن إذا قابلته في الطريق أقول له: السلام عليكم، ما أخبارك وأخبار أولادك؟ وأقابله بهذا الوجه الجميل، ولا أزيد إذا علمت أنه سيأتيني من ورائه مشاكل، لكن أمام الناس فنحن أحباب، فأنا أكلمه ويكلمني، وأشاركه في المناسبات وهو يشاركني، وفي الأعياد أزوره وهو يزورني، وهذا قصد الإسلام في هذا الأمر، لكن الإسلام يعلم أن النفوس مختلفة.

من الذي يختلط بي وأجلس معه كل يوم وأزوره ويزورني؟ من يأتلف بي سواء كان من العائلة أو من خارج العائلة، لكن المهم أن لا تحدث فرقة وخصام، لأن هذا يوغر الصدور، ويجعل الصدور فيها شيء من الحقد ويتحول إلى حسد، ويتحول إلى كره، ويتحول كما نشاهد في زماننا، نجد الأهل في كل مكان يبحثون عن أذى الأهل بأي طريقة وبأي كيفية، وجعلوا السحرة والدجالين زادوا عن الحد، ويأخذون أجورًا تزيد عن كبار الأطباء، وتفاجأ من الذي يفعل ذلك؟ الأخ يعمل لابن أخيه أو ابن أخته، لماذا هذا؟!! أين قول الله: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (الحجر).

نحن لا نريد أن نصل لهذا، كما ورد بالأثر: (اتقوا غيظ القلوب حتى في البهائم) اجتهادك أن ترفع الغيظ حتى ولو بالتمثيل، فتقول: السلام عليكم وما أخباركم؟ حتى ترفع ما في الصدور، وتكون هذه صلة الأرحام إن شاء الله.

لكن الصداقة والوئام فلهما وضع آخر كالمهاجرين والأنصار، هل كانوا من عائلة واحدة؟ لا، لكن كان الرجل منهم يقتسم مع أخيه داره وماله وممتلكاته، ويقول له: أنا

٩٧ سنن أبي داود ومسند أحمد عن أبي خراش السلمي رضي الله عنه

متزوج من اثنتين فانظر إلى ما تعجبك منهما أطلقها وبعد العدة تتزوجها، فهذه الأُخُوة بالنية الخالصة لله، وهي شيء نادر، لكن هؤلاء لا غنى لنا عنهم.

كان سيدنا جعفر الصادق ﷺ يقول:

(ليس برجل من لم يعاشر بالمعروف من لم يجد من معاشرته بُد)

يعني أخي أنا مضطر أن أعاشره، هل أتبرأ منه؟

لا، أو أختي، أو جاري، فماذا أفعل؟

أحاول أن أتصنَّع وأتصبر حتى أرفع الغيظ الذي عنده، وأعيش مرتاح البال، ونكون أمام الناس لا شيء بيننا وبين بعضنا.

لكن كثير من الناس الآن تجاوزوا الحدود ...

حتى أن الناس العاديين يلاحظون أن فلان هذا لا يكلم أخاه، لأن بينهم عداوة شديدة، فيُظهروا العداوة، ويذهب هنا وهنا ويريد أن يؤذيه بأي كيفية وبأ يطريقة، لماذا يا بني؟ هل أخوك هذا – والعياذ بالله – يهودي؟!! فاجعله ليس أخًا لك من أم وأب، لكن اجعله حتى مسلم، فلِمَ تؤذيه وتبحث عن إيذائه؟ إن لم تنفع فلا تضر على الأقل، لكن هذا حدث لظلام النفوس وسواد القلوب من البعد عن حضرة علام الغيوب، فهذا الذي شوَّه صورة مجتمعنا في هذه الأيام.

لكن صلة الأرحام عملية بسيطة:

فأنا معي الهاتف أتكلم فيه كل يوم بالساعات، ماذا فيها لو جعلت كل يوم خمس دقائق لأحد الأقارب؟ أسأل عن أخباره وأطمأن عليه، أهنئه إذا نجح ولد له في امتحان أو غير ذلك، فنحتاج للذكاء في هذه الأمور.

قد يقول أحد: أنا لا أستطيع السيطرة على نفسي ولا أستطيع فعل هذه الأعمال، لكن هي تحتاج ذلك، أن نحسن التعامل مع الأهل والأحباب لأنهم يتأثروا بسرعة ويكونوا سريعي الأسى والغضب ممن يهمهم أمرهم.

١٩- التوبة النصوح

سؤال: كيف أتوب إلى الله توبة نصوحًا ولا أعود للذنب بعدها أبدًا؟

تذكر الموت، لأن الموت قد يأتي في أي وقت، فلو جاء الموت وأنت على الذنب فهذه مصيبة، قال ﷺ:

{ يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ }[٩٨]

تُبعث يوم القيامة وأنت تفعل هذا الذنب، وفضيحة يراها الأولون والآخرون ... مثلًا تُبعث وأنت تمارس الزنا، والخلائق جميعًا يشاهدون ويرون !! فماذا يكون هذا الخزي؟!

فمن الذي يضمن أن يفعل الذنب ويؤجل أجله حتى ينتهي من الذنب ثم يتوب؟

لا أحد !! وقد ورد بالأثر:

(إن من الناس من يتهدَّل - يعني ينزل - لحمه يوم القيامة من شدة الحياء).

فهنا في الدنيا يحمر وجهه من الحياء، لكن هناك لن يكفيه الإحمرار، بل سيتهدَّل وجهه من شدة الحياء، لأن الكل سيراه.

أو يأتي الأجل وهو – والعياذ بالله – يقتل، أو يأتي الأجل وهو يسب أمه أو أباه!!

وعقوق الوالدين من أكبر الكبائر، فيأتي يوم القيامة وهو يقول لأبيه كذا أو لأمه كذا، ولا ينفع الاعتذار:

﴿ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (المرسلات)

حتى هم أنفسهم ليس عندهم وقت المسامحة، فقد كان هذا في الدنيا، لكن بعد انتهاء الحياة كل واحد يبحث عن الحسنات التائهة التي له.

---

٩٨ صحيح مسلم ومسند أحمد عن جابر رضي الله عنه

٢٠- تزكية النفس

سؤال: كيف يتم تزكية النفس؟

تزكية النفس يعني تطهير النفس من كل ما ذكره الله في كتاب الله أنه لا يحبه، فكل كلمة قبلها (لا يحب) لا بد أن أطهر نفسي منها: مثلًا:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ (الحج)

فأطهر نفسي من الخيانة، والخيانة تحتاج لشرح طويل، ذكر الله منها:

﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ ﴾ (غافر)

فأطهر نفسي من الخيانة في نقل الكلام، والخيانة في إباحة الأسرار، والخيانة في التحسس والتجسس على أحاديث أو بيوت المسلمين، والخيانة أقلها أن أنظر بعيني كما يقولون (من تحت لتحت) حتى لا ينتبه الناس إليَّ، فهذه خائنة الأعين،ولذلك كان ﷺ لا يلتفت برأسه فقط، ولكن يلتفت جميعًا لتمام الوضوح، كما قيل فيه:

{ وَإِذَا الْتَفَتَ الْتَفَتَ جَمِيعًا }[٩٩]

وأيضًا أنظر إلى الآيات القرآنية التي فيها الأشياء التي يحبها الله لأتبعها، مثلًا:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ (البقرة)

لم يقُل التائبين، ولكن (التوابين) فأظل باستمرار في توبة وأوبة إلى الله، وأُجدد التوبة باستمرار، وأكون من المتطهرين ظاهرًا بالماء وباطنًا بالحب لجميع المسلمين والمسلمات، ليس عندي بُغض ولا كُره ولا حقد ولا حسد ولا أثرة ولا أنانية.

فيمشي على هذه الآيات القرآنية فيجد بُغيته إن شاء الله في تزكية النفس بأنه يعمل بما يحب الله ويترك ما لا يحب الله.

---

٩٩ شعب الإيمان للبيهقي والطبراني عن هند بن أبي هالة رضي الله عنه

الباب الرابع

مصاحبة الصالحين

١. الفرق بين المواجهة والسماع في مجالس العلم ١٣٣
آثار التردد على الصالحين ١٣٦
٢. رؤيا الشيخ في المنام ١٣٨
٣. صفات الداعي الحكيم ١٣٩
٤. عيون المقربين ١٤٢
عين الحس ١٤٢
عين القلب ١٤٢
عين السر ١٤٤
عين الروح ١٤٤
عين النفخة القدسية ١٤٥
٥. هيبة الله في القلوب ١٤٦
خشية النبى ١٤٧
أسرار الخشية ١٤٨
٦. هيبة الشيخ ١٤٩
٧. همة المريد وأحوال شيخه ١٥١
٨. آداب التعامل مع الشيخ ١٥٣
٩. مصاحبة الصالحين ١٥٧
١٠. في صحبة الشيخ ١٥٧
١١. بين الشيخ والمريد ١٦٣
١٢. التكفل بأمور الشيخ الدنيوية ١٦٥

الباب الرابع
مصاحبة الصالحين

١- الفرق بين المواجهة والسماع في مجالس العلم

السؤال: كلام يتردد مع كثير من المسلمين العامة والخاصة، أن الإنسان مع وسائل التواصل الحديثة يستطيع أن يستمع إلى العلم عن طريق المذياع، أو عن طريق التليفون المحمول، بل يستطيع أن يستمع إلى العلم ويرى العالم عن طريق الفيديو، أو في أي قناة تلفزيونية عصرية، فهل يُغني ذلك عن الجلوس بين يدي العالم لتلقي العلم منه؟

هذا مرض استشرى وتفشى في هذا العصر نتيجة رغبة النفس في التكاسل، وعدم النهوض للسفر، أو للمشي والحركة للجلوس بين يدي العالِم، مع أن الذي يذهب إلى المسجد أو موضع العالِم وينتقل من بيته إليه له:

أولًا: بكل خُطوة يمشيها حسنات ودرجات، وتكفير للسيئات.

ثانيًا: إذا جلس بين يدي العالم ينطبق عليه قول رسول الله ﷺ:

{ مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ ؛ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمْ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ }[١٠٠]

ما اجتمع قومٌ في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم، أي مواجهة بعضهم لبعض، هؤلاء تتنزل عليهم السكينة، وتغشاهم الرحمة، وتحفهم الملائكة بأجنحتها، ويذكرهم الله تعالى في ملأ عنده، وهذه نعمٌ لا نستطيع شرحها ولا توضيحها لضيق المجال الآن.

---

١٠٠ صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه

ثالثًا: هذه المجالس يقول فيها ﷺ في الحديث الصحيح:

{ إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ فُضُلًا عَنْ كُتَّابِ النَّاسِ، فَإِذَا وَجَدُوا أَقْوَامًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى بُغْيَتِكُمْ، فَيَجِيئُونَ فَيَحُفُّونَ بِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا }[١٠١]

وفي نهاية الحديث يقول الله للملائكة:

{ فَإِنِّي أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، فَيَقُولُونَ: إِنَّ فِيهِمْ فُلَانًا الْخَطَّاءَ لَمْ يُرِدْهُمْ إِنَّمَا جَاءَهُمْ لِحَاجَةٍ، فَيَقُولُ: هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى لَهُمْ جَلِيسٌ }[١٠٢]

هؤلاء ملائكة يسوحون في عالم الأرض وعالم الملكوت، يبحثون عن قوم يذكرون الله تعالى، إن كان ذكرٌ بالتهليل، أو التكبير، أو التسبيح، أو التحميد، أو الذكر الأكبر وهو العلم، لقول الله تعالى في صلاة الجمعة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾ (٩الجمعة) لم يقُل فاسعوا إلى الصلاة، لأن صلاة الجمعة ركعتان، والظهر وهو الذي يكافئها أربع ركعات، ولم يقُل لرسول الله، لأن رسول الله كان في زمانه ويتلوه خلفاؤه وورثته ونوابه إلى باقي الزمان، وهم على أثره يُذكِّرون الناس، ويذكرون لهم العلم النافع الذي هو السبيل الأوحد للعلم الرافع، ولتنوير القلب بالنور الساطع.

رابعًا: أيضًا في مجالس العلم في مواجهة العالِم الحي، أي في مواجهة صورته إن كان في التلفاز أو في الفيديو أو غيره، فإن مواجهة العالِم يُقال فيها:

((النظر في وجه العالِم عبادة)).

وهنا نوضح نقطة، فمن أدب الجلوس مع العارف بالله عدم إطالة النظر إليه، وهذا كان حال أصحاب النبي الكريم، وحال المصطفى الذي هو أولى بكل تعظيم وتكريم.

فقد كان ﷺ من شدة حيائه لا يستطيع أن يُثبِّت بصره في عيني مُحدِّثه، ومن هنا كان أصحابه إذا تواجدوا بين يديه من شدة حيائهم من حضرته، ومن شدة الهيبة التي كساها له رب العزة ﷻ، لا يستطيعون أن يملأوا أعينهم من النظر إلى جمال حضرته.

---

١٠١ جامع الترمذي ومسند أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

١٠٢ جامع الترمذي ومسند أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

رُوي أن عمرو بن العاص ﷺ وهو في مرض موته، قال له ابنه عبد الله بن عمرو وكان من الصحابة الكُمَّل: يا أبتِ أبشر فقد لقيت رسول الله ﷺ، وكنت من صحابته الأجلاء، فقال: يا بني لقد كان لي هِناةٌ . يعني أشياءٌ – لا يحب أن يُذكَر بها المرء قبل الإسلام، وكان لي هناةٌ بعد انتقال الرسول ﷺ إلى الملأ الأعلى، وإني مكثت مع رسول الله ﷺ سنين عددًا، ولكني لم أستطع أن أملأ عينيَّ من وجهه الشريف، ولا أستطيع أن أصفه من مهابته وجمال طلعته ﷺ، فالممنوع هنا هو دوام النظر وتثبيته على الوجه، لأن هذا يعني أن المرء مشغولٌ بالحسي، والمطلوب أن يكون مشغولًا بالشغل القلبي، وإذا انشغل الإنسان بقلبه ربما تتوقف عين الرأس عن النظر، ولذلك قال إمامنا أبو العزائم ﷺ:

غُض عين الحس واشهد بالضمير تَشهدَن يا صبُّ أنوار القدير

خامسًا: يقول سيدي أحمد بن عطاء الله السكندري ﷺ في مجالس الأتقياء الأنقياء من العارفين:

((تسبق أنوارهم أقوالهم، فتجذب القلوب، وتهيئها لحضرة علام الغيوب)).

فإن الجالس بين يدي شيخه أو أستاذه أو أي عالِم، يكون له تأثيرٌ باطني في أعضائه الباطنية لأنها خضعت لهيمنة باطن هذا العالِم، فيمده بمدده الروحاني، ويغذيه بغذائه القلبي، ويُفيض عليه من أنوار الله وأسرار الله وعلوم الله، ما لايستطيع أحد وصفه، وما لا يناله الجالسون لمشاهدة صورته، فإنهم يستمتعون بكلامه، ولكنهم لا يخضعون لهيمنة باطنه، فلا ينالون هذه الإفاضات التي كان فيها أصحاب رسول الله ﷺ، ومنهم سيدنا حنظله ﷺ وكان من كُتَّاب رسول الله ﷺ، يقول:

{ لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟، قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا تَقُولُ؟، قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، فَنَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَمَا ذَاكَ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ

اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً ثَلَاثَ مَرَّاتٍ }[١٠٣]

آثار التردد على الصالحين

ولذلك مدد الصالحين، ونظرات العارفين، تأتي للمحيطين به في مجلسه، والناظرين إليه بعين البصيرة وعين الجسم معًا في كل وقت وحين، ولذلك لا غنى عن ذلك للسائلين.

ونقول قولةً واحدة: من أراد أن ينال ما عند العارفين عن طريق الهاتف، أو عن طريق وسائل التواصل الاجتماعي كالواتس آب أو الماسنجر أو الفيديوهات، لا ينال إلا الإشارات والكلمات العلمية، أما التغذية الروحية، فلا بد من الحضور بين يدي العارف أو العالم، وطب القلوب كطب الأجسام، هل يستطيع واحد منا أن يأخذ الروشتة السليمة للعلاج من داء أو سقم أو مرض من الطبيب النُّطاسي الحكيم عن طريق الهاتف ولم يذهب إليه ولم يره؟! لا، بل لا بد أن يذهب إليه، ويعالج أعضاءه، ويكشف عن حالته، ويكشف الأسرار التي هي السبب في سقمه أو مرضه، ويصف الدواء على قدر الداء، قال ﷺ:

{ إِنَّ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَامَ فِي قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، لَا تَكَلَّمُوا بِالْحِكْمَةِ عِنْدَ الْجَاهِلِ فَتَظْلِمُوهَا، وَلَا تَمْنَعُوهَا أَهْلَهَا فَتَظْلِمُوهُمْ، كُونُوا كَالطَّبِيبِ الرَّفِيقِ يَضَعُ الدَّوَاءَ فِي مَوْضِعِ الدَّاءِ }[١٠٤]

وإلا ما اتَّبعنا سلفنا الصالح في قطع المسافات والمشي آلاف الأميال والكيلومترات لمقابلة الصالحين، فقد سمعت بأذني هذه من أخ لنا من إخواننا السابقين، كان يشتغل كاتبًا في المحكمة الشرعية في السويس، وكان اسمه عبد الحميد سري، قال: سمعت أن سيارة ستتجه إلى القاهرة في مهمة، فاستأذنت منهم أن يأخذوني معهم، وكان كل همي أن تقع عيني ولو لنظرة واحدة على شيخي الإمام أبو العزائم رضي الله عنه.

---

١٠٣ صحيح مسلم والترمذي عن حنظلة بن الربيع رضي الله عنه

١٠٤ المطالب العالية لابن حجر عن ابن عباس رضي الله عنه

فوصلنا في ساعة الظهيرة وكان يقيل في تلك الساعة، واستأذنت من الخادم وكان يُسمى الشيخ مفتاح، فقال لي: مستحيل، فلو جاء الجن والإنس حتى ولو جاء جبريل لا أوقظ شيخي ﷺ من أجل ذلك!.

قال: وبينما أنا أتجادل معه الحديث إذا بالإمام أبو العزائم يُصفِّق، وكان هذا دأبه في استدعاء خادم حجرته، فدخل الشيخ مفتاح فقال له: من بالباب؟ قال: الأخ عبد الحميد سري من السويس، قال: أدخله، قال: فدخلت إليه وقبَّلت يده ونظرت إلى وجهه، فقال: يا عبد الحميد:

((نظرةٌ في الوجه خيرٌ من عبادة ألف شهر))

ثم أذن لي بالإنصراف ولم أحظ إلا بذلك.

وهذا يُعلمنا قدر جلوس الإنسان مع الصالحين في مجالسهم المباركة التي هي موضع نظر رب العالمين، وموضع إكرام سيد الأولين والآخرين، وقال في ذلك إمامنا أبو العزائم ﷺ موضحًا الأنفاس التي نقضيها في هذه الجلسات الروحانية:

((نَفَسٌ مع العارف حياة للقلب، ونَفَسٌ في حياة القلب خيرٌ من حياة الفردوس))

وقال:

أنفاس أهل الصفا شكرٌ وإيمان وحالهم كشف سر الكون إحسان

وقال:

نفسٌ بقلبٍ سليم رفعةٌ ورضا وألف عامٍ بلا قلبٍ كلحظات

وقال:

ألف عامٍ بغير باب التهامي هي نَفَسٌ بشرى لأهل السماح

فأنفاس الإنسان مع العارف تحيي القلب الحياة الإيمانية، أو الحياة النورانية، أو الحياة الشهودية، أو الحياة القدسية، نسأل الله ﷻ أن يُجمِّلنا بهذه الحالات، وأن يعيننا على أنفسنا حتى لا نتخلف عنها أبدًا.

٢- رؤيا الشيخ في المنام

السؤال: سمعت أن الرؤيا لا يُؤخذ بها حكمٌ شرعي، فإذا جاء الشيخ للمريد في الرؤيا وقال له أوامر معينة، هل يأخذ بها؟ وهل تكون هي رؤيا حقٌ؟

الرؤيا لا يُؤخذ بها حكم من الأحكام الشرعية المنضبطة على يد خير البرية، فلا نستطيع أن نأخذ بالرؤيا في حكم جديد في الصلاة أو في الصيام أو في الزكاة أو في الحج أو في الميراث أو في الزواج أو في الطلاق، لأن هذه أحكام ثبتت على يد المُشَرِّع، ولا تحتاج إلا الاجتهاد، والاجتهاد له مواصفاته الشرعية التي تكون في أوصاف المجتهدين في كل زمان ومكان.

أما لو جاء الشيخ لمريده ونصحه نصيحة، فما دامت نصيحة صحيحة لا تعارض الكتاب والسُنَّة يعمل بها، أو نهاه عن فاحشة أو سيئة يعملها، وهو يعلم أنها سيئة أو أنها فاحشة، فعليه فورًا أن يتجنبها، وهذه الرؤيا تكون من الله ﷻ، لأنها تنبه المريد إلى أمر قد يستفيد به إذا كانت نصيحة، أو قد ينتهي عنه إذا كان نهيًا عن شيء قبيح، وذلك مطلوب، وهو بندٌ من بنود الرؤيا الصالحة التي يذهب بها الأشياخ للمريدين لحسن توجيههم في سيرهم وسلوكهم إلى رب العالمين، قال ﷺ:

{ إِذا أَرادَ اللهُ بِعَبْدٍ خيْرًا، عاتَبَه في مَنَامِه }[١٠٥]

لكن الشيخ إذا جاء للمريد لا يفتيه في المنام فتوى شرعية إلا إذا كانت توافق الشريعة الإلهية.

ومن هنا فأي حكم شرعي ولو كان في المنام لا بد أن نعرضه على شريعة الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

متى أتبع الرؤيا إذا كانت من الشيخ وأعمل بها؟ إذا أمرني في المنام بورد معين، أو

١٠٥ الديلمي في الفردوس والسيوطي في الجامع الصغير عن أنس رضي الله عنه

إذا أمرني بذكر معين، أو إذا أمرني بصيغة أُصلّي بها على الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، أو إذا أمرني بزيارة أخ في الله، أو إذا أمرني بمعونة لمحتاج، أو إذا وجَّهني إلى صلة الأرحام، أو إذا وجَّهني إلى الرفق بأحد من الأيتام، فهنا الشيخ يوجه إلى العمل الصالح، وعلى المريد أن يسارع إلى ذلك مرضاة لله ﷻ.

وإذا نهاني عن مجالسة فلان، لأن هذا المجلس فيه ظلمات ومعصية يجب أن أنتهي، وإذا نهاني عن النظر إلى العورات يجب أن انتهي، وإذا نهاني عن كسب فيه شبهة يجب أن أنتهي، لأن المؤمن لا يأكل إلا من حلال، نسأل الله التوفيق على الدوام.

٣- صفات الداعي الحكيم

السؤال: أرجو من فضيلتكم شرح هذه الحكمة للإمام عليٍّ:

(لا يقيم أمر الله سبحانه إلا من لا يصانع، ولا يضارع، ولا يتبع المطامع)؟

الإمام عليٍّ رضي الله عنه وكرَّم الله وجهه وضع في هذه الحكمة شرائط ثلاث، إذا توفرت في الداعي إلى الله، كان هو الداعي الحكيم الذي يُصغي اللهُ قلوب الخلق لسماع كلامه، ويجذبهم نحوه ويشدهم إليه.

وإذا فقد هذه الشروط أو إحداها فإن كلامه يكون في الآذان، ولا يتجاوز الآذان كما قيل: ((إذا كان الكلام من اللسان فلا يتجاوز الآذان، وإذا كان الكلام من القلب وصل إلى القلب)).

أول شرط من هذه الشروط:

أن لا يصانع، يعني لا يحاول أن يلاين هذا ليستفيد منه، أو يحاول أن يجالس هذا ليستفيد فائدة دنيوية منه، أو يراسل قومًا طمعًا فيما عندهم من الغنائم، فالمصانعة هي المداهنة، والمداهنة هي التودد للخلق رغبة فيما عندهم، وهذه لا ينبغي أن تتوفر في الداعي إلى الله ﷻ.

فإذا تودَّد الداعي إلى الخلق ولو رغبة في الشُهرة عندهم، أو رغبة في إعزازهم وإجلالهم له، أو رغبة في أن يقوموا له إذا حضر، ويُقبّلوا يديه إذا سلَّموا عليه، أو يسارعون في قضاء حوائجه الدنيوية، كل هذه رغباتٍ دنيَّة لا ينبغي أن تكون لأهل الدعوة التقية والنقية، لأنهم على منهج سيد الرسل والأنبياء، وكذا إخوانه من الرسل والأنبياء، وكانوا يقولون كما أخبر الله: ﴿ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ ﴾ (٧٢يونس).

لا يريد مقابل دعوته أجرًا ولو كان حتى ثناءًا أو حمدًا أو تكبيرًا أو تعظيمًا أو قضاء مصلحة أو الإتيان بمنفعة، لا يرجون إلا كما قال في ذلك الإمام علي، وهو من الدعاة الأوائل الذين كانوا على قدم النبي ﷺ وعبَّر عنه القرآن فقال: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ ﴾ (الإنسان) أي ولا حتى ثناءًا ولا حمدًا، وإنما يرجون الخير كل الخير من رب الخير ﷻ.

الشرط الثاني: ولا يضارع، أي لا يحاول أن يتشبَّه بالصالحين الذين أقامهم الله، وجعل لهم القبول عند خلق الله، وهو خال من البضاعة التي وهبها لهم الله، فإن الصالحين إذا وهبهم الله ﷻ من عنده كما قال في وليّ الله صاحب موسى: ﴿ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۝٦٥ ﴾ (الكهف).

فإذا آتاه الله الحكمة كما قال في أنبياء الله موسى ويوسف: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ ﴾ (١٤القصص) والحكم هنا هو حكم مملكته، وحكم نفسه التي بين جنبيه، وليس الحكم بين الخلق في الدنيا، والعلم الإلهي، فإذا آتاه الله هذه البضاعة، وجمَّله بالحكمة الإلهية النبوية، فإن الله ﷻ يقول لعبده جبريل:

{ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ،
ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ }[١٠٦]

وأهل السماء لها معنيين، أي يحبه الملائكة والمقربين في السماء، أو أهل سماء العُلوُّ في فضل الله وإكرام الله من عباد الله الصالحين، فإنهم سموا في المقام حتى أصبحوا في قرب القرابة من الله على الدوام.

١٠٦ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

ونداء جبريل يكون في القلوب، وليس في الإذاعات، ولا تسمعه آذان الرؤوس، وإنما يكون في قلوب المتقين المشرقة بنور سيد الأولين والآخرين ﷺ، فيُحبه أهل السماء.

ثم يُوضع له القبول في أهل الأرض، أي الذين ما زالوا متمسكين بعالم الأرض وما فيها من منافع وشهوات، وآمال فانية، ولكن لهم قدرٌ من التوفيق عند الله إذا جُمعوا على هذا العبد، أخذ بأيديهم ورفع عنهم هذه الحجب الدنيوية، وقرَّبهم إلى حضرة الله ﷻ.

فهؤلاء القوم يعملون كما قلنا لله طلبًا لمرضاة الله، ومن تشبَّه بهم ولم يحصُل على بضاعتهم من عند حبيب الله ومصطفاه إنما يكون لغاية في صدره، لحب للظهور، أو لرغبة في شُهرة، أو لجمع المال من هنا وهناك، وقد قيل: ((حب الظهوريقسم الظهور)).

فإن هذا وأمثاله وإن طال أمده في الدنيا فإنه يومًا في الدنيا لا بد أن ينجلي أمره، ويفتضح شأنه، لأنه ليس في درب المخلصين الذين أثنى عليهم ومدحهم رب العالمين ﷻ، وعصمهم من الشيطان عندما قال: ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (ص).

فلا يستطيع أن يوسوس لهم، ولا أن يُزين الأشياء الفانية لهم، لأنهم في حفظ الله وكنف الله، ويُجمَّلون ظاهرًا وباطنًا بقول الله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (الأنعام).

الشرط الثالث: ولا يتبع المطامع، وهذه طامة كبرى لا ينبغي لداعي إلى الله أن يتصف بها، أو يتخلق بأخلاق أهلها، فإنه يطمع فيما في أيدي ذوي الأموال، ويطمع فيما عند ذوي الأحوال إلى حال وهبه له الواحد المتعال.

هذه الأطماع تملأ قلبه ونفسه بالصراع، وتجعله يمتلئ بالأحقاد والأحساد التي نهى عنها رسولنا الكريم حيث قال ﷺ:

{ لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَ آنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَ آنَاءَ النَّهَارِ}[١٠٧]

أما هذا فيحسُد أهل الدنيا على ما عندهم، وأهل الأهواء على ما نالوه، وأهل

١٠٧ البخاري ومسلم

المطامع على ما حصَّلوه، وهذا طمعٌ نهى عنه الله ﷻ، ومهما جمع هذا الطامع فإنه سيخرج من الدنيا يومًا ولن ينفعه شيئًا مما جمعه، بل سيُسأل عنه ويُحاسب عليه عند الله ﷻ.

إذًا الداعي الحكيم الذي وصفه الإمام عليٍّ رضي الله عنه وكرَّم الله وجهه – والذين نسأل الله ﷻ أن نكون على هيئته أجمعين – :

- هو الذي لا يداهن الناس من أجل ما هم فيه من الدنيا.
- ولا يتشبه بالصالحين مع خلوه من أحوالهم ومواهبهم.
- ولا ينصب نفسه للدعوة طمعًا فيما عند الناس من دنيا فانية، أو أشياء دانية.

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من أهل ذلك، وأن يبلِّغنا جميعًا ذلك.

٤- عيون المقربين

السؤال: ما الفرق بين عين القلب، وعين الروح؟ وكيف أفتحهما؟

هذا السؤال في حد ذاته ليس بكاف، فإن العيون التي جعلها الله ﷻ في الإنسان الذي اختاره الله خليفة عن حضرته في الأكوان، عيونٌ كثيرة.

عين الحس

أولها عين الحسّ، وهي العين التي في الرأس، وسُميت عين الحس لأن الإنسان لا يشهد بها إلا المحسوسات، ولكن لا يستطيع أن يشهد بها الغيبيات، ولا ما في باطن المحسوسات، وتُسمى أيضًا عين الظاهر، لأن الإنسان لا يرى بها إلا المظاهر الظاهرة التي فيه، والتي في الأكوان.

عين القلب

وهناك عين القلب، وعين القلب يقول فيها الإمام أبو العزائم رضي الله عنه وأرضاه:

بعين الروح لا عين العقول شهدتُ الغيب فى حال الوصول

فعين القلب هي التي يشهد بها الإنسان الأنوار الإلهيات القائمة بها الكائنات:

فإن كل كائنٌ في الوجود عُلوًا وسُفلًا قائمٌ بسرٍ من أسرار الله، وفيه نور من أنوار حضرة الله، لا يرى هذا السر، ولا ينكشف على هذه الأنوار إلا من أنار الله بصيرتهم، وكشف الله ﷻ عن سريرتهم، ولذا قال الله:

﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ (الحج).

وهي تُسمى أيضًا عين المعاني، لأن الإنسان يرى بعين الرأس المباني، ويشاهد ما فيها من المعاني بعين القلب إذا أدنوه وقربوه وألبسوه حُلل التهاني.

فعين القلب يرى بها الإنسان الغيبيات الإلهية في كل ما حولنا وما فينا من العناصر الكونية، ويرى فيها أيضًا ما في العوالم العلوية من عوالم الملكوت، ومن عوالم الجنة، ومن عوالم أُخرى لا يعلم مداها إلا الله، يكشفها لهؤلاء، وهؤلاء هم المقربون والصادقون من عباد الله ﷻ المخلصين، والذين يقول فيهم الله ﷻ: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ (١٧هود) أي يتلو القرآن، يتلو باللسان ويشهد بالقلب وبالجنان أنوار الله ﷻ التي جعلها لنا في القرآن، ويُسموا هؤلاء أهل العيان للحق، وهم أفرادٌ معدودون تفضل الله ﷻ عليهم بالمعاينة أو بالمشاهدة بعين القلب إذا صفت:

إذا صفا القلب من وهم وشبهات يشاهد الغيب مسرودًا بآيات

وفيها يقول القائل:

قلوب العارفين لها عيون ترى ما لا يراه الناظرون
وأجنحة تطير بغير ريش إلى ملكوت رب العالمينا

وفتحها يكون بغض الحواس الظاهرة عن النظر في المكونات، والمداومة على ذكر الله تعالى، وفي ذلك يقول الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

غض عين الحس واشهد بالضمير تشهدن يا صب أنوار القدير

ويقول ﷺ: { القَلْب يَصْدأُ كَمَا يَصْدَأ الحَدِيد، قِيلَ: يَا رَسُولَ الله، وَمَا جِلَاؤُه؟ قَالَ: تِلَاوَة القُرْآن وَذِكْرُ الله تَعَالَى }[١٠٨]

١٠٨ الأربعين في فضائل ذكر رب العالمين للدمشقي عن ابن عمر رضي الله عنهما

عين السّر

وهناك عين السر، وعين السر يشهد بها الإنسان الحقائق النورانية والروحانية للنبي العدنان، فإنه ﷺ لا يُرى إلا بعين السر، وعين السر فيها السر الإلهي الذي من أجله اختصنا الله بخلافته، وجعلنا من أهل رعايته وعنايته، وجعل نبينا ﷺ قريبٌ منا قرب القرابة، نراه منامًا، ونراه عِيانًا في مقاماته الروحانية والنورانية التي تتجدد في كل أنفاسه، وفي كل أنفاس الكون، خِلعة وهِبة من رب البرية ﷻ.

وتُفتح بمدد من حضرة النبي ﷺ سر قوله تعالى:

﴿ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ (الصافات).

عين الروح

وهناك عين الروح، وهي يشاهد بها صاحبها تجليات الله ﷻ التي يتجلى بها على ملكوته، وعلى ملكه، وعلى قلوب عباده الصالحين، وهذه العين يشهد بها الإنسان العوالم الروحانية التي تسري في كل العوالم العلوية، وتتنزل إلى العوالم السفلية، ويرى بها التجليات الإلهية التي يتجلى بها الله ﷻ على المخصوصين من عباده، فإن الله ﷻ كما قال ﷺ:

{ يَتَنَزَّلُ رَبُّنَا ﷻ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَلَهُ؟ }[١٠٩]

ويتنزل يعني يتجلى لهم، ولذلك قال سادتنا الصالحون: إن الأسحار هي أوقات التجليات الإلهية لعباد الله المقربين من الله ﷻ لأرواحهم، فيتمتعون بهذه المشاهدات، ولا يريدون أن يتركوها لحظة ولا أقل:

بالتجلي في ســـاعة الأســـحار إذا أضاءت شـموسـها للسـاري

هؤلاء عباد الله الذين يتمتعون بهذه المشاهد الروحانية بعين الروح التي جعلها فيهم حضرة السبوح ﷻ بفضل منه ومنَّة، وهؤلاء أهل الكمال.

---

١٠٩ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

عين النفخة القدسية

أما أهل المشاهد الأكملية فيتفضل الله ﷻ عليهم بعين قدسية تنظر إلى الأسماء الإلهية وفعلها في الحياة العُلوية والدنية، وقد تنظر لمحات إلى حضرات الذات العلية، وفيها يقول الله ﷻ على لسان الإمام أبي العزائم رضي الله عنه:

في العبد عينٌ تراني في حال قُرب التداني

إذا قربوه وأدنوه ووصل إلى شميم من مقام: ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ ﴾ (النجم) قد يرى من الحقائق الإلهية ما لا يستطيع أن يُبيح به حتى للملائكة المقربين من أهل العوالم العلوية، وهذه العين القدسية هي التي يتفضل الله بها علينا جميعًا في الحياة الأُخروية لنتمتع بمشاهدة الذات العلية، قال ﷺ:

{ هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ، ضَوْءٌ لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، ضَوْءٌ لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ اللَّهِ ﷻ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا }[١١٠]، وفي رواية أخرى:

{ إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ }[١١١]

فالعوام يوم قيامتهم بعد موتتهم العزرائيلية ..

وخواص الخواص بعد أن يُميتوا أنفسهم ويحيوا الحياة الروحانية القلبية ويفنوا عن الدنيا الدنية بالكلية:

يتمتعون بهذه المشاهد العُلوية، عاجلةً لهم في حياتهم الدنيوية !!!

بينما غيرهم لا يرونها إلا في الحياة الأُخروية.

نسأل الله ﷻ أن يفتح لنا هذه العيون، وأن يجعلنا داخلين في قول الله لحبيبه ومصطفاه: ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ ﴾ (الطور ۝٤٨)

---

١١٠ البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

١١١ صحيح البخاري والطبراني عن جرير رضي الله عنه

٥- هيبة الله في القلوب

السؤال: كيف أُعظِّم هيبة الله في قلبي؟

هيبة الله ﷻ يعني خشية جلاله، والرهبة من جبروته.

ودائمًا وأبدًا يخشى الإنسان في الدنيا إن كان من المقربين من البعد عن حضرته، أو الصدود عن ذكره وطاعته، أو النفور من الإقبال على الأخيار من بريته، أو يتخلى الله عنه فيركن إلى الأشرار، أو يميل إلى الفجار، أو تميل به نفسه فيُعظِّم نفسه ويرى لنفسه مكانة في عالم الناس، فيزاحم الخواص ويريد أن يكون له بينهم اختصاص، وغيرها من هذه الأمور التي لا تحدث للعبد إذا كان قلبه مملوءًا بخشية الله، والخوف من جلال الله وعظمة الله ﷻ.

يقول الله تعالى عن الدعاة أهل الخشية: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ٣٩ ﴾ (الأحزاب) وصفهم الله بخشيته، وقد وصف الله ﷻ هؤلاء الأعلام أهل الخشية بأنهم هم العلماء بالله وبصفات الله وأسمائه حقًا، فقال ﷻ: ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ (٢٨فاطر) إذًا الخشية هي التي تولِّد الهيبة في القلب لحضرة الله ﷻ، يقول الإمام أبو العزائم في هؤلاء:

وإذا دعاهم أن يدلوا غيرهم ... قاموا بحولٍ منه لا بفخار
يدعون والرهبوت ملء قلوبهم ... بالهديّ هديّ المصطفى المختار
وإذا رأيت الخلق مقبلة فلا ... تركن ركون مقربٍ من نار

كيف يكتسب الإنسان هذه الخشية ويكون من أهل خشية الله ورهبة الله ومراقبة جلال الله وعنده هيبة عظيمة لمقام مولاه؟ بالعلم، كما ذكر الله في الآية: ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ (٢٨فاطر) هؤلاء العلماء هم الذين ملكوا ناصية خشية الله ﷻ.

والعلماء أنواع، منهم خِزن العلم، وهم الذين يقرأون، وقد يحفظون ثم يقولون لغيرهم ما حصَّلوه من الكتب، أو من ألسنة العلماء، فهؤلاء تستطيع أن تسميهم خِزن العلم، لأن العلم مخزونٌ في صدورهم وأخذوه عن غيرهم.

ومن العلماء؛ العلماء بالله، وهم الذين عرَّفهم الله بصفاته ونعوته وجلاله وكبريائه، وشاهدوا ذلك في عين اليقين: ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ﴾ (التكاثر) (لتروها) إشارة إلى الذات العلية، فعين اليقين هي التي تتمتع بمشاهدة أسماء الله وصفاته وجلاله وكبريائه، وكلما زاد الإنسان في هذا الباب من العلم، كلما زاد خوفه من الله، وزادت هيبته لجلال الله وكبرياء الله ﷻ، قال ﷺ ملمعًا إلى هذا المقام في ذاته الشريفة:

{ أَنَا أَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّكُمْ لَهُ خَشْيَةً }[١١٢]

فكأنما الخوف خوف المقام، وهو الهيبة، وهو التعظيم، وهو شدة المراقبة يأتي من القرب، فكلما قرُب الإنسان من ربه ﷻ ودنا من عظمة حضرته، كلما زادت خشية الله ﷻ في قلبه، وزادت هيبة الله ﷻ عنده.

خشية النبي ﷺ

ولذلك من أراد أن يتعلم علوم الخشية وعلوم الهيبة، فليرجع إلى قَصص الأنبياء في القرآن الكريم، فإن فيها خشية الله ﷻ، ويكفي لذلك قوله ﷺ:

{ شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا }[١١٣]

ورسول الله ﷺ كان شعر رأسه أسود، ولكنه ذات مرة من المرات لاحظوا أن شعرات قد ابيضت في رأسه فعدُّوها فوجدوها سبع عشرة شعرة، فسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك فقال:

{ شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا }[١١٤]، وفي رواية أخرى قال:

{ شَيَّبَتْنِي هُودٌ، وَالْوَاقِعَةُ، وَالْمُرْسَلَاتُ، وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ }[١١٥]

بم شاب شعر رسول الله ﷺ؟

---

١١٢ صحيح البخاري
١١٣ الأحاديث المختارة ومسند البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما
١١٤ الأحاديث المختارة ومسند البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما
١١٥ الحاكم في المستدرك وابن حجر في المطالب العالية عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه

قال بعض العارفين: إنه ابيض شعره وشاب من كثرة ذكر البُعاد في سورة هود، فإن الله تارة يقول: ﴿ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ ﴾ (هود) وتارة يقول: ﴿ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ ﴾ (هود) فذكر البُعاد عند حضرة النبي ﷺ خوَّفه، وجعله من شدة الخوف والهيبة من الله يبيض شعر رأسه صلوات ربي وتسليماته عليه.

ورُوي عن أحد العارفين أن النبي ﷺ زاره في المنام، فسأله: يا رسول الله لِمَ ابيض شعرك؟ قال من قول الله ﷻ: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ ﴾ (﴿١١٢﴾هود).

فإن هذا الأمر الإلهي جعله يرتجف من خشية الله، وجعل هيبة الله تسيطر على أفياء وأجواء قلبه خوفًا وهلعًا من أنه لم يكن على الإستقامة الحقة التي يحبها الله.

أسرار الخشية

هذه الهيبة تأتي من الخشية، والخشية تأتي من العلم بالله وصفاته وجلاله وكبريائه، ومطالعة أو مشاهدة أحوال الأنبياء والمرسلين في كتاب الله، نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من أهل الخشية أجمعين، ويقول الإمام أبو العزائم رضي الله عنه مشيرًا إلى ذلك:

العلم يجعلني أخشـــــى من الرب أراقـب الله بـالأعضـــاء والقـلـب
إن لم أكن أخشى من ربي فمن جهلي وإن علمت علوم الكشـــف والغيب
وإن تحصـــلـت من علمٍ ومن فقـهٍ مثل الجبال الرواسي لم يزل حجبي

فالعلم هو الذي يجمل القلب بخشية الله، وتقوى الله، ومراقبة الله، ويرزق العبد الهيبة من مولاه، فيخشى دومًا أن يعصاه طرفة عين أو أقل، أو يغفُل عنه لحظة أو نَفَسًا، أو يتكاسل فيما أمره به ﷻ ويُسوِّف الأمر، بل يجعله دائمًا وأبدًا قائمًا بما كلَّفه وطالبه به مولاه، ناهيًا نفسه عن جميع المعاصي التي نهاه عنها حضرة الله، ناظرًا بأُفق قلبه إلى قول الله: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ (﴿٤﴾الحديد) وقول الله ﷻ: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ (التوبة).

بل إنه يخشي أن يجيش في صدره خاطرة سيئة لأحد من المسلمين، أو لمعصية بينه وبين أكرم الأكرمين، فدائمًا يرن في آفاق روحه: ﴿ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ﴾ (طه)

فيعلم أن الله يعلم الأسرار، ولا تخفى عليه خافية في أرضه ولا في سمائه، ولا في صدور المؤمنين وغير المؤمنين، فيخشى حتى أن تخطر على قلبه خاطرة تُغضب رب العالمين ﷻ، فيجاهد نفسه حتى في الخواطر؛ أن تكون كلها خواطر خير يرضى عنها الله، ويحبها سيدنا ومولانا ورسول الله.

اللهم جمِّلنا بجمال أهل الخشية والرهبة أجمعين.

٦- هيبة الشيخ

السؤال: ما الهيبة من الشيخ؟ وكيف تكون؟ هل في السر أم في العلم؟

هذا السؤال لمن سلك وملك شهوات نفسه وحظوظه وأهوائه، ويخشى أن يزِّل أو يضل، فيستوجب سخط شيخه وغضبه، لأنه إذا سخط عليه بقلبه، فإنه يُصاب فورًا بما قال الله: ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ ﴾ (التوبة).

فإن عقوبات الله ﷻ لمن يفقد الهيبة مع الصالحين ممن مشوا معهم وسلكوا في طريقهم دهرًا من الزمن؛ أن يُحوِّل الله قلوبهم إلى حيث لا يحب ولا يرضى، وتحويل القلوب بيد الله، وثبات القلوب هو الذي كلنا نتمناه، حتى حبيب القلوب ﷺ كان يقول عقب كل صلاة:

{ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ }[١١٦]

وقال الله تعالى لنا معلمًا أن نقول دائمًا: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ (آل عمران).

فكل ما يخشاه السالكون الصادقون أن يتحوَّل قلب المرشد عن الرضا عنهم، ولذلك عندما نطالع كتب السابقين وننظر إلى أصحاب المشايخ العارفين، ... نرى أنهم كان جُلُّ مطلبهم منهم أن يقولوا لهم: لا نريد إلا أن يكون خاطرك معنا يا شيخنا!، ... فخاطرك معنا يعني أن يكون في قلبك رضا عنا، فإن رضاهم من رضاء الله:

١١٦ جامع الترمذي ومسند أحمد عن أنس رضي الله عنه

فـبشرــى لـمـن وافـا ووفَّى وتابعني ونال رضــاء صــحبي

فيخشى هذا السالك الصادق في سره وعلنه، وفي حضوره وغيبته، وفي الخلأ والملأ، وفي كل أحواله وفي أمور حياته أن يفعل شيئًا لا يراه شيخه صوابًا.

والله ﷻ أشار إلى ذلك فقال: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ ﴾ (١٠٥التوبة) والمؤمنون هنا هم الوارثون الذين يشهدون للأقوام في عصرهم، فإن الله ﷻ قال: ﴿ يَوۡمَ نَدۡعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمۡۖ ﴾ (٧١الإسراء).

فإن سيدنا رسول الله ﷺ سيشهد على الأولين والآخرين، ولكن سيشهد على الأولين بشهادة أنبيائهم ورسلهم، وشهادة الآخرين بشهادة الورثة؛ أهل العصور لأحبابهم، فإنهم هم الذين لهم الشفاعة، وخصَّهم الله ورسوله بهذه البضاعة، ... فيخشى المريدون الصادقون ويهابون أن يقعوا فيما يخالف خواطر مشايخهم خوفًا من هذا الصدود، ... وخوفًا من هذا البعاد.

ولذلك كان الإمام أبو العزائم رضي الله عنه وأرضاه في إحدى مجالسه، وكان تلميذًا له يجلس متربعًا ورأسه إلى الأرض وظهره محني، ويظن أن ذلك هو الأدب الواجب في حضرته، فخاطبه الإمام رضي الله عنه وقال: يا بُنيَّ أتظن أن هذا هو الأدب؟! إنما شيخك واحدٌ من اثنين، إما أبٌ لك، وإما أخٌ أكبر لك!! وأبوك وأخوك الأكبر لا يحب لك أن تجلس أمامه هذه الجلسة التي تتبرم وتتضرر منها، لكن الأدب أن تعلم أن بصيرة شيخك لا تغادرك في أي زمان أو مكان، فتراعي حُسن المتابعة، وتراعي البعد عما نهى عنه الله، وتراعي القيام بما أمر به الله في كل حال من أحوالك، لأننا ندربك على طاعة الله وحده جلَّ ﷻ.

فالهيبة من الشيخ أن يهاب الإنسان أن يقع فيما يُغضب الله، أو يعصى الله ويفعل ما عنه نهاه، أو يتكاسل في الطاعات التي أمره بها الله.

والجُرم الأكبر:

أنه إذا وُجد في حضرة الشيخ الظاهرة أظهر نشاطًا منقطع النظير، وأظهر أدبًا ليس له سبيل، فإذا كان بمفرده تنحَّى عن ذلك كله، لأن هذا قاصر النظر يظن أن الشيخ ينظره بعين الرأس فقط، وأنه لا يرى حركاته وسكناته، مع قول الله ﷻ في حديثه القدسي:

{ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ }[١١٧]

ولذلك كان الإمام عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه يقول: الأولياء الكُمَّل يعاملون الخلق كما يعاملهم الله – أي كما يعامل الله خلقه – فمن أتاهم يمشي أتوا إليه مهرولين، ومن مشى إليهم ذراعًا أتو إليه باعًا، ومن جاءهم فرحًا كانوا أشد فرحًا به، ومن جاءهم متقربًا إليهم، كانوا أشد له تقريبًا، لأنهم يتخلقون بأخلاق الله في التعامل مع السالكين والمريدين.

أسأل الله تعالى أن يجمّلنا بالجمال الذي يحبه ويرضاه مع عباد الله الصالحين أجمعين السابقين والمعاصرين واللاحقين.

٧- همة المريد وأحوال شيخه

السؤال: أي الوسائل أسرع للوصول بالمريد لحضرة الله؟ همته العالية أم أحوال شيخه الراقية؟

لا بد من الإثنين معًا، فلا بد للمريد من همة عالية يقولون فيها: ((همة المريد الصادق تخرق أسوار القدر)) أي تغير الأمور لأن همته عالية.

وأذكر في هذا المقام الأخ عرفات الجمال نائب البُرُلُّس في محافظة كفر الشيخ في عصر الإمام أبي العزائم رضي الله عنه وأرضاه، وكانوا قد بنوا للإمام أبي العزائم بيتًا في قريتهم البرلس ليقضي فيه فترة الصيف، ويكون مصيفًا للأحباب جميعًا، وليس فيه إلا ما يُرضي الله ورسوله، وخير زاد يتزودون به إلى الله، وكان الإمام أبو العزائم يمكث أحيانًا في هذا المصيف لمدة شهرين، وكان يحب أن يشرب كل يوم ولو كوبًا من اللبن، والبرلس حولها الماء المالح،

١١٧ صحيح البخاري وابن حبان والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه

وأرضها مالحة ليس فيها زرعٌ ولا ضرع، فما كان منهم لهمتهم العالية، إلا أن اشتروا بقرة حلوب خصيصًا للشيخ، واشتروا معها علفها من مكان بعيد، ليقدموا للإمام ﷺ وأرضاه الحليب الذي يحب أن يشربه كل يوم، وكان الإمام أبو العزائم ﷺ يحب أن يأكل في الغذاء سمكة تسمى سمكة موسى، وكانوا يشترونها له من سوق السمك عندهم، ويسوونها في شوربة خفيفة، ويأتون له بها في الغذاء.

وذات يوم خرج الشيخ عرفات الجمال إلى السوق في الصباح ليشتري السمكة، فلم يجد هذه السمكة، فقال في نفسه: ماذا أقول للشيخ إذا كان طعام الغذاء؟! وحضرت همته العالية فقال: سأُلقي بنفسي في البحر، فإما أن أجمع هذه السمكة، وإما لا حاجة لي في الحياة بعد عدم استطاعتي تحقيق رغبة الشيخ ﷺ وأرضاه، وألقى بنفسه في الموج، وإذا بسمكة موسى تتقدم إلى يديه فيمسكها ويخرج بها، فذهب إلى الإمام أبي العزائم، وإذا به يُنشد قصيدة وعندما وصل إلى مكانه كان البيت الذي يردده الإمام:

وهمتهم فوق الجبال إذا بدت تُدك لها من خشية بل ورهبةٍ

فهؤلاء الرجال كان كل ما يريدونه أن يُرضوا الله ورسوله، ولكن معهم الهمة القوية، والعزيمة الصلبة التي لا يعجزها شيء، ولذلك قيل في هؤلاء: ((المحب لا يعتذر)) لا يعتذر لشيخه إذا طلبه في أمر، أو طلب منه أن ينفذ أمر، بل يعزم أن ينفذه، وما دام عزمه صادقًا وهمته عالية، فإن الله ﷻ سيعينه على بلوغ هذا المراد.

وما أكثر الوقائع التي حضرناها بأنفسنا في هذا المقام، وهي أن المريد إذا لجأ إلى الأعذار، فاعلم أنه سيُؤخذ به إلى الذنوب والأوزار، ولن يلحق بركب الكبار أبدًا.

أما المريد الصادق ... فهو لا يتعلل ولا يعتذر ولا يختلق الأعذار، ... وإنما يحاول قدر استطاعته، ... ويُعلي همته ليفعل ما أمره به شيخه، وما كلَّفه به الحبيب المصطفى، وما طلبه منا المولى ﷻ.

وإذا كانت النفوس كبارًا تعبت في مرادها الأجسام

فإذا رأوا منه هذه العزيمة الفتية القوية يسروا له الأمر بالدعاء، فنال رضاءهم، فدعوا

الله ﷻ له أن يطوي له مسافات الطريق، وأن يطوي له منازل أهل التحقيق، وهذا الدعاء يفعل ما لا تفعله العزيمة، لأن دعاء المشايخ لله ﷻ لا يُرد.

فلا بد من الإثنين معًا، عزيمة لا تعرف الكلل ولا المستحيل ولا الأعذار ولا الإعتذار، ثم بعد ذلك – إذا فعل ذلك وهم بعين البصيرة الإلهية يرون ذلك – يدعون الله ﷻ له لصدقه، فيبلِّغه الله المراد.

نسأل الله ﷻ أن يبلِّغنا مرادنا، وأن يحقق لنا قصودنا، وأن يجعلنا من الذين إذا أذنبوا استغفروا، وإذا رأوا الخير استبشروا.

٨- آداب التعامل مع الشيخ

سؤال: ما آداب التعامل مع الشيخ؟

الإمام أبو العزائم رضي الله عنه وأرضاه له كتاب اسمه (دستور السالكين) وكتاب آخر اسمه (آداب السلوك إلى ملك الملوك) ويجب على الأحباب قراءة مثل هذه الكتب، أنا كان أهم شيء أبحث عنه في كتب الصوفية الكلام عن الآداب.

مع أن الشيخ في النهاية قال لي عن الآداب: هذه الآداب يا بني أذواق، فهناك شخص تجده مؤدب منذ ولادته، حتى ما يقرأه الناس عن صفات الصالحين تجدها فيه بغير اجتهاد ولا تعمُّل، فكان أهم شيء أبحث عنه هو الآداب.

قال الإمام أبو العزائم رضي الله عنه وأرضاه: ((الشيخ إما أب للإنسان، وإما أخ أكبر للإنسان)) فعليه أن يقوم له بما يقوم لأبيه أو لأخيه الأكبر.

وهذا الموضوع باختصار، وتفصيله موجود في قصة موسى مع العبد: ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ ﴾ (الكهف) أتبعك وليس أستمع إليك، وليس علمه، ولكن علم رشد وهو علم الحقائق العالية.

﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ ﴾ (الكهف) أنت الآن لو زجرت مريد لخطأ يتركك ويمشي، وأنت حُر، فقد تعاهدنا مع الله على النصيحة، والدين النصيحة، إذا كنت لا تريد سماع النصيحة، فلم جئتني؟! من يذهب للطبيب شرطه أن يعلم أنه مريض، ويستسلم للطبيب، وينفذ ما أمر به وطلبه منه الطبيب ليُشفى من الداء، لكن لو كان ذاهبًا للطبيب رغمًا عنه ويظن أنه ليس عنده شيء، هل يستفيد من الطبيب؟ لا.

أو يقول: ما سيقوله الطبيب أنا قرأته في كتب العلم وكتب الطب، وأنا أعرفه، فلماذا تذهب للطبيب؟!!.

أو يقول له الطبيب: عندك كذا، يقول: لا أنا ليس عندي شيء، فلِمَ أتيت؟! أنت غير واثق فيه، والأساس هنا الثقة... حتى مع العوام تسأله من تحب من الأطباء؟ يقول لك: فلان، فيذهب لفلان هذا الذي يثق فيه، فيسمع كلامه ويمشي عليه ويشفى.

وأنت ترى أن فلان هذا أحسن ولكنه لا يعتقد فيه، فهل يُشفى؟ لا، لا بد من الثقة فهي الأساس!! أو كشف عليه الطبيب وشخَّص الداء وكتب الدواء، وأخذ الورقة وركنها أو ألقى بها، فمن أين يُشفى؟

وكذلك نفس الأمر، فالطب البشري كطب القلوب وكطب الأرواح، إذا كنت ذاهب للطبيب فأُسلم نفسي له، فلا يصح – كما يقول الإمام أبو العزائم – أن يكون عندي مرض أو داء في موضع حسَّاس وأخفيه عن الطبيب ولا أكشفه، لا بد أن يراه ويطلع عليه، كذلك لا يصح أن تُخفي شيئًا عن شيخك، حتى ولو كان ذنبًا.

واحد من تلاميذ الإمام الجنيد رضي الله عنه وأرضاه، كان يُصلي، وأثناء الصلاة ضحكت عليه نفسه وأتت له بشريط جنسي، فاستحضر الحالة الجنسية وهو في الصلاة وأنزل!، بعد الصلاة فوجئ أن وجهه قد اسود في الحال لأنه كان بين يدي الله تبارك وتعالى، فذهب للشيخ، فقال له الشيخ: أنا سألت الله تبارك وتعالى فيك سبعين مرة ليبيض وجهك ويعفو عنك في هذا الذنب.

هل هو بنفسه يستطيع أن يزيل هذا الداء؟! لا، لكن الطبيب موجود، وخاصة إذا كان الطبيب معه إذن من الحبيب ويكون مؤيدًا على الفور.

فلا بد للإنسان أن يعرض نفسه على الطبيب، ولا يُخفي شيئًا مطلقًا، فإذا أخفى يُخفي على نفسه، ويغش نفسه، ويخدع نفسه.

البعض يقول كما أسمع: أليس الشيخ عنده بصيرة ويعرف ماذا عندي؟ نعم عنده بصيرة، لكنه مأمور باتباع الشريعة، هل يجوز للقاضي أن يحكم على المتهمين ببصيرته أم بالأدلة الموجودة؟ لا بد أن يحكم بالأدلة الموجودة.

والأدلة أساسها أن الإنسان يعترف، كون أنني أقول أن الشيخ عنده بصيرة والمفروض أن يعرف، فيكون عندي كبرياء أن أعترف أنني ارتكبت وزر أو ذنب، فكيف يغفره الله ﷻ لي؟!. لكن كوني أذهب وأنا ذليل وخاضع وأحكي للشيخ أنني فعلت كذا وكذا، نفس هذه الذلة وهذا الخضوع وهذا الخنوع والخشوع يستدعي أن الله ﷻ يغفر الذنب على الفور، لأنني اعترفت: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ ﴾ (النساء) ماذا يفعلون؟ جاءوك، هل يقولون له: أنت تعرف ما في نفوسنا أم يقولون له: عملنا كذا وكذا؟! حتى أن شابًا ذهب يستأذن في الزنا!!، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ:

{ إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ، قَالُوا: مَهْ مَهْ، فَقَالَ: ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا، قَالَ: فَجَلَسَ، قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ، قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ، فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ }[١١٨]

١١٨ مسند أحمد والطبراني عن أبي إمامة رضي الله عنه

الشاب ذهب عنه هذا الهمُّ بالكلية، من الجلسة النبوية، لما سلَّطت أشعتها النبوية وظاهرها في صورة اليد طهَّرت ما بالداخل على الفور.

لكنني عندما أكابر وأقول: أنا عملت كذا أو أستأذن في كذا، أو أقول: أنا أرى الشيخ مشغول ولا أريد أن أشغله، لكن يا مغفل هذه وظيفته، هل أنت تشغله؟!

هو غير مشغول إلا بالله، فإذا شكوت إليه فإن الذي يسمع هو الله:

﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾ (١المجادلة).

فأنت عندما تشتكي له كأنك تُسمع حضرة الله ﷻ، وهو يحكم بما أراه الله: ﴿ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾ (١٠٥النساء) لكن هذه تكون والعياذ بالله من غفلة النفس، وسهم البُعد الذي رُمي به هذا البعيد، وإن كان يظن كثيرٌ ممن حوله أنه قريب.

لأن البُعد هو البعد القلبي، وليس البعد الجسماني، والقرب القرب القلبي، وليس القرب الجسماني.

فالآداب موجودة في كتاب الله، وفي أحوال أصحاب رسول الله مع نبي الله ومصطفاه، وفي كتب الصالحين وأحوال الصالحين مع مريديهم الصادقين.

وهذا الباب تحدثنا عنه في كثير من كُتبنا، حتى عملنا كتاب مخصوص سميناه (آداب المحبين) وهؤلاء المحبين أي المبتدئين في طريق الله ﷻ، والمحبين يعني لا يزال محب، لكن آداب المحبوبين هذه تكون إلهام من رب العالمين ﷻ.

فأهم شيء أن الإنسان لا يُخفي شيئًا صغيرًا ولا كبيرًا عن شيخه !!!

حتى في أخصِّ الأمور !!!

ولا أستطيع أن أُبيح بأكثر من ذلك.

فأخص الأمور كان لا بد للإنسان أن يستشير فيها الشيخ، حتى يتأكد أنه يمشي على المنهج القويم، ويظل محبوبًا لهذا الرجل، لأن بسر حبه رفعنا الله وأيدنا الله ونصرنا الله، ويُجري الله ﷻ كل ما نراه بسر محبة هذا الرجل لنا رضي الله عنه وأرضاه.

٩- مصاحبة الصالحين

سؤال: من هم الصالحين الذين أصاحبهم؟

وهل هناك فرق بين عباد الله الصالحين ... والأنبياء والمرسلين؟

الصالحون الذين أصاحبهم وأهتدي بهم وبهديهم هم رجال الله الصالحون الوارثون الذين كملت وراثتهم عن سيد الأولين والآخرين ﷺ.

مع التفرقة بينهم وبين النبيين والمرسلين: .. هؤلاء عباد صالحون .. بما اكتسبوا صلاحهم؟ بالوهب أو بالكسب، لكن درجة النبوة ودرجة الرسالة فهذا مقام خاص من الله ﷻ يأتي باصطفاء من الله ولا يأتي بالكسب أبدًا:

﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ ﴾ (٧٥الحج)

١٠- في صحبة الشيخ

سؤال: كيف تكون المعيَّة مع الشيخ؟

عندما نتأمل قليلًا في المعية النافعة نجد أنها هي المعية الرافعة التي تجعلني مع الشيخ ومع سيدنا رسول الله ﷺ في البرزخ وفي الدار الآخرة، لكن لو جلست بالجسم فقط مع الشيخ وبين يدي الشيخ مائة سنة، والقلب بعيدًا، فهل هذه معية مع الشيخ؟ لا.

العبرة بالمعية الروحانية والقلبية، فيكون معه فيما يقوم به نحو مولاه، ومعه يساعده في نشر دعوة الله، ومعه في الأعمال الصالحة التي يقوم بها مقتديًا فيها بسيدنا رسول الله، فهذه هي المعية الكاملة.

ولذلك عندنا في بعض الجهات لا يسيئ إلى الصالحين إلا بعض المريدين الجاهلين، فيفعلوا أمورًا تنفر الناس من الصالحين ومن الدين، سمعت ذات مرة يقولون: أن شخص ما ذهب إلى أحد المشايخ فقال له: هل أحببت الشيخ فلان؟ قال: نعم، فقال له: إذًا .. (حب ونام) يعني اطمئن فقد أصبحت من أهل الجنة!، من الذي قال هذا الكلام؟! وما أساسه؟! ومن أين أتى به؟! يقول: أنا أبشره، لا، فهذه ليست بشرى، فالبشرى ما بشَّر به كتاب الله، أو بشَّر به سيدنا رسول الله ﷺ، كما قال:

{ الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }[١١٩]

ولكن الحب هنا هو المتابعة والموافقة والمشاركة في العمل النافع الرافع إلى حضرة الله ﷻ، لكن البعض يخدع الناس بحجة الصلاح، ورأينا ذلك في الفترة الماضية، فقد تم القبض على رجل يطلق على نفسه (مستريح) وهو لقب يخدع به الناس، وظل يجمع أموال الناس، وضبطوا معه ٢٠ مليون جنيه، فكيف كان يخدع الناس؟ كان من أساليبه أنه يذهب للسوق ويسأل ما ثمن هذه الجاموسة أو البقرة؟ يقولون له مثلًا: ١٥ ألف جنيه، يقول: أنا آخذها بـ ٢٥ ألف جنيه، وهو بهذا العمل قد عطل التجار كلهم، ثم يقول لصاحب الجاموسة أو البقرة سأعطيك منها جزء والباقي بعد ذلك، ويأخذ من هذا يسدد لهذا ومن هذا يسدد لهذا، وبعد ذلك يأكل حق هذا ويأكل حق هذا،

فكان من ضمن الأشياء التي ضحك بها على الناس أنهم عندما كانوا يسألونه ويقولون له: نحن نرى معك أموال زائدة عن الحد، والأموال تدفق عليك من كل البلاد فماذا فعلت وما السر في ذلك؟

فيقول لهم: أنا رأيت السيدة زينب في المنام وعملت كذا وقرأت لي كذا، فهذا سر الخير الذي أنا فيه. وهذا والله كذب على الله ورسوله!!!، ويذهب للذين حسبوا أنفسهم من صالحين ويجمعون عليهم الناس، فيقول له: أنا سآتي لك بعجل تذبحه في المولد، ويأتي بالعجل ويتصور معه، وينشر الصور مع من يظن الناس فيهم أنهم من رجال الله الصالحين، حتى ينال ثقة الناس العوام الغافلين.

---

١١٩ جامع الترمذي عن صفوان بن عسال رضي الله عنه

فهذه الأمور انتشرت في هذا الزمان وزدات عن الحد، ولذلك أنا دائمًا أُحذر من هذه الحكايات، وقلت أنه لا بد من تشغيل اللمبة التي أعطاها لك الله، فالطفل الصغير الذي لا يزال مولود معه هذه اللمبة، فأمه تقول له: أنا أصنع لك كذا، يقول لها: .. أنت تكذبي عليَّ، لأنها كذبت عليه مرة قبل ذلك، أو أبوه يقول له: أنا سأشتري لك كذا، يقول له: لن يحدث، لأنه جربه قبل ذلك، فعنده أيضًا هذا الإحساس.

وهذا الإحساس عند المؤمنين، فمن يدَّعي أنه مع الصالحين فيكون صورة مصغرة لأعمال وأفعال وأحوال الصالحين، ومن يدَّعي أنه من الصالحين فتكون أخلاقه وأعماله وأحواله صورة مصغرة على قدره من سيد الأولين والآخرين ﷺ.

وإذا خالف الشريعة في نَفَس من الأنفاس، نقول له: أنت خالفت الشريعة، إما أن توضح هذا الأمر لنا، وإما هذا فراق بيننا وبينك، لأن الوصول إلى الله الحق باتِّباع الشريعة، ولذلك قال الإمام أبو العزائم:

من خالف الشرع الشريف فليس من آل العزائم فافهمن برهاني

أيّ إنسان يخالف الشريعة ليس منا، جائز جالس معنا ولا يزال يتعلم لا بأس، لكن من هو منا ويُحسب علينا لا بد أن يسير كما يقول الله، وكما كان عليه سيدنا رسول الله ﷺ .. نحن نحب رسول الله، فما دليل المحبة يا رب؟ قال له: قل لهم:

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى ﴾ (آل عمران)

سيروا خلفي، فلو تركناه طرفة عين أو أقل فتكون المحبة غير مكتملة، فلا بد أن نصححها مرة ثانية من جديد، لأن الشرط (فاتبعوني).

وانتبه، هنا الأمر لخاصة الخاصة، لأن العوام نقول لهم: انظروا إلى رسول الله ماذا قال واعملوا به، لكن الخواص نقول له: انظر إلى رسول الله ماذا كان يعمل وتابعوه في العمل، فهناك فرق بين من ينفذ الأقوال، ومن يتابع في الأفعال، فهؤلاء الأكابر.

كالذين حكينا عنهم في صُلح الحديبية، قال لهم: اذبحوا هديكم فلم يذبحوا، واحلقوا رؤسكم فلم يحلقوا، لكن السيدة أم سلمة لما قالت له: اذبح هديك أولًا واحلق رأسك

فلن يتأخر واحد منهم، لأن هؤلاء كانوا يتبعوه في الأفعال، وهؤلاء عِلِيَة الصحابة رضوان الله ﷻ عنهم أجمعين .. يعرفون أن سيدنا رسول الله قوله فيه يسر لأنه للجميع، لكن هو ماذا يفعل؟ يأخذ نفسه بالأشد، فعندما يتكلم ﷺ يكون هذا الكلام للكل، لكن نريد أن نراه ماذا يعمل ونعمل مثله حتى نكون معه: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ (٢٩الفتح) من الذين معه؟

الذين يعملون مثله، ويكونون صورة منه صلوات ربي وتسليماته عليه.

هذه أحوال الصالحين وأتباع الصالحين، فلا بد للواحد منهم أن يكون مع الصالحين يعاونهم كما كان أصحاب رسول الله يعينوه في إبلاغ دعوة الله.

يشد بعض البعداء ويقربهم ليسمعوا المواعظ والنصائح لعل الله يهديهم ويأخذ بأيديهم، يرى بعض المشكلات يحاول أن يحلها، ويُصلح بين الناس حتى يُصلح الله ما بينه وبينه، ويُمهد الطريق لنشر الإسلام الوسطي بطريقة غير استفزازية ولا تؤلب علينا النفوس الحاقدة ولا المريضة حتى نستمر في إبلاغ رسالة الله، لأن هؤلاء غيظهم شديد، قيل في الأثر: (اتقوا غيظ القلوب ولو في البهائم) الجمل عندما يغتاظ يحتفظ بغيظه ويظل حتى يجد فرصة فينتقم من صاحبه

وأيضًا يوجد أناس فيهم هذه المواصفات يحتفظ بغيظه وبعد ذلك يخرجه في شكوى أو في إشاعة أو في دعاية أو غير ذلك، ونحن نريد أن نبلغ دعوة الله ونستمر فيها على الدوام، فنتقي شر هؤلاء، ونمشي مع أهل الوسطية:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا ﴾ (١٤٣البقرة).

علينا أن نعين الناس على إبلاغ دعوة الله، يبنون مسجد نساعدهم، يفرشون مسجد نعاونهم، ينظفون مسجد نشترك معهم، فنساهم في كل الأعمال الخيرية التي تؤدي إلى جمع الناس على الله ﷻ، لكنني من يدَّعي حب الصالحين ويريد أن ينتفع من ورائهم، فما يكون هذا؟ يكون اسمه كما ننطقه باللغة الدارجة العامية (مصلحجي) وما أكثر المصلحجية الذين يتوارون في المحبين للصالحين.

والمحبون مساكين، فيذهب إليه أحدهم ويضحك عليه ويقول له: أنا ظروفي كذا وكذا وأحتاج منك مثلًا عشرة آلاف جنيه قرض، لا مانع، ولكن نكتب ورقة إيصال أمانة، فيرفض ويقول له: نحن إخوة وأولاد الشيخ فلان وتربينا مع بعضنا، ولا يريد إثبات ذلك، لكن لو أنت شغلت النور الذي أعطاه لك الله من البداية ستكشف من أمامك: ﴿ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ ﴾ (محمد)، وكذلك: ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾ (محمد).

وقد اتفقنا منذ زمن طويل وقلنا أن التعامل بيننا وبين بعضنا في أمور الدنيا يجب أن يكون على شرع الله، فالأُخُوة شيئ جميل، ولكن شرع الله أجمل، ما دمنا قد دخلنا في المعاملات فلا بد على الفور شرع الله، لماذا؟ وقاية للأنفس من الطمع.

لأن الإنسان دائمًا وخاصة في هذا الزمان يطمع في الناس الطيبين، يرى رجل مواظب في المسجد ويسير كما ينبغي فيقول: هذا رجل طيب وأضحك عليه، هل يستطع أن يضحك على تاجر مخدرات؟ لا، لكن يستطع أن يضحك على الطيبين، ولذلك معظم المشاكل مع الناس الطيبين، فهذه الطيبة تكون في غير موضعها، لأن الطيبة تحتاج منا أن نكون مع بعضنا أحباب، ولكن نلتزم بشرع الله.

جئت لأزورك في بيتك؛ لا بد من شرع الله !! ..

هل فلان هنا يا أولاد؟ لو قالوا: لا، هو في الخارج، تفضل وانتظره حتى يأتي.

هل أدخل؟ لا، بل أقول لهم: سأنتظره في الخارج سواء في المسجد أو أنتظره حتى على المقهى وحين يحضر أرسلوا إليَّ، لأني لو دخلت البيت وهو غير موجود ستثير الريبة.

سيدنا رسول الله كان معتكفًا وزارته زوجته السيدة صفية، فخرج معها ليوصلها، ومر رجلان من أصحابه فأسرعا، فقال لهما:

{ عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ، فَقَالاَ: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ!، قَالَ: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا سُوءًا }[١٢٠]

١٢٠ صحيح البخاري عن صفية بنت حيي رضي الله عنها

لأن الشك في رسول الله كفر والعياذ بالله ﷻ، ويريد أن ينجيهما من هذا الأمر.

لماذا؟

ليعلمنا الآداب الشرعية المرعية التي بيننا.

نحن في محبة ومودة بين بعضنا البعض، وهناك خلطة ومخالطة عائلية بيننا لا بأس لكن لا بد أن تكون في حدود الشرع الذي جاء به سيد الأولين والآخرين.

فلو حافظنا على شرع الله، فهل سيحدث أي خلاف؟

أو تحدث أي مشاكل؟ .... لا !

زوجتك أختي ولكنها أخت في الله، وليست أخت من أبي، فلا بد أن أعاملها معاملة الأخت في الله، لا أختلي بها ولا أدخل بيتها إلا في حضور زوجها القائم بأمرها، ولا أتعهد برعايتها في سفر إن كانت بمفردها لأنها ينبغي أن تأخذ رفيقًا في سفرها كمُحرم، لأننا ندفع عن أنفسنا قالة السوء من الناس أجمعين.

مثلًا اتصلت علي أخي تليفونيا فردت علي زوجته وأخبرتني بأنه غير موجود وقد ترك تليفونه بالمنزل، عندها أقول لها: كنت محتاجه في أمر ما وحين يعود أخبريه بأني اتصلت به وعليه أن يتصل بي، لكن لا أستفسر منها في الحديث عن أمر كذا، وأقول لها: لقد كنت أريده في موضوع كذا و كذا! ألا تعرفي ماذا تم في هذا الموضوع؟ ألا تعرفي ما أصل الحكاية؟

هذا لا يجوز حتى تظل العلاقة في حدودها التي حدَّها لها الله:

﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ ﴾ (١الطلاق).

وعليَّ ألا أتدخل في شؤون أخي الخاصة !!

فلا أسأله مثلًا: ما الكلية التي سيدخلها ابنك أو ستدخلها ابنتك؟ أو غير ذلك !! فهذه الأمور كلها لا بد أن نزنها بميزان شرع الله ﷻ.

فشرع الله هو الحفيظ لنا، والمديم للمحبة بيننا، والذي يجعل بيننا أُلفة في الدنيا، ووفاقًا في الطاعات والعبادات، ويجعلنا يوم القيامة في معية سيد الرسل والسادات ﷺ.

١١- بين الشيخ والمريد

سؤال: المريد المقرب عند الشيخ أو له خصوصية عند الشيخ، هل يرفع الشيخ الحرمة فيما بينه وبينه؟

لا يوجد ذلك ! .. نحن نعاملكم كما نعامل أولادنا، كما قال حضرة النبي:

{ سَوُّوا بَيْنَ أَوْلاَدِكُمْ }[١٢١]

فنحن نسوي بينكم كلكم، والأفضلية عند الله، والخصوصية فيما يفد إليه من العطايا والمنح على قلبه من حضرة الله، وهذه ليس لنا فيها دخل.

لكن لا أستطيع أن أقول: يارب خُصَّ فلان أو امنح فلان، لأن الله يمنح على قدر صفاء القلوب، والقلوب لا يطَّلع عليها إلا علام الغيوب، فليس عندنا مقربين ولا غير مقربين، ولكن التواضع يجعل الناس ينسون الآداب، وأصحاب رسول الله ﷺ وأصحاب الصالحين من بعدهم كان جُلُّ اهتمامهم بالآداب، ولذلك كانوا يقولون: (حافظ على الأدب، ولو رُقيت إلى أعلى الرتب) ويقولون كذلك: (الأدب وإلا فانتظر العطب) فمن لم يلتزم بالآداب فلن يبق معهم ويطردوه:

{ الْمَدِينَةُ تَنْفِي النَّاسَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ }[١٢٢]

لكن الآداب هي الآداب، لأننا عندما دخلنا الطريق كان أهم شيء نبحث عنه الآداب، فكنت أبحث في كل كتب الصالحين عن الأمور التي تتكلم عن الأدب، حتى ألتزم بالأدب مع شيخي لأنني أعرف أن هذا الأساس: ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ ﴾ (الكهف).

---

١٢١ سنن البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما
١٢٢ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

هذه هي الآداب واضحة في كتاب الله.

وقالوا لنا: (الآداب ذوقية) وكل ما كُتب في الكتب لا يعبر عن كل الآداب!!

فما الأساس في الأدب؟ .. الذوق السليم عند الإنسان.

وكيف أصل إليه؟

ما لا ترضاه لنفسك لا ترضاه لغيرك فتستريح، ... وتسير السفينة على كتاب الله وعلى سُنَّة رسول الله ﷺ.

البعض يريد معونات، وليس عندنا مكتب للمعونات، عندنا مكتب واحد للتقرب إلى الله والاقتداء برسول الله والعمل الصالح المنجي لنا من ظلمات هذه الحياة،

لكن تريد وظيفة، فعندك الذين انتخبتهم، اسألهم فهم الذين يوظفون الناس، لكن تجد الواحد منهم يذهب للرجل المصاحب للشيخ ويريد أن يدخل على الشيخ، فيستحي منه ولا يريد أن يغضبه، فيُدخله على الشيخ والشيخ يتصرف، فهذا يكون إساءة أدب ولا يجوز هذا أبدًا.

واحد آخر يحضر معنا هنا وهنا ويمكث معنا ليتعرف على هذا ويتعرف على هذا، ويأخذ تليفوناتهم، لأنه يريد مصلحة، ثم يتصل بأحدهم ويقول له: أنا ظروفي كذا وكذا وأحتاج لعشرة آلاف جنيه سلف، ويتركه ويذهب للآخر ويقول له: أنا أحتاج منك خمس عشرة ألف جنيه سلف، وهذا يجب أن نمنعه حتى لا يتعرف على الأحباب ويؤذيهم وهذا يكون في حقنا نحن.

فهذه الأمور يجب أن لا تكون في طريق الله، فطريق الله يحتاج إلى رجال يقول فيهم الله:

﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ﴾(٣٧النور)

رجال يقول فيهم الله:

﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾ (٥٤المائدة).

لا يهمني حتى ولو كان أخي من أبي وأمي، لأنه يريد أن يدخل بسببي ليتعرف على الناس ويؤذيهم !!!، فهل أمنعه أم أتركه؟ !!! .. أمنعه.

والذي يضيع الأمر ... المجاملة! .. ومادام دخلت المجاملة فقد ضاعت الأصول:

(وما حُرموا الوصول، إلا بإضاعة الأصول)

كل ما يُضيّع الأصول المجاملة:

- يخاف أن يغضب منه أحد ... أو يأخذ منه موقف.
- ويخاف أن يشنع عليه ... لأنه يتكلم كثيرا ويجلس هنا وهنا!
- لكننا:

﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ ﴾ (٣٩الأحزاب).

١٢- التكفل بأمور الشيخ الدنيوية

سؤال: هل من الآداب التكفل بأمور الشيخ الدنيوية؟

هذا موضع ذوقي.

فالأنبياء والمرسلون ... بعد تكليف النبي بالرسالة يترك العمل الدنيوي بالكلية ويتفرغ للرسالة، فمن الذي يعول أولاده؟ ومن الذي يعول ضيوفه؟ الأتقياء الأنقياء الذين يريدون أن يكون لهم مكانة ودرجة عند الله ﷻ يوم القيامة، وينصرون الله ورسوله.

فسيدنا رسول الله ﷺ عندما كان في مكة أغناه الله عن الناس بمال السيدة خديجة، فقد كانت ثرية ومالها كان يكفيه، فلما انتقل إلى المدينة أغناه الله بالأنصار الذين دعا لهم وقال:

{ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ، وَلِأَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ، وَ أَبْنَاءِ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ}[١٢٣]

١٢٣ البخاري ومسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه

ماذا كانوا يفعلون؟

كان يضيفون ضيوف رسول الله.

وكان الضيوف يأتون كل يوم من البادية والصحراء، ويريدون الإقامة الدائمة ويريدون الطعام ويريدون الشراب، من الذي يضيفهم؟ .. كان الإيثار الذي عندهم والذي أحبهم الله من أجله: ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾ (٩الحشر) .

فكانوا يتنافسون في الحصول على الضيفان، حتى أنه قيل في كتب السيرة، كان يقترع بينهم ﷺ لأن هذا يقول: أنا أريد هذا الضيف، وهذا يقول: أنا أريده.

ولما وجد الفقراء الأغنياء وهم يتنافسون على الضيوف دخلوا في المنافسة، وجاء رجل وقال: أنا أريد هذا الضيف يا رسول الله، فذهب لزوجته وقال لها:

{ هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قَالَتْ لَا، إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِي، قَالَ: فَعَلِّلِيهِمْ بِشَيْءٍ، فَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأَطْفِئْ السِّرَاجَ، وَأَرِيهِ أَنَّا نَأْكُلُ، فَإِذَا أَهْوَى لِيَأْكُلَ فَقُومِي إِلَى السِّرَاجِ حَتَّى تُطْفِئِيهِ، قَالَ: فَقَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: قَدْ عَجِبَ اللَّهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ }[١٢٤]

من الذي علَّمهما ذلك؟

الذوق السليم والرغبة في المقام الكريم عند الله ﷻ.

ونزل قول الله ﷻ:

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩ ﴾ (الحشر).

وكان زعيم الأنصار سيدنا سعد بن عبادة رضي الله عنه كل يوم في الصباح يبعث مائدة مليئة بأصناف الطعام إلى منزل رسول الله لرسول الله له ولضيفانه، وكان الأنصار الذين يسكنون حوله كل من تحلب ناقة أو تحلب ماعز لا بد أن يكون هناك نصيب منها يذهب لرسول الله، ومشوا على هذه الوتيرة إلى أن أغناه الله ﷻ بفضله وجوده: رجل من كبار اليهود ومن كبار علمائهم ومن كبار أغنيائهم اسمه مُخيرق، قبل غزوة أحد قال:

---

١٢٤ صحيح مسلم وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه

{ يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ، وَاللَّهِ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّ نَصْرَ مُحَمَّدٍ عَلَيْكُمْ لَحَقٌّ، قَالُوا: إِنَّ الْيَوْمَ يَوْمُ السَّبْتِ، قَالَ: لا سَبْتَ بَعْدَ الْيَوْمِ، ثُمَّ أَخَذَ سِلاحَهُ، وَخَرَجَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ بِأُحُدٍ، وَعَهِدَ إِلَى مَنْ وَرَاءَهُ مِنْ قَوْمِهِ: إِنْ قُتِلْتُ هَذَا الْيَوْمَ فَمَالِي لِمُحَمَّدٍ، يَصْنَعُ فِيهِ مَا أَرَاهُ اللَّهُ }[١٢٥]

ومات في غزوة أحد وورث رسول الله ﷺ كل أمواله، فأصبح غنيًا بمولاه ﷻ.

ولما وجد الله أن ضيوف النبي كثيرون جعل خُمس كل الغنائم للرسول:

﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ ﴾ (٤١الأنفال)

فجاءت غنيمة خيبر وكانت كثيرة فيها حدائق غناء وأرض طيبة، فورث ﷺ فيها الخُمس.

وكان يعطي لكل زوجة من زوجاته ما يكفيها لمدة عام من التمر، لكنه لا يكفي السنة من كثرة الضيوف، فأغناه الله ﷻ بالخمس عن حاجات الناس .. ومع ذلك كان الأنصار أيضًا لا يكفون عن إيثار رسول الله ﷺ بما تجود به نفوسهم.

وكل الأنبياء على هذه الشاكلة:

فسيدنا موسى كان في البداية راعي غنم، فلما كُلِّف بالرسالة قال كما ورد بالأثر: هل تتركني إلى هذا يطعمني يومًا وهذا يطعمني يومًا؟ فقال الله ﷻ: يا موسى أما يرضيك أن نُدخل كل يوم رجلًا الجنة من أجلك.

لأن من سيطعمك اليوم ضَمِن الجنة، ومن يطعمك ثاني يوم قد ضمن الجنة، لماذا؟ لأنه لا بد أن يتفرغ لدعوة الله ﷻ.

نفس الأمر حدث مع الأولياء الأكابر في الزمن الفاضل:

فكان الناس لا يزالون عندهم أريحية، فكانوا يعرفون أن بيت الرجل الصالح مفتوح ويطهون الطعام في اليوم ثلاث أو أربع مرات وليس لمرة واحدة للضيوف القادمين، ماذا يفعلون؟ .. يستبقون في هذه المبرات، فهذا يرسل قمح وهذا يرسل خبز، وهذا يرسل كذا.

---

١٢٥ دلائل النبوة للبيهقي وتاريخ الطبري

حتى أني رأيت عندنا في بعض البلاد كانوا يقسمون بينهم ما يقضونه لشيخهم، فهؤلاء عليهم العيش وهؤلاء عليهم الأرز وهؤلاء عليهم الخضار، لماذا؟ حتى تظل هذه البيوت مفتوحة لأهل الله ... ولطلاب الله ﷻ.

أما في هذا الزمان فهو زمان الشُح، فالحمد لله أغنانا الله بفضله عن أن نمد أيدينا إلى أحد سواه، لا نمد اليد لأولاد الصلب ولا لأولاد الروح ولا لغيرهم، لأن الله أغنانا من فضله وجوده عن النظر إليهم، لماذا؟ .. هذا على حسب الزمان، فلكل زمان دولته ورجاله.

وهذا الزمان ظاهرة الشح غالبة فيه، والناس غير منتبهين، فكلٌ يريد أن يدخر لنفسه ولأولاده، فأنت ستدخر وتتركه وتمشي، لكن الآخر كان يدخر الأعمال الصالحة والتجارة الرابحة فيجدها يوم يلقى الله ﷻ، وفي نفس الوقت ربنا قال له:

﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ (سبأ).

كان الناس يمشون على هذا المنوال في العصور الفاضلة، ولذلك كانت الأذواق والآداب أرقى من عصرنا هذا، فكان ذوقهم راقي.

يعني مثلًا رأيت على سبيل المثال: الرجل جاء بابنه للشيخ ليرقيه وكان يعرف أن الشيخ سيعطيه شيئًا، فيأتي ومعه شيء ويقول: خذ هذا يا مولانا لترقي هذا الولد، فالشيخ ليس عنده خزائن قارون.

في زمننا هذا – كما قلت – أصبح المستغل لهذه الظروف الأدعياء، هم الذين يفتحون الساحات ويجمعون من هنا ومن هنا وليس لهم في طريق الله، والصادقون أصبحوا مستورين وسترهم الله ﷻ بستره وتولى أرزاقهم بفضله وجوده وكرمه ﷻ، فهذه سُنَّة الله التي لا تتخلَّف، ولذلك لا يوجد أحد منا تفرغ للدعوة إلا عندما بلغ سن التقاعد، وكان الله يعيننا على قضاء أعمالنا في الدنيا على أحسن ما يكون، والقيام في الدعوة على أحسن ما يكون، كيف؟ لا تعرف، لكن توفيق الله ﷻ، لماذا؟

لأن الله يتولى من يقوم بأداء رسالاته ويكلَّف من حضرة حبيبه بإبلاغ دعوته إلى خلقه ﷻ، لذلك معهم ستر الله، وعطاء الله ﷻ.

الباب الخامس

الطريق إلى الله

١. الخوف والرجاء ١٧١
عند الصالحين ١٧٣
٢. طريق السير إلى الله ١٧٥
٣. الثبات على الوجهة ١٧٧
٤. مراقي الصالحين ١٧٩
مقام الإحسان ١٨٠
مقام الإيقان ١٨٢
٥. عالم الملكوت ١٨٤
٦. الصلة بالله ١٨٧
صلة نبينا بالله ١٨٧
صلة الأنبياء بالله ١٨٩
٧. جلاء البصيرة ١٩٠
٨. رؤية رسول الله ﷺ ١٩٤
٩. سدرة المنتهى ١٩٥
١٠. صلاة النبي بالأنبياء ١٩٧
١١. الإسراء والسير إلى الله ١٩٩
١٢. الشرب من حوض الكوثر ٢٠٠
١٣. سفر القلب إلى الله ٢٠٣
١٤. اطمئنان القلب بالمشاهدة ٢٠٤
١٥. السفر إلى الله ٢٠٦
١٦. الحج والسير إلى الله ٢٠٨
١٧. مقامات السير والسلوك ٢١١
١٨. الإشارات والإشراقات ٢١٣

الباب الخامس

الطريق إلى الله

١- الخوف والرجاء

السؤال: كيف نوازن بين الخوف والرجاء؟ بحيث لا يغلب أحدهما على الآخر؟

المؤمن دائمًا وأبدًا يرجو لقاء الله لحسن ظنه بمولاه، لأنه يعلم أنه كريم وعفو وغفور ورحيم وغيرها من الصفات الكريمة، ويخشى مولاه أن يواجهه بأسماء الجلال.

فدائمًا وأبدًا يتذكر أن لله أسماء جمال، فيتذكرها ليُحسن ظنه بالله، ولا يخشى عواقب النفس والشيطان، ويعلم أن له يدان مبسوطتان عند الله، يطالبه الله ﷻ أن يرجع بهما تائبًا إليه كلما أذنب أو أساء، وهو ﷻ يقول:

{ وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً }[١٢٦]

فإذا أتاه الإنسان يمشي بتؤدة أجرى إليه خيره وبره بسرعة سريعة لأنه الكريم الحنان المنان.

ويخشى كذلك أن يكون قد ارتكب جرمًا علنًا أو سرًا، والله كان ينظر إليه فيحاسبه عليه، وكما قال إمامنا أبو العزائم رضي الله عنه: ((لو حاسبنا الله ﷻ على أدنى ذنب فعلناه بعدله لهلكنا جميعًا، ولو حاسبنا على ذنوبنا كلها بفضله، لنجونا جميعًا)).

فأنا لا أعلم كيف يحاسبني الله؟ هل بعدله أم بفضله؟ ولذلك نسأل الله دومًا أن يحاسبنا بفضله، وأن لا يحاسبنا بعدله.

---

١٢٦ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

فنتذكر جماله وفضله وعفوه وصفحه، فنرجع عند الذنب وعند الإساءة مسارعين إليه، ونتذكر جبروته، فلا نغتر بعبادة ولا بعمل صالح، وأنه إذا قوَّمه بالإخلاص ربما ذهب العمل هباءًا منثورًا، وندخل في قوله ﷻ: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ (الفرقان).

فالإنسان المؤمن يرجو الجنة ويخاف من جهنم ونارها وعذابها، فإذا أراد فعل الخيرات يدفعه ذلك إلى فضل الله، وما وعده به من الثواب في أُخراه، ولكنه يخشى من عدم القبول، لأن القبول يخفى على الكُمَّل، ولا يعلم القبول إلا الله ﷻ.

وفي نفس الوقت يخشى الوقوع في أدنى ذنب، وأنه ربما يراه مولاه على هذا الذنب فينزل عليه سخط الله وغضب الله، ولذلك يقول سيدي أحمد بن عطاء الله السكندري رضي الله عنه: ((لا صغيرة إذا واجهك بعدله، ولا كبيرة إذا واجهك بفضله)).

فإذا أمن الإنسان مكر الله، لأنه يعمل الأعمال الصالحة، ربما لن يتقبل الله منه عمله لدسيسة فيه، كرياء، أو قلة إخلاص، أو رغبة في الظهور والعُلو في الأرض فيحبط عمله، وإذا وقع في ذنب يعلم أن فضل الله واسع، وأن الله يبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، ويبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، وإذا تاب العبد قال الله ﷻ كما ورد ببعض الأثر: ((بُشرى يا ملائكتي، فقد اصطلح عبدي معي، افتحوا أبواب السماوات لقبول توبته، ولدخول أنفاس حضرته، فَلَنَفَس عبدي التائب عندي يا ملائكتي أعز من السماوات والأراضين وما فيهن)).

وقال ﷻ لسيدنا داود عليه السلام:

{ يَا دَاوُدُ أُنِينُ الْمُذْنِبِين أَحَبُّ إِلَيَّ مِن زَجَلِ الْمُسَبِّحِين }[١٢٧]

ولذا قال سيدي ابن عطاء الله السكندري في إحدى حِكَمه:

((رُبَّ معصية أورثت ذلًا و انكسارًا، خيرٌ من طاعة أورثت عزًا واستكبارًا)).

فالخوف والرجاء جناحا المؤمن، فلا يغلب أحدهما على الآخر، لأنه إذا غلَّب الخوف يئس من فضل الله ورحمة الله:

---

١٢٧ كشف الخفا للعجلوني

﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (يوسف) وإذا غلَّب الرجاء أمن مكر الله: ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ (الأعراف).

انظر إلى سيدنا عمر رضي الله عنه وهو النموذج القويم حيث يقول:

((لو قيل: كل الناس في النار إلا واحد لظننتُ أني ذلك الواحد، ولو قيل: كل الناس في الجنة إلا واحد، لخفتُ أن أكون ذلك الواحد)).

فخوفه ورجاؤه يعتدلان، وهكذا المؤمن، لا يكون المؤمن صادقًا في سيره إلى الله إلا إذا كان له جناحان، جناح الخوف وجناح الرجاء، والجناحان يعتدلان ولا يغلب أحدهما على الآخر.

عند الصالحين

السؤال: هل يكون الكُمَّل من الصالحين بين الخوف والرجاء؟ أم بالرجاء فقط؟ أم بالخوف فقط؟

إذا كان الإنسان واقفًا عند مقام واحد من هذين المقامين، كان في مقام نقص، وليس في مقام كمال، فإن الخائف من الله تبارك وتعالى أو من ناره أو من موقف يوم القيامة، يجعله خوفه هذا يترك كل طيبات الدنيا، وكل ما أباحه الله له من نعيم الدنيا ومن متع الحياة الدنيوية التي هيأها الله تبارك وتعالى لعباده الصالحين، وقد يصل به الخوف إلى مقام اليأس والقنوط:

﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ (الحجر).

أما الراجي لفضل الله، والآمن من مكر الله، فهذا أيضًا في غير مأمن، لأنه إذا أمن جانب مكر الله فقد يقع في نسيان الآداب في التعامل مع حضرة الله، ولذا كان يقول السادة الصالحون: إذا أجلسوك على البساط فإياك والإنبساط.

لأنه إذا انبسط ربما يخالف دون أن يشعر الشريعة الإلهية في قليل أو كثير، فيُطرد من رحمة الله كما وقع إبليس وغيره من الذين وصفهم الله تبارك وتعالى لنا في كتاب الله.

إذًا الكُمَّل هم الذين يمزجون بين الخوف والرجاء، ولذلك قيل: لو وُزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا.

يرجو فضل الله، ويرجو إكرام الله، ويرجو القرب من الله، ويرجو الأمان في جانب الله، ويخاف أيضًا من قهر الله، ومن جلال الله، ومن سخط الله، ومن غضب الله، فربما يقع الإنسان في زَلة يظنها عملٌ بسيط وهي تستوجب السخط والمقت من رب العزة ﷻ.

ولذلك وصف الله هؤلاء في قرآنه فقال: ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ (٩٠الأنبياء) رغبًا يعني راغبين في القرب والوداد من الله ﷻ وإكرامه وعطفه وشفقته وحنانته ومودته، ورهبًا يعني خوفًا من إبعاده، وخوفًا من سخطه، وخوفًا من بُعده.

بل إن الله ﷻ عندما أنزل في سورة هود: ﴿ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ ﴾ (هود) ومرة أخرى: ﴿ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ ﴾ (هود) وغيرهم قال ﷺ:

{ شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا }[١٢٨]

أي أن ذكر البُعاد في سورة هود جعل سبع عشرة شعرة من رأسه ﷺ تبيض خوفًا من الإبعاد، لأن الله ﷻ: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (٢٣الأنبياء) قال فيها الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

خوف بعـدي في القرب نار جحيمي شـــيَّـب الـرأس سِـــرُّه أعـيـاني

خوف أن يُبعده الله أو يطرده من رحمته في أقل من لمح البصر، هو الخوف الذي يحفظ له عبوديته الكاملة لله ﷻ، ولذلك كان سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول: ((لا آمن مكر الله، ولو كانت إحدى قدميَّ في الجنة))، وجاء الإمام أبو العزائم رضي الله عنه وقال: ((لا آمن مكر الله ولو دخلت في الجنة)) لأن آدم كان في الجنة وطُرد من الجنة، وإبليس كان في الجنة وحُرم منها.

إذًا لا أمان لمكر الله، فلا بد من الخوف والرجاء معًا ليعتدل الإنسان في حياته الدنيوية، وفي قربه من مولاه ﷻ.

فهؤلاء هم أهل المقام الأكمل، الذين يخافون من البعد عن الله، أو الصدود عن حضرة الله، أو الإبعاد من حضرة الله، أو أن يُذيقهم الله ﷻ – نسأل الله ﷻ الحفظ

١٢٨ الأحاديث المختارة ومسند البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما

والسلامة – قسوة القلوب، أو عدم الشفقة والرحمة والحنانة بالخلق، أو يجعلهم يستهينون بالذنوب، ويستخفون بالطاعات، وهذه كلها أمراضٌ تؤدي إلى أسفل الدركات والعياذ بالله ﷻ.

إذًا لا بد أن يكون الإنسان بين الخوف والرجاء على الدوام، لا يترك ذلك طرفة عين ولا أقل، قال الإمام عمر بن الخطاب ﷺ معبرًا عن هذا الحال: ((لو قيل كل الناس في الجنة إلا رجلٌ واحد، لخفت أن أكون ذلك الرجل، ولو قيل كل الناس في النار إلا رجلٌ واحد، لرجوت أن أكون ذلك الرجل)) فهو يرجو الله ويخاف الله في نفس الوقت، ويعبر عن هذا المقام العالي الإمام أبو العزائم ﷺ:

أنا لا أخاف وحقه من ناره كلا ولا أبغي الجنان لطيبها
فالقرب منه جنتي ومحاسني والبعد عنه ناره ولهيبها

نسأل الله السداد والتوفيق.

٢- طريق السير إلى الله

السؤال: نرجو من فضيلتكم وصف برنامج لنا، نسير عليه في طريق الله من الأعمال الظاهرة والباطنة، وحقيقة التسليم الكامل الظاهر والباطن.

هذا السؤال يحتاج إلى تفصيل واسع، وتبيين شاسع، وقد بيناه في أكثر من كتاب في كتبنا، مثل منهاج الواصلين، ومثل طريق الصديقين، وغيرها من الكتب التي وضحت كل ما يحتاج إليه السائر في طريق الله ﷻ.

وأكتفي في هذا المقام، بما كان يبتدئ به إمامنا أبو العزئم ﷺ مع المبتدئين، فكان يشرح لهم هذه الحكمة ويحفظهم إياها، ويجعلهم يسيرون عليها قدر استطاعتهم، فيقول:

((مفارقة الأشرار، ومصاحبة الأخيار، والسير على السنن والمناهج والآثار)).

الطريق لا بد في سلوكه أولًا من مفارقة الأشرار الذين لا يصلحون لطريق الله، والذين كنت أصحبهم وأجالسهم وأمشي معهم لقول الله ﷻ:

﴿ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٦٨ ﴾ (الأنعام).

فمن جالس الظالمين كان منهم، فإذا نزلت صاعقة عليهم تأخذه معهم ..!!

لأنه جالسهم، وتكون صحفهم مملوءة بالغيبة والنميمة والقيل والقال، وما شابهها من حقوق الخلق، وهذه لا يستطيع الإنسان محوها وإزالتها إلا بإطابة نفوس من تحدث عنهم أو بشأنهم، ويسامحوه ويعفوا عنه، حتى ولو وصل إلى أعلى المقامات، فإن الحق وهو الحكم العدل جعل هذه حقوق العباد مطلق التصرف فيها للعباد، الذين قيل فيهم أو في شأنهم حتى يوفى كل ذي حق حقه.

فلا بد أولًا من مفارقة الأشرار:

لا أصاحبهم في مشي، ولا في قعود، ولا في مجلس ولا في أي أمر من الأمور، وإنما أجالس الأخيار، وأقعد مع الأخيار، وأمشي مع الأخيار، ويكون سعي كله مع الأخيار لألحق بهم وأكون معهم، وأكون بعد ذلك مع الأبرار بفضل الله ﷻ عليَّ ببركة صحبة الأخيار.

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩ ﴾ (التوبة) الصادقين الذين أحسنوا في الجد والاجتهاد لله ﷻ في كل أنفاسهم، فهؤلاء الذين أُوطِّن نفسي على السعي معهم، ولا أفارقهم نَفَسًا من الأنفاس أبدًا.

الأمر الثالث هو السير على مناهج الأخيار من السنن الواردة والآثار، كالسنن الواردة عن سيدنا رسول الله، والآثار الواردة عن الصحابة الهاديين المهديين، وكُمَّل الصالحين من عباد الله لقول الله ﷻ: ﴿ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ﴾ (١٥لقمان) أنظر إلى من أناب إليَّ وتاب وفتح عليه الكريم الوهاب، وأمشي على منهجه الذي مشى عليه لتصل إلى ما وصل إليه، ويُفتح عليك كما فُتح عليه.

هذا ملخص لأحوال الطريق، نسأل الله ﷻ أن ينير أبصارنا وبصائرنا، وأن يفتح علينا فتوح العارفين، وأن يحققنا بحقائق الواصلين، وأن يجمعنا ظاهرًا وباطنًا على سيد الأولين والآخرين ﷺ.

٣- الثبات على الوجهة

السؤال: الغاية العُظمى للمريد الصادق هي وجه الله، ولكن يخالطها في السير إلى الله أشياءٌ أخرى كحب الدنيا وحب الظهور وغيرها من الشهوات الدنية التي لا تُصحِّح حال الوجهة، فما كيفية الثبات على هذه الوجهة؟

الإنسان الذي يريد أن يتوحَّد مطلوبه، ويرضى بما قدَّره محبوبه، لا بد أن يصحب من سبقه في سلوك هذا المشرب الروي، والمشهد الإلهي الجلي، ولذلك هؤلاء الذين اختاروا هذا المشهد الرباني يقول فيهم الله ﷻ لحضرة النبي ﷺ:

﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ ﴾ (٢٨الكهف).

إذًا ليس فرد وإنما هم أفراد اجتمعوا معًا ليفوزوا بالسبق في هذا الميدان، فالبركة في الجماعة، والسر في الجماعة التي فيها هذا المشهد الإيماني، وهذا المشرب الرباني الروي.

أي إنسان لا بد له أن يُعرض عليه حظوظ الدنيا، وهذه اختبارات من الله، أو ابتلاءاتٌ من الله ليرى صدق هؤلاء فيما يدَّعونه نحو الله ﷻ، يقول الله ﷻ: ﴿ الٓمٓ ١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣ ﴾ (العنكبوت).

الفتن يتعرض لها أي مؤمن، وهذه الفتن وصفها الله ﷻ في آيات القرآن أحيانًا مفصلة، وآونةً مجملة، وقال في تفصيلها:

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ﴾ (١٤آل عمران)

ثم قال عن كل هذه المظاهر: ﴿ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ﴾ (١٤آل عمران)

كلها متعٌ فانيةٌ زائلة، لأنها في هذه الدنيا فقط ولا تدوم، وإنما تفنى كما تفنى الدنيا، لأن الدنيا بما فيها كلها دار فناء.

ومرة يُجمل هذه الشهوات فيقول تعالى:

﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ﴾ (٢٠الحديد) .

ومرة يوجزها فيقول: ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ (٣٢الأنعام).

كل هذه الأمور يتعرض لها السالك في طريق الله، ليُري الله ﷻ صدق إيمانه وصلابة عقيدته ورسوخه في وجهته.

فمن كان يريد الله ﷻ كانت الدنيا بما فيها وراء ظهره:

لا يلتفت إليها ولا ينظر إليها ولو أقبلت عليه ..

بل أكثر من ذلك لو عُرضت عليه جمالات الآخرة وجمالات الجنة فلا يلتفت إليها، لأن شغله بمولاه ألهاه عن جميع من سواه.

هذا الذي يشتغل بالله ﷻ يقول فيه الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

((من كان الله مراده، كان مقعد صدق وراء ظهره))

يعني لا يلتفت لمقعد الصدق ولو ناداه، ولا يلتفت إلى الهواتف العلية ولو طلبته.

ولذلك يقول أيضًا رضي الله عنه:

((السالك في طريق الله كلما نادته هواتف الملكوت الأعلى لم يلتفت إليها،
وقال لها: إنما أنت فتنة، وولى وجهه نحو مولاه،
ولم يلتفت إلى سواه طرفة عين ولا أقل)).

هذا الذي يصل إلى هذا المقام يحتاج إلى إمام يأخذ بيده في السير والسلوك، ويوطنه على هذا المقام الكريم، فيجعل همه ووجهته كلها:

الحب مبدأنا والوجه قبلتنا والمصطفى قدوتى فاعلم مراقينا

ولا بد له من إخوة صادقين يلوذ بهم يعينونه على بلوغ هذا المراد، ويساعدونه على الوصول إلى هذه الغاية، فإنهم يتعاونون في سبيل أن ينال كلٌ منهم مطلوبه، ويتحقق له أمله.

قال ﷺ:

{ صَاحِب مَن إِذَا ذَكَرْتَ اللَّهَ ﷻ أَعَانَكَ، وَإِذَا نَسِيتَهُ ذَكَّرَكَ }[١٢٩]

فإذا نسي غايته وانساح في أودية الدنيا وشهواتها، جرَّه وجذبه ونبَّهه ليفر مما هو فيه، وإذا عمل ليحقق أمله ساعده وآزره وعاونه ليبلغ القصد الذي يبتغيه.

إذًا لا بد للمرء لكي يثبت على هذه الوجهة ويصل إلى هذه الغاية من مرشد صادق يواليه بنظراته، ويراقبه بحنانته وشفقته ورعايته، وإخوة صادقين يعينونه على بلوغ المراد.

نسأل الله ﷻ أن يعيننا على بلوغ ذلك أجمعين، إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

٤- مراقي الصالحين

السؤال: نرجوا من فضيلتكم أن تحدثنا عن مراقي الصالحين ودرجاتهم عند رب العالمين، وبم وصلوا إلى ذلك الفضل؟

مراقي الصالحين كثيرة لا نستطيع عدها ولا حصرها ...

منهم من يرتقي عن شهوات الدنيا وحظوظها ويزهد فيها ...

طلبًا في متاع الجنة والدار الآخرة ...

وهؤلاء هم الزُهَّاد الذين يزهدون في متع الدنيا ... طلبًا للمتع العالية في الدار الآخرة وفي الجنة.

ومنهم من يواصل الليل والنهار بأنواع العبادات!!!

تارة يقوم لله في جُنح الظلام، وتارة يُكثر من الصيام، وتارة يواظب على تلاوة كتاب الله، وتارة يُكثر من ذكر الله، وأُخرى يصلِّي فيها على سيدنا رسول الله، وغيرها من أعمال

---

١٢٩ الإخوان لابن أبي الدنيا

البر والخير، يرجو بذلك عظيم الأجر والثواب عند الله ﷻ ...

وهؤلاء هم العُبَّاد الذين يعبدون الله في الدنيا ليحصِّلوا الدرجات العالية في الآخرة، ويكون لهم ثوابٌ عظيم وأجرٌ كريم عند الكريم ﷻ.

أما المقام الأعلى:

فهم الذين يعبدون الله ﷻ ويشهدون توفيقه لهم في العمل، وليس لهم أملٌ إلا الطمع في وجه الله ونيل رضاه، لا يطلبون بعملهم أجرًا ولا ثوابًا ولا منصبًا ولا مقامًا، وإنما كل مطلوبهم أن يكونوا يوم القيامة بين يدي ربهم مخاطبون بقول الله:

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣ ﴾ (القيامة).

مقام الإحسان

وهؤلاء صنفان:

صنف هم أهل مقام الإحسان، والإحسان كما عرَّفه النبي العدنان ﷺ:

{ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ }[١٣٠]

المقام الأدنى في هذه الآنات أن يعتقد أن الله يطلع عليه وينظر إليه ويراقب خطراته وحركاته على الدوام.

والمقام الأعلى أن يعتقد أنه ينظر بعين قلبه إلى حضرة الله، وإلى جمال الله وكمال الله، وإلى أسماء الله وصفات الله، وهذا مقامٌ أعلى قال فيه بعض الصالحين:

((الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن - وهنا نقف:

يعني فنيت عن نفسك وكلك. تراه)).

إذا تحقق لهذا العبد الفناء بالكلية عن حظوظه وشهواته وأهوائه ...

فإنه يرى بعين الله جمال الله وكمال الله، ويدخل في قوله سبحانه في الحديث القدسي:

---

١٣٠ جامع الترمذي وأبي داود عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

{ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ }[١٣١]

وقد ذكر بعض الصالحين أكثر من ألف مقام متدرجة في مقام الإحسان، يمر بها السالك حتى يختتم الكمال في مقام الإحسان، وكلها في القرآن من كلام ربنا ﷻ، فالإحسان له أكثر من ألف مقام ذكرها الصالحون، ولكن في خلواتهم وليس في جلواتهم لمن يستطيع أن يفقه هذه الإشارات ..

والكلام هنا كما قال إمامنا ﷺ وأرضاه الإمام أبو العزائم:

أمن القلوب إلى القلوب شرابي ومن الفؤاد إلى الفؤاد خطابي
ومن اللطيفة للطيفة نظرتي تُعطَى لمطلوبٍ من الوهاب

السُقيا هنا من القلوب إلى القلوب، لأنها علومٌ وهبية وعلومٌ غيبية:

علم غيبٍ عن شهود لا بعلمي أو بعملي
بل بفضل الله ربي وبطه خير رسلِ
وأنا عبدٌ ظلومٌ أعلموني بعد جهلي
كشفوا لي الحجب حتى أشهدوني نور أصلي

فهي علومٌ وهبية لا يتقبلها إلا أهل القوب التقية النقية بعد تزكية النفس وتصفية القلب من كل أدرانه، وكل شيء يشوب فيه ويعطله عن هذه المشاهد العالية.

والأمر كما قال سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ:

((البصيرة كالبصر، أدنى شيء فيها يعطل النظر))

فكما أن أي شيء يُعطل البصر ...

فكذلك أي شيء كوني أو دنيوي أو شهواني يُعطل بصيرة القلب عن النظر إلى ما يريد الإنسان من فضل الله ومن كرم الله ﷻ.

---

١٣١ صحيح البخاري وابن حبان والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه

مقام الإيقان

وأعلى من هذا المقام مقام الإيقان، ومقام الإيقان هو الذي يقول فيه الله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ ﴾ (الأنعام).

مقام مشاهدة الأرواح لحضرات الكريم الفتاح، ومشاهدة السر لحضرة النبي ﷺ كنز الخير لنا والبر، ومشاهدة النفخة القدسية بأحوال الله ﷻ الذاتية التي لا يدركها إلا أهل الخصوصية.

ومقام اليقين يبدأ أولًا بعلم اليقين:

وهو العلم اليقيني الذي يتيقن فيه الإنسان حقيقة ما يراه .... ولا يشك فيه طرفة عين ولا أقل.

ثم بعد ذلك عين اليقين وهو أن يخالط ما يراه، ويحدث بينهما مخالطة، ثم بعد ذلك حق اليقين وهو أن يتحد بالكلية بما يراه، ولا يكون هناك فرقٌ بينه وبينهم.

ثم يرتقي بعد ذلك في مقامات القرب من الحضرة العلية إلى مقام العندية: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ ٢٠٦ ﴾ (الأعراف).

ثم إلى مقام المعية: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨ ﴾ (النحل).

ثم إلى مقام اللدنية: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ٦ ﴾ (النمل) وهذا الذي أعطاه الله لعبده الذي أرسل إليه موسى الكليم وقال في شأنه: ﴿ ـ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ٦٥ ﴾ (الكهف) أي علمناه من مقام اللدنية علمًا إلهيًا خاصًا به في هذا المقام.

هذه المقامات التي لا عد لها ولا حد لها ولا نستطيع حتى سردها أو بيان أصولها، يصل إليها هؤلاء أولًا بفضل الله ﷻ: ﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١ ﴾ (الحديد)، أو يختصهم برحمته: ﴿ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ١٠٥ ﴾ (البقرة).

أو ينالون رضا أهل عنايته، فإذا رضي عنهم المنظورين بعين الله في الأكوان، نظر الله إليهم فقربهم إليه واجتباهم، قيل لأبي يزيد البسطامي رضي الله عنه: كيف أتقرب إلى الله تبارك وتعالى حتى يحبني؟ فقال:

((تقرب إلى عبد مقرب إلى الله، وتودد إليه وتزلَّف إليه حتى تقع في قلبه، فإن الله ينظر في قلب العارف في كل يوم سبعين مرة، فإذا نظر في قلبه فوجدك فيه أحبك، وإذا أحبك وفقك وهداك وأخذك عن نفسك وأعطاك ما لا عينٌ رأت، ولا أُذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر)).

والأمر الأهم في ذلك لمن يريد هذه المقامات العالية أن يوطن نفسه على مراقبة الله وخشيته، ويعتقد على الدوام أن الله يطلع عليه ويراه، فلا يقع في شيء ولو صغيرٍ يُغضب الله، ولا يُصغر عملًا يظن أنه ليس كبير في نظر الله، فلا يُصغر شيئًا من الذنوب والهفوات، ولا يحتقر شيئًا من الأعمال الصالحة، بل يبتعد بالكلية عن كل ما نهى الله تبارك وتعالى عنه، ويُعظِّم كل ما أمر الله تبارك وتعالى به، فيدخل في عداد الكرام الذي قال فيهم الله:

﴿ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦ ﴾ (التحريم).

فيكون في هذا الحال ملكوتيًا، ثم يرتقي ويرتقي، وكلما زاد خشية لله، كلما زاد قربًا من مولاه، قال صلى الله عليه وسلم:

{ فَوَاللَّهِ إِنِّي أَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً }[١٣٢]

إذًا علامة القرب هي خشية الله في السر والعلن، وخشية الله في الغيب والشهادة، وكلما قويت هذه الخشية، كلما زاد مقام الإنسان عند ربه تبارك وتعالى، وأصحاب الخشية عند الله هم العلماء: ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ (٢٨فاطر)

فالعلماء هم أهل خشية الله .. وهم العلماء بالله، وبأسماء الله، وبمعرفة الله تبارك وتعالى.

نسأل الله عز وجل أن يشملنا بفضله وعنايته، وأن يجعلنا من أهل مراقبته وخشيته أجمعين، آمين يا رب العالمين.

---

١٣٢ البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها

٥- عالم الملكوت

السؤال: حدثنا فضيلتكم عن عالم الملكوت الأعلى، وما حوت السماوات السبع وما فوقها، وما فوق الفوق، وعن الأراضين السبع وما تحتها؟

أظن أن هذا السؤال فيه تجوُّزٌ كبير!! هل للإنسان مهما بلغ من القرب من الله أن يُؤذن له في الحديث عن هذه الغيوب الإلهية؟!!

نتحدث عنها كما تحدث عنها كتاب الله ...

أو كما كشف بعضها سيدنا رسول الله ﷺ.

فعالَم الملكوت هو عالمٌ نوراني يغيب عن رؤيته الإنسان منا بعين بصره، ولكن يراه إن أكرمه مولاه بعين بصيرته وبفؤاده وسويداء قلبه.

وعالم الملكوت هو نفسه عالم السماوات، لأن الملكوت الأعلى الذي رآه رسول الله ﷺ في رحلة المعراج كان في السماوات، وارتقى من سماء إلى سماء، فهي عوالم ملكوتية لأنها خاصة بالملائكة الكرام، ليس فيها من يعصى الله، وليس فيها من يخالف طرفة عين أمر الله ﷻ، والملكوت كله من عوالم النور.

وهم في هذه العوالم درجات، يقولون فيها:

﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ ﴾ (الصافات).

من جملة عالم الملكوت الجنة وما فيها من نعيم أعده الله ﷻ لعباده الصالحين.

وفوق عالم الملكوت عالم يُسمى عالم الجبروت.

وفوق عالم الجبروت عالم يُسمى عالم النعموت.

وفوق عالم النعموت عالم يُسمى عالم اللاهوت .. !!!

عوالم لا تُحصى !!!

ولا عد لها ولا حد لها، ولا يستطيع أحدٌ كشفها ...

لأنه لا يوجد في الكون عقولٌ تستوعب ما فيها، وإنما لا نتحدث عنها إلا بما تحدث به القرآن، أو النبي العدنان ﷺ.

مع العلم أن الله ﷻ ليس فوق العرش ... !!!

ولا فوق السماوات أو جهة السماوات !!!

فالله ﷻ قربه من العرش كقربه من الفرش، وكما أنه ﷻ ما حسَّ التراب ولا مسَّه ولا جسَّه، فهو كذلك ﷻ ما حسَّ العرش ولا جسَّه ولا مسَّه.

وإنما العرش هو الموضع الذي تتنزل منه الخيرات والبركات من الله لعباده، وإليه ترتفع الأعمال الصالحة التي يعملها الخلق، وترتفع وتنال رضا الحق ﷻ.

ولذلك قال إمامنا أبو العزائم رضي الله عنه وأرضاه:

وحكمة إسراء الحبيب إغاثة لعالمه الأعلى ورحمة حنَّان
ولم يكُ ربُ العرش فوق سمائه تنزَّه عن كيفٍ وعن برهان
ولكن لإظهار الجمال لأهله من العالم الأعلى ونيل أمان

فلم يذهب النبي في رحلة المعراج إلى الملأ الأعلى ليرى حضرة الله، فإنه كان يراه وهو في شعاب مكة في بيته، فقد قال الله: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ ﴾ (١١٥البقرة) فلا يغيب عنه مولاه ﷻ طرفة عين ولا أقل.

أما الأراضين فقد اختلفت الأقاويل فيها ..

فإن القرآن لم يذكر أن الأراضين سبع، والسبع لا يُدرى من تحدث فيها، أهم سبع طبقات، أم سبع أراضين كأرضنا، وكل ما ذكره الله ﷻ عن السماوات:

﴿ خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّۖ ﴾ (١٢الطلاق)

ولكن لم يحدد عددًا، فلا ندري أهي طبقات الأرض التي تحتنا، أو أراضين أُخرى.

وقد علمنا من علم الفلك الآن أن هناك عوالم ومجرات ونجوم وكواكب لا عد لها ولا حد لها تملأ الفضاء، وأقلها حجمًا المجرة التي نحن فيها الآن، وهي مجرة درب الدبانة.

وشمسنا أقل النجوم حجمًا بالنسبة للنجوم التي في السماوات والتي يعجز الإنسان عن مشاهدتها، وعن متابعتها ...

وهذا أمرٌ لا يشغل الإنسان به باله، بل يشغل باله بربه ﷻ وحده، وهو وحده يُطلعه إن شاء على ما يشاء:

﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ (الجن).

فمن يرتضيه يطهره ويصفيه ويشهده ما يليق به، وما تتحمله قواه الروحانية من عوالم الله تعالى العلوية والغيبية، ولا يدَّعي أنه أعلى الناس قدرًا في هذا المقام، لأن كلٌ يشهد على قدره بما أعلمه به ربه ...

ولكن الكل بالنسبة للأنبياء والمرسلين ليسوا إلا كذرة في صحراء واسعة بالنسبة لعوالم رب العالمين ﷻ، قال ﷺ مبينًا سعة هذه العوالم:

{ مَثَلُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي الْكُرْسِيِّ كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ فِي فَلَاةٍ، وَإِنَّ فَضْلَ الْكُرْسِيِّ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كَفَضْلِ الْفَلَاةِ عَلَى تِلْكَ الْحَلْقَةِ }[١٣٣]

وفي رواية أخرى:

{ مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ مَعَ الْكُرْسِيِّ إِلا كَحَلَقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الْفَلاةِ عَلَى الْحَلْقَةِ }[١٣٤]

وهذا تقريبٌ لهذه الحقائق التي يعجز الإنسان عن معرفتها والإحاطة بها حتى ولو أوتي علوم الأولين والآخرين، لأنها علومٌ ذوقية إلهية.

نسأل الله ﷻ أن يعلِّمنا ما لم نكن نعلم، وأن يعلِّمنا ما به نعلم قدره ومقامه، وأن يعلمنا ما به ننال قربه ورضاه.

---

١٣٣ المطالب االعالية لابن حجر عن أبي ذر رضي الله عنه
١٣٤ حلية الأولياء لأبي نعيم عن أبي ذر رضي الله عنه

٦- الصلة بالله

السؤال: حدثنا فضيلتكم عن صلة الله ﷻ بحقيقة النبي ﷺ، وصلة الأنبياء بالله والصالحين؟

هذا السؤال ربما لم يُحسن سائله في صياغته، ولكننا نجيب عليه على هيئته وحالته.

صلة نبينا بالله

أما صلة الحبيب، فلا نقول صلة الله بنبيه، بل نقول صلة النبي بالله، لأن الله هو الأعلى والكل يتوجه نحو الله.

فصلة النبي بالله ﷻ مبثوثة في آيات كثيرة من كتاب الله، حسبنا منها قول الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ ﴾ (٥٦الأحزاب) ثم يدعونا أجمعين فيقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾ (الأحزاب).

كيف يُصلي الله ﷻ على نبيه؟ الصلاة كما يُقال صلة، فيُصلي الله على نبيه أي يصله ﷻ بكل أنواع العطاءات الإلهية، والتجليات الربانية، والأنوار الذاتية والملكوتية، ويُفيض عليه من كل شيء يريد إعطاءه للأنبياء والمرسلين والصالحين من بعدهم.

لأنه ﷺ هو سدرة منتهى الخلائق، وهو السدرة التي تتلقى مباشرة من حضرة الله، ولا يستطيع بشرٌ غيره أن يأخذ مباشرة من حضرة الله ﷻ.

فحتى الأمين جبريل وهو عظيم الملائكة عندما كان في رحلة المعراج، ووصل إلى سدرة المنتهى الظاهرة، والحبيب ﷺ سدرة مُنتهى الحقائق الباطنة من الله ﷻ، قال كما ورد: إلى هاهنا انتهى مقامي تقدم، فأنت لو تقدمت لاخترقت، وأنا لو تقدمت قدر أُنملة – يعني طرف الإصبع – لاحترقت:

جبريـل وهو عظيمٌ في مكـانتـه لم يســـتطع يلج الأنوار بالهمم

أما المصطفى ﷺ فهو وحده الذي استطاع بما أعانه به مولاه، وبما قواه به حضرة

الله، أن يرى ما لا يراه سواه، فقد قال ﷺ عن الله:

{ حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ }[١٣٥]

لا يستطيع بشرٌ سواه أن يتحمل العطاءات مباشرة من حضرة الله، كما أننا لا نستطيع في بيوتنا أن نوصل بيوتنا على كهرباء الضغط العالي مباشرة، لأنه سيحرق كل اللمبات والأجهزة التي في البيت، ولكن نأخذ من المحول الذي يُرقق الضغط العالي ويجعله يناسب قدراتنا.

فالحبيب ﷺ هو الذي يتلقى كل العطاءات من حضرة الله، وقد قال له مولاه: ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ ﴾ (الكوثر) والكوثر يعني الخير الكثير الذي لا يستطيع أحدٌ عدَّه ولا حدَّه ولا حسابه ولا معرفة مقداره، لأنه من الله ﷻ.

فأعطاه ﷺ هذه العطاءات، وقال له كما قال في كتاب الله:

﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ۝٣٩ ﴾ (ص) هذا عطاؤنا للأولين والآخرين، وأهل الملأ الأعلى، وأهل الملكوت، وأهل الدنيا، وكل ما سوى رب العالمين، ولذا قال ﷺ ملمعًا إلى هذه الحقيقة:

{ وَاللَّهُ الْمُعْطِي وَ أَنَا الْقَاسِمُ }[١٣٦]

فكل العطاءات تصل من حضرة الله إلى سدرة حبيبه ومصطفاه، وهو ﷺ يوزعها على عباد الله بحسب قربهم من الله، وصفاء قلوبهم وجلاؤها مما سواه، وقد قال ﷺ مشيرًا إلى ذلك:

{ مَا صَبَّ اللهُ فِي صَدْرِي شيئًا إِلَّا وَصَبَبْتهُ فِي صَدْرِ أَبِي بَكْرٍ }[١٣٧]

أي أن العلوم الإلهية تُصبُّ فيه أولًا، ثم يصبها في صدر أبي بكر، ليس باللسان، وإنما بالقلب والجنان، لأنه هو الترجمان لأهل العرفان في هذه المعاني العلية.

هذه صلة حبيب الله ومصطفاه بالقدر الذي نستطيع أن نبيحه في هذا المقام.

---

١٣٥ صحيح مسلم وابن ماجة عن عبد الله بن قيس رضي الله عنه
١٣٦ البخاري ومسلم عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه
١٣٧ أورده ابن الجوزي، وابن القيم

صلة الأنبياء بالله

أما صلة الأنبياء بالله ...

وهم رسل الله الذين كلَّفهم الله ﷻ بأن يبلغوا دينه وشرعه الذي أنزله عليهم بحسب زمانهم إلى الناس المعاصرين لهم، وكلٌ منهم كان يعطيه الله بقدر ما يتحمله أهل عصره ويعقلونه من الأحوال الشرعية ومن العلوم الإلهية، وهم أيضًا شهودٌ على أممهم يوم لقاء الله، وكل نبي شهيدٌ على أمته، قال الله تعالى:

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾ (النساء).

وهؤلاء الأنبياء والمرسلين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه ..

فكلَّفهم الله بأداء رسالاته، فقاموا بها خير أداء، ولم يبالوا بما تعرضوا له ممن حولهم من الناس من الأحوال التي لا نستطيع سردها في هذا الوقت، وهم شهودٌ على أهل عصرهم لأن الله ﷻ استأمنهم على ذلك ورضي لهم بذلك.

أما الصالحون ...

- فإنهم هم الواسطة بين رسول الله ﷺ ومن حولهم، ... ومن جُمع عليهم من المريدين والسالكين:
- فينزل العطاء على رسول الله الخاص بأحباب هذا الرجل الصالح ...
- ثم يُنزله سيدنا رسول الله على قلب هذا الرجل الصالح.
- وهو يوزعه كما شاء الله وكما أراد الله وليس بحظه وهواه على من اجتباهم واصطفاهم واختارهم حضرة الله ﷻ.

وجعل الله ﷻ بينهم وبينه صلة مباشرة هم والأنبياء، تتجلى في إجابة الدعاء وتحقيق الرجاء، فإن الأنبياء والمرسلين ومن بعدهم من الصالحين إذا دعوا الله لباهم، وإذا سألوه أعطاهم، وإذا طلبوا منه أي أمر أجابهم، ولذلك كانوا نجدة وغوثًا لأهل عصرهم، فلا تنزل شدة في زمان أحدهم إلا ويضرع فيها إلى الله، فتنكشف عن الجميع ببركة دعائه، وبسر إجابته، وهو سر قربه من الله ﷻ.

٧- جلاء البصيرة

السؤال: كيف تنجلي البصيرة؟ وما كيفية الحفاظ عليها؟

البصيرة هي عين القلب والفؤاد التي ترى ما تراه عين الحس، من الأنوار المعنوية إن كانت أنوار الملكوت، أو أنوار الجنة، أو الأنوار المنبثَّة في الكائنات، أو يُطلعهم الله ﷻ بها على خفايا القلوب، وعلى خبايا الأسرار، ليعالجوا الصادقين من المريدين، ويدلوهم على الداء، ويوضحون لهم الشفاء وكيفية الدواء، خصَّهم الله بذلك بعين السريرة، يقول في ذلك إمامنا أبو العزائم رضي الله عنه:

بعين الروح لا عين العقول ... شهدتُ الغيب في حال الوصول

كيف نشهد هذا الغيب؟

وكيف تنجلي البصيرة؟

يوضح هذا الأمر في بيت صغير ليتنا نكرره حتى نحفظه ونعمل به لنصل جميعًا إلى المراد، فيقول موصيًا لنا أجمعين:

غُضَّ عين الحسّ واشهد ... تشهدن يا صبُّ أنوار القدير

جعل الله ﷻ للإنسان منافذ محسوسة في جسمه يتعرف بها على الأكوان، ولكن التقي النقي لا ينشغل بما يراه أو يسمعه عن حضرة الديان ﷻ.

ولذلك قال لنا الله: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ ﴾ (٣٠النور) وقال: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ ﴾ (٣١النور).

وأول علاج لفتح عين البصيرة هو غض عين البصر، فلا يشغل البصر ولا يطيل النظر لمن حوله، لأن البصر يسجل هذه المشاهد في النفس وفي القلب والفؤاد، فتشغل الإنسان عن ربه ﷻ.

فلا بد أن يقلل من النظر، ولا ينظر إلا للضرورة القصوى، قال ﷺ موضحًا للإمام عليٍّ رضي الله عنه وكرم الله وجهه:

{ يَا عَلِيُّ لَا تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ فَإِنَّ لَكَ الْأُولَى وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةُ }[١٣٨]

لك النظرة الأولى التي تستكشف بها ما تراه من إنسان أو حيوان أو نبات أو جماد أو غيره، لكن إطالة النظر هي سر الخطر:

لأن التصوير يُنتج أفلامًا تشغل القلب والفؤاد.

والنفس تُشغلها لك عندما تحاول أن تقترب من رب العباد ...

فإذا وقفت في الصلاة أشغلتك النفس بما رأيته أنت قبل الصلاة، وجاءت هذه المناظر فتغيب عن الحضور عن الله، ولا يحدث لك خشوعٌ في الصلاة، كل ذلك يشغلك بما رأته عيناك وإدامة النظر فيما منع منه الله.

وكذلك السمع:

فلا يستمع الإنسان بإذنه إلاَّ كلام الله، أو حديث رسول الله، أو وصية نافعة، أو طلب مُلحّ من أخ في الله يرجو منه قضاء وطره وإربه، أو خبرٌ يهم المؤمنين يريد أن يستوثق منه ليفرح بنصر المؤمنين، أو يدعو الله لكشف الكرب عن المسلمين.

هذه مشاغل الأُذن:

وهي التي يقول فيها الله في القلب: ﴿ وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾ ﴾ (الحاقة)

أُذن القلب إذا طهرت تعي الحقائق الإلهية، والعلوم اللدنية.

ويقول الله كذلك عن عين القلب: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾ عن رؤية الملكوت وأنوار الحي الذي لا يموت ﴿ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ (الحج) لأنها هي المخصصة لذلك، .... ومن أجلك أوجدها الله لك ... لتشاهد عنده ما هيأه لك من المشاهد.

---

١٣٨ جامع الترمذي وأبي داود عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه

- فإذا غضَّ الإنسان بصره.

- وحفظ سمعه عن لغو الكلام: واللغو هو الكلام الذي لا ينفع ولا يفيد، وإذا كان الله يقول عن المؤمنين: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ ﴾ (المؤمنون)۞ والكلام الذي لا ينفع ولا يفيد هو اللغو، كالكلام في السياسة، أو الكلام في الأخبار، أو الكلام فيما يحدث بين الخلق، لكن الغيبة والنميمة تسود القلب، والسماع الذي يكون فيه الإنسان يستمع إلى زور أو بهتان يسود عين البصيرة فتكون غير منيرة.

إذا حفظ الإنسان سمعه وبصره وجوارحه كلها:

- فحفظ اليد عما نهى عنه الله، وحفظ الرجل من المشي إلى الأماكن التي حرم الله الذهاب إليها.

- وحفظ البطن عن الأكل الحرام.

- وحفظ الفرج عن الحرام.

إذا حفظ الإنسان هذه الجوارح، وأقبل على ذكر مولاه، واشتغل به آناء الليل وأطراف النهار .. فإنه تفادى ما يعكر صفو البصيرة بإعراض جوارحه عن المعاصي، والذكر يفتح له الباقي، قال ﷺ:

{ القَلْب يَصْدأُ كَمَا يَصْدَأ الحَدِيد، قِيلَ: يَا رَسُولَ الله، وَمَا جِلَاؤُه؟ قَالَ: تِلَاوَة القُرْآن وَذِكْرُ الله تَعَالَى }[١٣٩]

والذكر الذي يفتح عين البصيرة ... هو الذكر القلبي ...

فذكر اللسان حسنات.

ولكن الذكر بالقلب هو الذي يرفع الحُجب، ويؤهل الإنسان للمشاهدات والمكاشفات، ولرؤية هذه الأنوار الزاهيات العاليات، قال ﷺ ملمعًا إلى ذلك:

---

١٣٩ الأربعين في فضائل ذكر رب العالمين للدمشقي عن ابن عمر رضي الله عنهما

{ لولا أنَّ الشَياطِينَ يَحُومُونَ عَلَى قُلُوب بَنِي آدَمِ؛
لنَظَرُوا إِلَى مَلَكُوتِ السَمَاء }[١٤٠]

والشياطين قد يعني البضاعة التي تُدخلها الجوارح المجترحة بأمر من النفس والشيطان، وفيها مخالفة ومعصية لحضرة الرحمن ... انظر معي بعين اليقين إلى حديث النبي الأمين في العصاة الذين يرتكبون الكبائر، فيقول ﷺ: { لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ }[١٤١]

أي أن الإيمان يخرج من قلبه في هذه اللحظة، وربما خرج ولا يعود إذا لم يتب إلى الله ﷻ ويرجع عن فعلته، أي أنه عند ارتكابه لهذه الكبيرة ينسحب الإيمان من قلبه، وقد يسود قلبه، وقد يكون عليه رانٌ كبير، إلا إذا رجع إلى الله تائبًا ومنيبًا.

إذًا خلاصة الأمر البعد عن المعاصي بالكلية حتى يكون الإنسان كما قال الله في ملائكة الرحمن: ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦ ﴾ (التحريم) وذِكر الله ﷻ بحضور قلب وبخشوع:

اذكر الله إن نسيت سواه قل بقلبٍ في الذكر يا الله

ذكر القلب يكون عندما ينسى الإنسان كل ما سوى المذكور، فيكون هو الذاكر الذي يقول الله لنا فيه: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ (٢٤الكهف) يعني اذكر ربك ذكرًا حقيقيًا إذا نسيت كل ما سواه عند ذكرك.

هذا هو الذكر الذي يطهّر القلب، ويفتح عين البصيرة، فإذا تم المراد وحدث للإنسان هذا الأمر، جاء الطبيب الرباني والحكيم النبوي ﷺ فكحَّل أعين القلب والفؤاد بإثمده، ونَوَّره بنورانيته: ﴿ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ۝١٧٥ ﴾ (الصافات).

فإذا اكتحل بنور من نور رسول الله، رأى الأشياء بالنور الذي أخذه من رسول الله، لأنه هو النور الذي يرى به ما غاب عن الأكوان.

نسأل الله ﷻ أن يعيننا على ذلك، وأن يوفقنا إلى ذلك أجمعين.

---

١٤٠ ورد ذكره في الإحياء، وفي التفسير الكبير للرازي
١٤١ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

٨- رؤية رسول الله ﷺ

السؤال: رؤية رسول الله ﷺ هل لها درجات ومناظير مختلفة أم هي ثابتة؟

تكلمنا في هذا الأمر سابقًا وهو موجود في كتبنا التي تتحدث عن الحضرة المحمدية، ولكن نعيده باقتضاب.

رؤية رسول الله ﷺ غير محددة:

لأنه يأتي للنافر ليرده إلى الله بهيئة على قدره، ويستطيع تحملها.

ويأتي للإنسان الواقع في ورطة ليخرجه منها بطريقة يتحملها.

ويأتي للإنسان الذي تاه في الصحراء، أو ضاع في الحاضرة في أي مدينة ليأخذ بيده من هذه الوهدة بطريقة تناسبه، ويخرج من هذا الأمر الذي هو فيه.

ويأتي للإنسان المريض الذي عجز عن شفائه الأطباء، فيمر بيده المباركة الشريفة عليه وعلى جسده فيُشفى في الحال.

ويأتي للإنسان في أي ضائقة أو شدة إذا استغاث به، فيأتيه على قدر ما تتحمله قواه الروحانية، ويُخرجه من هذه الورطة التي وقع فيها.

أما رؤية الصالحين لحضرته ﷺ فيأخذها معهم قطرة قطرة، لأنه لا يستطيع أحدٌ من الصالحين الأولين أو الآخرين أن يرى الحقيقة المحمدية الكاملة من أول نظرة:

لم يرى الصِـــدّيق منـه غـير هـيـكـلـه المبـاح
ومـعـانـيـه تـعـالـت عن عقول ذوي الصلاح

فيرى أولًا نورًا يشير إلى حضرته، أو قد يرى بعد ذلك علومًا يسمعها من حضرته ولا يراه، ثم يرى بعد ذلك صورته الآدمية التي كان عليها في دنيا الناس، وهي الصورة المحمدية في الهيئة التي يستطيع أن يتحملها، فإذا قويت أنوار قلبه وزاد تحمله، رأى صورة من صوره ﷺ النورانية.

والرسول ﷺ له صورٌ لا تُعد ولا تُحد، ولذلك يراه الجمُّ الكثير من المؤمنين في كل أنحاء العالم في وقت واحد، كيف ذهب إلى هذا وذاك في وقت واحد؟! ذهب إلى كل رجل منهم بصورة من صوره النورانية المحمدية صلوات ربي وتسليماته عليه.

فإذا قويت صلة العبد بحبيبه ﷺ وحظي بقربه ومودته، يواليه ويراعيه وينصحه إذا أخطا، ويوجهه إذا أصاب، وقد يعرض عليه ما استُشكل عليه من المسائل، فيجيبه عنها.

والأمثلة في هذا الباب كثيرة جدًا، ذكرناها في كتبنا ولا نطيل عليكم بتكرار ذكرها.

نسأل الله ﷻ أن يمتعنا برؤية الحبيب ﷺ يقظةً ومنامًا، حلًا وترحالًا، دنيا وآخرة.

٩- سدرة المنتهى

السؤال الأول: لماذا سُميت سدرة المنتهى بهذا الاسم؟ وهل وصل لها أحدٌ بعد رسول الله؟ وهل هي مكانٌ أم مقام؟

أخبر النبي ﷺ كما ورد عنه في الأحاديث الصحيحة في رحلة المعراج، أنه وصل إلى سدرة المنتهى، ووصفها ﷺ وصفًا قريبًا إلى أهل البادية والصحراء، فقال:

{ وَرُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى فَإِذَا نَبِقُهَا كَأَنَّهُ قِلَالُ هَجَرَ}[١٤٢]

وصفها بأنها شجرةٌ كشجرة النبق، وشجرة النبق تنبت في الصحراء ويعرفونها جيدًا، ولها فروع ومليئة بثمار النبق، وكأنها جرة كبيرة من الجرار التي كانت تُصنع في منطقة هجر في جنوب المملكة العربية السعودية.

وهذا الوصف تقريبٌ للحقيقة لأن أهل البادية جميعًا والعرب وهم سكان الصحراء يعرفون شجرة النبق، فوصفها لهم ﷺ.

وسُميت سدرة المنتهى لأنها انتهى إليها علوم الخلائق:

١٤٢ صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه

فأعمال العباد التي تُرفع من الأرض، وأرزاق العباد التي تنزل من عند الله، وكل ما ينزل من عند الله ينزل عند سدرة المنتهى، وتأخذه الملائكة وتوزعه كما أمر الله ﷻ.

وهذا لكل العطاءات الربانية، والخيرات الدنيوية التي كلف بها الله ﷻ الملائكة الكرام، وكذا كل من يصعد من الأرض من أذكار ومن تسبيحات ومن تهليلات وأعمال، قال ﷺ فيما رُوي عنه في الحديث الصحيح:

{ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ مِنْ جَلَالِ اللَّهِ مِنْ تَسْبِيحِهِ وَتَحْمِيدِهِ وَتَكْبِيرِهِ وَتَهْلِيلِهِ، يَتَعَاطَفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ، لَهُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ، يُذَكِّرُونَ بِصَاحِبِهِنَّ }[١٤٣]

إن ما تذكرون الله ﷻ به من التسبيحات والتهليلات والتكبيرات، يخرجن ولهن دويٌّ كدوي النحل، حتى يصلن إلى العرش فيطفن حوله، ويُذكِّرن بصاحبهن إلى يوم القيامة.

فكل الملائكة الكرام وقفت علومهم عند سدرة المنتهى، ولا يعلمون شيئًا عما بعدها من العوالم الإلهية والعوالم الربانية.

وكذا أنبياء الله ورسله وكذا الصالحون أجمعون ...

ولم يعلم ما فوق السدرة إلا رجلٌ واحد هو نبينا ﷺ، لأنه هو وحده الذي اجتازها، وعلَّمه ربه ما بعدها، خصوصية له وإفرادًا له عن باقي الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين والخلق أجمعين، ولذا قال الأمين جبريل للنبي ﷺ عندما وصلا إلى سدرة المنتهى كما ورد في كتب السيرة: ها هنا انتهى مقامي، وما منا إلا له مقامٌ معلوم، ولو تجازتُ قدر أنملة لاحترقت، وأنت لو تقدمتَ لاخترقت.

فأعلمه الأمين جبريل أن أعلى ما يصل إليه أهل الخصوصية من الملائكة هو سدرة المنتهى، وذلك لأن جبريل والملائكة من نور عالم الملكوت، وعالم الملكوت نهايته سدرة المنتهى.

أما العوالم التي بعده وهي العوالم الذاتية من عوالم الجبروت والنعموت واللاهوت وغيرها، فلا يراها إلا من كان من نور الله وهو حبيب الله ومصطفاه ﷺ.

جبريل وهو عظيمٌ في مكانته لم يستطع يلج الأنوار بالهمم

١٤٣ مسند أحمد والحاكم عن النعمان بن بشير رضي الله عنه

أما المصطفى فلأنه من نور الله، فهو وحده الذي اخترق هذه الحُجب ليتمتع بما لم يتمتع به أحدٌ من السابقين ولا اللاحقين لأنه نورٌ من نور رب العالمين ﷻ.

وهل هذه السدرة مكانٌ أو مقام؟ هذا شأنٌ غيبي، لكن الحبيب ﷺ أشار إلى أنها مقامٌ حسِّيٌّ ومعنويٌّ، حسي ملكوتي وليس حسيًّا كعالم الأرض، ولكنه حسيٌّ كعالم الملكوت، لأنه نهاية عالم الملكوت، وهو نورٌ معنوي، وهو مقامٌ بهيٌّ، وهو مكانٌ عليٌّ لا يصل إليه إلا كل تقي نقي اختاره الله لذاته وجمَّله بصفاته.

١٠- صلاة النبي بالأنبياء

السؤال الثاني: في رحلة الإسراء والمعراج صلى رسول الله ﷺ بأرواح الأنبياء والرسل، ما كُنه هذه الصلاة؟ وهل هي مثل صلاتنا؟ وهل حضرت أرواح كُمَّل الصالحين هذه الصلاة؟

السؤال أولًا فيه خطأ لأن السائل يقول: صلى رسول الله بأرواح الأنبياء، وفي الحقيقة أن الله أحيا له الأنبياء بأجسامهم، ودخلت فيها أرواحهم، وصلى بهم ﷺ بأجسامهم التي فيها أرواحهم.

والأنبياء كما قال ﷺ عندما سأله أحد أصحابه كَم عدد النَّبيونَ؟ فقال ﷺ:

{ مِائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ نَبِيٍّ }[١٤٤]

مائة وأربعة وعشرون ألف نبيٍ ورسول صُفُّوا وراءه سبعة صفوف، وهذا فيه إعجاز لله لا يُعد ولا يُحد.

أولًا أن الله ﷻ أحياهم بعد وفاته، وأتى بهم من أماكن تواجد أجسادهم، وجمعهم وهم هذا الجمع الكبير في هذا الموضع الصغير وهو بيت المقدس.

---

١٤٤ الحاكم في المستدرك والطبري

ولم يكن بيت المقدس مبنيًا كبنايته الآن، فإن الله لما قال: ﴿ مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ﴾ (١الإسراء) كان انباءًا بما سيكون، لأنه لم يكن في وقتها مسجدًا، وإنما كان بناية صغيرة، والذي بناه مسجدًا هو عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي رحمه الله ﷻ، فهو الذي رسمه وبناه مسجدًا.

فكيف جمع الله ﷻ هؤلاء الأنبياء أجمعين في هذا الموضع الصغير؟

هذه قدرة الله، ولا عجب، وإن تعجب فعجب، فإن الله لا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

وبعد أن استقبلوه وصافحوه وحادثوه وصُفُّوا صفوفًا، أخذ الأمين جبريل بيده وقال له: تقدم فأنت الإمام لهم، وصلِّ بهم لله ﷻ.

والصلاة في هذه الليلة المباركة فُرضت في المعراج على جموع المسلمين، ولم تكن الصلاة قطعًا التي صلاها بهم هي الصلاة التي نصليها جماعة المسلمين الآن، لأنها لم تكن قد فُرضت بعد، إنما الصلاة كانت إما على ملة إبراهيم بالكيفية التي كان يُصلي بها أبو الأنبياء إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام، وإما بمعناها اللغوي، والصلاة معناها الدعاء، أي دعا ﷺ الله لهم ولأممهم وأمَّنوا هم على دعائه، فكان هو الإمام لهم:

صـــليت متوجهًا لله معتصـــمًا بالله حتى بـدا نور المفاضـــلة
أبوهمُ أنت يا ســـر الوجود ولا فخرٌ وســـرهمُ قبـل المعـاينـة

فكان ﷺ هو الإمام لهم، ليسلموا له إمامتهم في الدنيا، ويسلموا له إمامتهم في الآخرة، فيكون إمام الأنبياء والمرسلين، وإمام الأولين والآخرين، وإمام الخلق جميعًا في الدنيا ويوم الدين صلوات ربي وتسليماته عليه.

أما الصالحون فلم يكونوا قد ظهروا بعد ...

لأن الصالحين جاءوا بعد خاتم الأنبياء والمرسلين، إن كانوا من صحابته المبجلين، أو من خيار التابعين، أو من كُمَّل الصالحين إلى يوم الدين، فلم تكن حقائقهم الجسمانية قد ظهرت بعد، ولكن كانت هذه خصوصية لأنبياء الله ورسله السابقين، ليعلنوا إمامة أبو الأنبياء والمرسلين لهم أجمعين.

١١- الإسراء والسير إلى الله

السؤال الثالث: في رحلة الإسراء والمعراج ... اخترق رسول الله السماوات السبع، وفي كل سماء مشاهد، ما أشد مشهد يحتاج إليه المريد في هذا الزمان في سيره وسلوكه إلى الله ﷻ؟

الحقيقة أن الإسراء والمعراج هو نفسه رحلة السير والسفر المعنوي بالأرواح والقلوب إلى حضرة الله، والرحلة كلها إشارات للسالك في طريق الله، والسائر إلى مولاه، ومن اكتحلت عيناه برؤية رسول الله، ومن تُوج بولاية الله.

وكل المشاهد فيها تدعو المرء إلى الله، وتسوقه سوقًا إلى حضرة مولاه ..

لكن أعظم المشاهد التي تشد الصالحين والعارفين أن النبي ﷺ وقد أراد ربه أن يرده من هذا السفر بهدِيَّة، والمسافر إن كان آتيًا من مكان بعيد لا بد أن يرجع لأهله بهدية، فسأل الله الهدية التي يقدمها لأمته، فأهدانا الله على يديه الصلاة، لنعلم أن الصلاة هدية لنا من الله، وهي أساس الصلة بالله، فنحافظ على ما فرضه الله علينا من الصلاة.

ونستزيد من السنن والنوافل حتى ندخل في قول الله في حديثه القدسي:

{ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ }[١٤٥]

أما الأمر الآخر والمشهد العظيم :

هي الهدية التي أهداها لنا أبو الأنبياء إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام، حيث قال النبي ﷺ:

---

١٤٥ صحيح البخاري وابن حبان والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه

{ رَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلامَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ، وَغِرَاسُهَا قَوْلُ سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ }[١٤٦]

إذًا على السالك في طريق الله الذي يرغب في الوصول إلى رضا مولاه، أن يتمسك بالصلاة، وأن يستزيد من ذكر الله، ويذكر الله ذكرًا بلا حد ولا عد، لأن الله قال في الذكر: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ ﴾ (الأحزاب)، ولو قُدر للإنسان أن يعيش من بدء الدنيا إلى ختامها، ولا يغفل طرفة عين عن ذكر ربه، فإنه حتى بذلك لا يكون قد ذكر الله ذكرًا كثيرًا.

إذًا على المؤمن أن يستزيد من ذكر الله، مع المحافظة على السنن والنوافل والفرائض التي جاءنا بها الله، والتي سنَّها لنا رسول الله، فهم أقرب الطرق الموصلة إلى حضرة الله.

نسأل الله ﷻ أن يصلنا بحضرته وصلًا ليس بعده فصلٌ ولا انقطاع، وأن يجعلنا موصولين بجنابه على الدوام، وأن يُكرمنا بما أكرم به نبينا من الإتحاف والإنعام في هذه الليلة المباركة.

١٢- الشرب من حوض الكوثر

السؤال: يقول الصالحون في دعائهم: اللهم اسقنا بيده الشريفة شربةً هنيئةً مريئةً لا نشقى بعدها أبدًا، ما الشربة؟ وهل تكون هذه الشربة في الدنيا أم في الآخرة؟ ومن يسقيها في الدنيا؟

هذه الشربة الهنيئة المريئة من حوض الكوثر الذي أعطاه الله ﷻ خصوصية للنبي ﷺ في أرض المحشر، حتى يقي أمته من ظمأ الحساب وطول الوقوف في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، يقول فيه ﷺ:

١٤٦ معجم الطبراني والترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

{ حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْه فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا }[١٤٧]

من شرب منه لا يشعر بظمأ أبدًا طوال موقف القيامة إن كانت الشربة في القيامة، وعليه كيزان بعدد نجوم السماء، والكوز هو الكوب الذي له يد، وهو ما نسميه في العامية (مج).

هذا الحوض يشرب منه أهل الموقف الذين عملوا عملًا صالحًا وخاصة في شهر رمضان، يقول ﷺ في رواد هذا الحوض، وهو يتحدث عن شهر رمضان:

{ مَنْ فَطَّرَ فِيهِ صَائِمًا كَانَ مَغْفِرَةً لِذُنُوبِهِ، وَعِتْقَ رَقَبَتِهِ مِنَ النَّارِ، وَكَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْتَقِصَ مِنْ أَجْرِهِ شَيْءٌ، قَالُوا: لَيْسَ كُلُّنَا نَجِدُ مَا يُفَطِّرُ الصَّائِمَ. فَقَالَ: يُعْطِي اللَّهُ هَذَا الثَّوَابَ مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا عَلَى تَمْرَةٍ، أَوْ شَرْبَةِ مَاءٍ، أَوْ مَذْقَةِ لَبَنٍ، وَهُوَ شَهْرٌ أَوَّلُهُ رَحْمَةٌ، وَأَوْسَطُهُ مَغْفِرَةٌ، وَآخِرُهُ عِتْقٌ مِنَ النَّارِ، مَنْ خَفَّفَ عَنْ مَمْلُوكِهِ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ، وَأَعْتَقَهُ مِنَ النَّارِ، وَاسْتَكْثِرُوا فِيهِ مِنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ: خَصْلَتَيْنِ تُرْضُونَ بِهِمَا رَبَّكُمْ، وَخَصْلَتَيْنِ لا غِنًى بِكُمْ عَنْهُمَا، فَأَمَّا الْخَصْلَتَانِ اللَّتَانِ تُرْضُونَ بِهِمَا رَبَّكُمْ: فَشَهَادَةُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَتَسْتَغْفِرُونَهُ، وَأَمَّا اللَّتَانِ لا غِنًى بِكُمْ عَنْهَا: فَتُسْأَلُونَ اللَّهَ الْجَنَّةَ، وَتَعُوذُونَ بِهِ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ أَشْبَعَ فِيهِ صَائِمًا، سَقَاهُ اللَّهُ مِنْ حَوْضِي شَرْبَةً لا يَظْمَأُ حَتَّى يَدْخُلَ الْجَنَّةَ }[١٤٨]

من الناس من يسقيهم الله سبحانه وتعالى هذه الشربة، مع تنزه الله عن الحركات والسكنات، لقوله في كتاب الله: ﴿ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ ﴾ (الإنسان).

ومنهم من يسقيهم حضرة النبي، وهذا دعاء كُمَّل الصالحين، لأن الله أمرنا بالوسطية، والوسطية أن نكون مع أمير الأنبياء والمرسلين ﷺ.

ومنهم من يسقيهم الشفعاء والصحابة الأجلاء والشهداء والأولياء والصالحين، ولكل قوم مشربهم.

---

١٤٧ البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما
١٤٨ صحيح ابن خزيمة عن سلمان الفارسي رضي الله عنه

وهذا الشراب مع أنه في الآخرة قد يسقيه الله ﷻ لمن أراد من حزبه المفلحين في الدنيا منامًا، فيقوم من النوم ولا يشعر بألم العطش بعد ذلك أبدًا.

ومنهم من يسقيه الله تعالى في اليقظة، وهذا – كما ترويه كتب السيرة المطهرة – ما حدث للسيدة أم أيمن حاضنة ومرضعة النبي ﷺ.

وقد روت أنها كانت مهاجرة من مكة إلى المدينة بمفردها، فوجدت عائلة يهودية تمشي في الطريق فمشت معهم، فأوصى كبير العائلة أفرادها أن لا يسقونها من الماء الذي معهم، قالت: فظمئت حتى أوشك أن يضيع مني بصري فلا أرى، وأن يذهب سمعي فلا أسمع.

وبينا أنا كذلك إذا بدلو يتدلَّى بحبل من السماء فشربت، ثم جُذب الحبل إلى أعلى ولم يتركني أغبُّ الماء غبًا، يعني أتجرع كثيرًا، ثم تدلى الدلو مرة ثانية فشربتُ، لكنه كذلك جُذب إلى أعلى ولم يتركني أتضلع من الماء.

وفي المرة الثالثة نزل الدلو فشربت حتى ارتويت ثم سكبتُ باقي الماء على وجهي وعلى أجزاء جسمي، ليلطِّف حرارة الجو وكان الجو شديد الحرارة ...

وصادف أن رآني اليهودي فقال: من أين شربت؟ فحكيت له، فسأل قومه: هل سقيتموها؟ قالوا: لا، فذهب إلى آنية الماء فوجدها مربوطة يسقائها ولم تُفك، فكان هذا السبب في إسلامه ومن معه.

فقالت رضي الله عنها:

لم أشعر بظمأ بعد ذلك أبدًا، حتى أني كنت أترصَّد اليوم الشديد الحرارة وأصوم، لعلي أجد الظمأ فلا أظمأ، وأتحرى أن أطوف حول البيت الحرام ساعة القيظ بعد الظهيرة حتى أشعر بالظمأ، فلا أظمأ.

وهذا الحال عند كثير من الصالحين.

نكتفي بما ذكرناه عن السيدة مرضعة النبي وحاضنته أم أيمن التي يقول فيها ﷺ:

{ مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَتَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَلْيَتَزَوَّجْ أُمَّ أَيْمَنَ }[١٤٩]

١٤٩ سير أعلام النبلاء عن سفيان بن عقبة رضي الله عنه

١٣- سفر القلب إلى الله

السؤال: قيل في معنى السفر إلى الله: المراد سفر القلب في طريق الحقائق.

نرجو توضيح هذا المعنى؟

السفر إلى الله معنوي ..

والله ﷻ ليس له مكان، ولا يظهر في زمان ولا تحيطه به حدود ولا قدراتٌ ولا إمكان، فالسفر إلى الله يكون في عالم المعاني ...

وفيه يقول الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

مني أسـافر لا من كوني الداني أفردتُ ربي لا حورٍ وولـدان

المسافر من نفسه ...

أي من شهوات نفسه وحظوظها وأهوائها!!!

والمسافر يترك البلد الذي كان فيه!!

المسافر من النفس يترك خلفه شهوات النفس، ليذهب إلى بحبوحة القلب، ويستنير بنور الله، ونور الإيمان الذي وضعه في قلبه الله ...

ثم بعد ذلك يعرج على معارج الروح إلى حضرة المليك السبوح، إلى عالم الملكوت الأعلى، وينتقل من سماء إلى سماء، ومن علوٍ إلى عُلوّ، في عالم الترقيات المعنوية، وليست الترقيات الحسية، حتى ينفخ الله فيه من روحه فيعرج على الرفرف الأخضر إلى ربه، فيكون كما قال الله مع حبيبه ومصطفاه:

﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ ﴾ (النجم).

نسأل الله ﷻ أن يرزقنا السفر المعنوي؛ سفر القلوب إلى حضرة علام الغيوب.

١٤- اطمئنان القلب بالمشاهدة

السؤال: قال الله تعالى على لسان إبراهيم خليل الرحمن عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام: ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ ﴾ (٢٦٠البقرة) وقد ذكرتم فضيلتكم في أحد اللقاءات أن هذه الطمأنينة هي طمأنينة أهل العيان، وهي خاصة بأهل مقام الإحسان وأهل مقام الإيقان، نرجو التوضيح؟

إن الله ﷻ جعل لكل حقيقة؛ حقيقة ظاهرة يراها الإنسان بعين رأسه، وحقيقة باطنة لا يراها إلا بعين روحه أو بعين قلبه.

فأما الحقيقة الظاهرة بين الأجسام التي نراها، وما فيها من أدوات، وما فيها من إمكانات، وما فيها من قدرات، كالعينين والأذنين واللسان والشفتين واليدين والرجلين، وما شاكل ذلك.

وأما الحقائق الباطنة فهي التي لا يراها الإنسان، ولكن يجد إحساسًا في باطنه بأنها لها وجود:

كالروح التي هي سر الحياة، والقلب الذي فيه الإيمان وفيه الحب وفيه الإخلاص وفيه الخشوع وفيه المراقبة لله، والعقل الذي يزن به الأمور التي نستمع إليها أو نقرأها قبل إتخاذ القرار، وغيرها من الحقائق الغيبية التي لا تُرى بعين الرأس ... وإنما كما قال الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

بعين الروح لا عين العقول شهدت الغيب في حال الوصول

وإبراهيم خليل الله عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام أمره الله ﷻ أن يتفكَّر، فكان في تفكيره وصل إلى حدٍّ يريد أن يرى الكيفية الإلهية في إحياء الموتى وبثِّ الحياة فيها، يعني لحظة نفخ الروح أو النفس في الإنسان لتسري فيه الحياة الإلهية.

أو الحيوانات والطيور وغيرها تُبثُّ فيها النفس لتمشي فيها حياتها الكونية، وهذا السر لا يُرى بعين الرأس، وإنما يُرى بعين القلب، ويُرى بعين الروح، ولذلك كاشف الله

إبراهيم تأهيلًا لهذه الرؤيا بأنوار الملكوت، فقال ﷻ:

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾ (٧٥ الأنعام).

لم يقُل: كذلك نُري إبراهيم السماوات والأرض:

لأنه يراها بعيونه الظاهرة، ولكن قال: (ملكوت السماوات والأرض) ..

والملكوت هو المعنى الباطن، أي باطن السماوات والأرض، وباطنهما أنوار بثَّها فيهما الله ﷻ، سر نفخ الحياة في كل الأحياء، فهذه الحقيقة هي حقيقة حركة الإنسان من الموت إلى الحياة، أو حركة الطيور والدواب من الموت إلى الحياة.

وقد كان في هذه الآية كما ورد في كتب التفسيرك

أن الله ﷻ أمر إبراهيم بأن يأتي بأربعة طيور، وأن يذبحها ويقطعها أرباعًا، ويضع على كل جبل من الجبال التي حوله ربع منها، ويضع الأرباع المتشابهة مع بعضها، ثم إذا نفخ الله فيها يدعوها: ﴿ ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ ﴾ (٢٦٠البقرة) يدعوهم وتوافق دعوته للحضور عنده نفخة الحياة من الله ﷻ، فتجمعت الطيور من على الجبال الأربع، وأصبحت طيورًا حية تجري فيها الحياة، وتصرخ وتصيح حتى أتت عنده، فعلم علم اليقين أن سر الحياة لا يملكه إلا الله ﷻ:

﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢ ﴾ (يس).

وهكذا ... فهذا السر الإلهي سر الإحياء من الموات، لا يطلع عليه أهل العيون الظاهرة، وإنما أهل البصائر الباطنة، وأهل العيون القلبية النيرة، وأهل الأرواح الذاكرة لله ﷻ، نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين، وبدايتهم مقام الإحسان، ثم مقام الإيقان: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ ﴾ (الأنعام) يعني من أهل مقام الإيقان ...

وهنا تصريح من الرحمن، بأن كل من بلغ مقام الإيقان عند الله، يتمتع بهذا المشهد الذي تمتع به خليل الله عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام.

١٥- السفر إلى الله

السؤال: ذكرتم فضيلتكم في أحد مؤلفاتكم أن السفر الحقيقي إلى الله يبدأ من النفس، وقلتم: أنت محطة السفر، منك السفر وإلى الله الوصول، أرجو التوضيح؟

السفر إلى الله تعالى سفرًا معنويًا، لأنه لا يوجد طريقٌ حسيٌ كوني أو غير كوني يوصل إلى الله ﷻ، فالله ﷻ لا يخلو منه زمان ولا مكان، وهو أقرب إلى كل شيء من نفس الشيء، ويقول ﷻ: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤ ﴾ (٤الحديد) ويقول ﷻ: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ (١١٥البقرة).

فالله ﷻ ليس هناك طرقٌ حسية توصل إلى حضرات رضوانه العلية، فما بالك بذاته القدسية ﷻ؟! ولذلك ليس هناك مكانٌ أو زمانٌ يسافر منه الإنسان ليصل إلى القرب والود والمؤانسة مع مولاه إلا نفسه التي بين جنبيه، يقول الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

مني أســـافر لا من كوني الداني أفـردت ربي لا حــور وولـدان
وجهتُ وجهي لله العظيم ولي شوق عظيمٌ إلى فضلٍ ورضوان

فالإنسان يسافر من نفسه ... أي من الشواغل التي تحيط به وتشغل نفسه ..

ثم يسافر بعد ذلك من قلبه بعد فراغه من الأغيار وملئه بالأنوار، وهكذا، ..!!

فمراحل السفر إلى الله ﷻ هي مراحل الجهاد التي يجاهد فيها السالكون، ويجاهد فيها العارفون.

ولذلك يقول الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

(لا ينتهي جهاد النفس حتى مع كُمَّل العارفين، إلا مع خروج النَفَس الأخير).

فالإنسان طالما فيه الحياة الإلهية ...

فهو في جهاد مستمر مع عناصره الطينية، ومع عناصره النارية، ومع عناصره حتى الملكوتية، كل ما فيه من عناصر إذا ركن إليها بَعُد عن حضرة الله ...

والبُعد هنا بُعد معنوي، والقرب أيضًا قربٌ معنوي.

فهذا قريبٌ من الله:

أي قريبٌ من مودته، ومن رحمته، ومن عنايته، ومن حفظه وصيانته، ومن توفيقه ومعونته، هذا هو القرب المعنوي من الله ﷻ لعباد الله الذين يُسَمُّون العارفون لأنهم عرفوا أنفسهم، وعرفوا ربهم ﷻ.

عرفوا أنفسهم وجاهدوها، وتخلصوا من شهواتها وحظوظها وأهوائها، فقرَّبهم الله ﷻ قرب القرابة من مودته، وهذا ما يقول فيه الله في كتابه الكريم:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦ ﴾ (مريم).

فيكون هناك ودٌ ومؤانسةٌ وملاطفةٌ ومسامرةٌ بينهم وبين حضرة الله ﷻ، لا تراها العيون، ولا تحيط بها الأوهام ولا الظنون، فكل ما خطر ببالك فهو هالك، والله تعالى من وراء ذلك ...

والله ﷻ ليس له مكانٌ ولا زمان، وإنما يسافر الإنسان من حقائقه الدانية فيتجلى إليه الله ﷻ بحقائقه الراقية، فيكون في مقامٍ:

﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ٩ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ١٠ ﴾ (النجم)

ولذلك قال ابن البنا السراقسطي رضي الله عنه في منظومته عن التصوف:

إنما القوم مسافرون لحضرة الله وظاعنون
فافتقروا فيه إلى دليل عالم بالسير وبالمقيل
قد سلك الطريق ثم عاد ليُخبر القوم بما استفاد

لأنها معاني في معاني،

والمعاني في المعاني مباني، ...

ولكن لا تلوح إلا لأهل القرب والتداني والتهاني ..

نسأل الله تعالى أن نكون منهم أجمعين.

١٦- الحج والسير إلى الله

السؤال: يقول أحد الصالحين: (الحج إشارات إلى السير إلى الله) نرجو التوضيح؟

المؤمن الخفي النقي الذي يطمع في مقام الإحسان ثم مقام اليقين، له في كل أمر تعبدي فرضه الله إشارات يستشفها بقلبه ويشربها بروحه، تقربه إلى الله ﷻ.

فرأى العارفون رضوان الله ﷻ عليهم في سفر الحج إشارة إلى السفر إلى الله ﷻ، لأن الإنسان لكي يحج لا بد أن يُحرم أولًا، والإحرام هو أن يتجرد من كل ما على جسمه من الثياب، ويلبس ملابس الإحرام التي تشبه تمامًا الكفن الذي يدخل به على حضرة الله بعد موته.

فإحرام الإنسان السائر إلى الله أن يُخرج من قلبه كل ما سوى الله، وأن يُحرِّم أي شيء يدخل قلبه من الخواطر الإبليسية، والوساوس الشيطانية، والهواجس النفسانية، وينشغل بالله ﷻ بالكلية، ويستحضر أنه يسمع الله يدعوه لزيارته، فيلبي دعوة مولاه ويقول كما علَّمنا رسول الله: (لبيك اللهم لبيك) وكلمة لبيك يعني إجابةٌ لك بعد إجابة، يعني يجيب داعي الله الذي يدعوه لزيارته في بيته المبارك إن شاء الله، وعندما يسافر إلى بيت الله الحرام يتذكر أنه ينبغي أن يسافر من نفسه وكونه وجسمه إلى ملكوت الله ﷻ بقلبه، وإلى قدس الله الأعلى ﷻ بروحه.

منى أسافر لا من كونى الدانى أفردتُ ربى لا حور وولدان
وجهتُ وجهي لله العظيم شوقٌ عظيم إلى فضل

فطالما هو سائرٌ إلى الأماكن المقدسة يكرر التلبية وكأنه يسمع، وكان الإمام أبو العزائم وهو من أئمة العارفين يقول:

ألبيه سماعًا حين يدعو فأسمعه ألبى بالشجون

فكأنه كان يسمع دعوة الله من حضرة الله، فيلبي الله ﷻ سماعًا روحانيًا، واللسان يترجم عما في القلب وفي الجنان، وعند سفره إلى الحج بعد إحرامه يُحرِّم على نفسه شهوات الدنيا الدنية، ولا يمشي فيها بين الناس إلا بقول رب البرية: ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ (١٩٧البقرة).

فيقتصر كلامه مع الرُفقة المسافرة معه على الكلام في المناسك، أو في الكلام الذي يعينه على ذكر الله، أو في الكلام الذي يتناول سيرة حبيب الله ومصطفاه، أو يستعرض أحوال الصالحين في حجهم إلى بيت الله، فيعمل بقول الله: ﴿ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ ﴾ (١٩٧البقرة).

والرفث هو أي شيء يتعلق بالنساء، فكأن شهوة النساء بالكلية تخرج من قلبه فلا يسمح لنفسه بأن يتحدث بشأنهم، أو يتحدث معهم إلا في حديث ضروري لا غنى له عنه، أو لا غنى لهم عنه، ولكن الشهوة تخرج بالكلية من القلب، لأن القلب لم يعد له شهوة إلا في الله ﷻ، والفسوق هو المعاصي، وهو قد أحرم لله، ونوى أن يكون كله طائعًا لمولاه، فيجاهد نفسه على أن لا يقع في أي معصية ولو صغيرة، فلا صغيرة إذا واجهك بعدله، كما لا كبيرة إذا واجهك بفضله.

وإذا كانت السيئات في الحرم تضاعف السيئة بمائة ألف سيئة، والله ﷻ لا يؤاخذ الإنسان في أي مكان في حديث النفس والهمة والإرادة إلا في مكة، فقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ (الحج)، وكذلك من نوى السفر إلى الله في أي زمان ومكان يحاسبه الله على همه، وعلى لِممه، وعلى خواطره، فإن الله ﷻ يجعل لهذا حسابًا خاصًا: ﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾ (٢٨٤البقرة)، وهذا لخواص عباد الله الذين يرجون الوصول إلى رضا الله تبارك وتعالى.

أما العوام فلا يؤاخذون إلا بما يظهر من الجوارح وعلى اللسان، بل لو فكر في سيئة ولم يفعلها كُتبت له حسنةً فضلًا من الله تبارك وتعالى.

وإذا وصل إلى البيت الحرام وشارك الناس فليس عنده وقتٌ لجدال، لا في مسائل شرعية سواءٌ تتعلق بالحج أو غيره، أو حتى في البيع والشراء، فإنه يعمل بقول الحبيب:

{ رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمْحًا، إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى }[١٥٠]

أي لا يجادل في البيع والشراء ما دام محرمًا، فإذا تحلل من الإحرام فله أن يساوم في البيع والشراء وليس عليه في ذلك شيء، لكنه ممنوعٌ من المساومة عندما يكون لابسًا ملابس الإحرام، ومستعدًا لأداء مناسك الحج أو العمرة لله تبارك وتعالى.

---

١٥٠ صحيح البخاري وشرح السنة عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه

وإذا وصل إلى بيت الله طاف بحقائقة الإلهية التي أودعها فيه الله، حول النور الذي يظهر له في البيت بإذن من الله:

أطوف وحول مجلاه طوافي ورســـم البيت يُمحى باليقين
وكيف ترى عيون الروح كونًا أو ترى حســـن جناتٍ وعين
ووجـه مكون الأكوان حولي يُرى جهرًا لكـل فتىً مكين

فإذا سعى بحقائقه النورانية الإلهية حول الأنوار الذاتية للحضرة الإلهية، كان في وصلٍ ليس بعده فصل، وصفى من كل الشوائب والأغيار، فأخذ يتردد بين مقام الصفاء ومقام الوفاء تصديقًا لقول الله في سيدنا إبراهيم: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ ﴾ (النجم) ، وهنا يكون قد عرف نفسه أنه عبدٌ صِرفٌ لله، فيقول كما كان يلبي سيدنا رسول الله:

{ لبَّيْكَ حَجًّا حَقًّا تَعَبُّدًا ورِقًّا }[١٥١]

فيلبس ثياب العبودية التي يحبها رب البرية من الذكر لله، والإنكسار بين يدي الله، والتواضع لخلق الله، والرغبة فيما عند الله، والرهبة خوفًا من جلال الله، يلبس ثياب العبودية ويقف على عرفات ليعرف نفسه، ومن عرف نفسه فقد عرف ربه، فيجمّله الله ﷻ بأوصافه القدسية، وصفاته الربانية العلية، فيلبسه ثوب عزه، وثوب علمه، وثوب هدايته، ويجعله من أهل قربه وعنايته.

فإذا نظر لنفسه ووجد بقية من المنازعة من جهة إبليس ووساوسه ذهب إلى مِنى، ورمى إبليس وكأنه يرمي ما في نفسه من الوساوس الإبليسية، والحقائق الشيطانية التي تحاول أن تبعده عن القرب من رب البرية.

ثم يجد نفسه تنازعه منازعة كبيرة، والنفس أعدى أعداء الإنسان، فيذبح الأُضحية، أو يذبح هديه ويستحضر أنه يذبح نفسه، حتى يكون بكله لله ويُتم الحج والعمرة لله، ثم يطوف طواف الإفاضة فيفيض إلى مولاه بعد أن أصبح فانيًا بالكلية في ذات الله، ويتجمل بقول الله: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ (﴿١٢٢﴾الأنعام) ، ويرجع بهذا النور يمشي به بين الخلائق ليدلهم على حضرة الخالق، وهذا مشهد من مشاهد العارفين، والمشاهد في هذا المجال لا تُعد ولا تُحد.

نسأل الله ﷻ أن يكرمنا ببعضها أجمعين.

---

١٥١ سنن الدار قطني عن أنس رضي الله عنه

١٧- مقامات السير والسلوك

السؤال: ما أقصى مقام يصل به الشيخ بمريده في سيره وسلوكه؟

بادئ ذي بدء فإن المريد هو الذي يُحدد بُغيته ويحدد بدايته ونهايته بهمتهك

فإن المريد يبلغ أعلى مقام تتمناه روحانيته، ويسعى إليه ببشريته، ويساعده على بلوغ هذا المقام عُلو همته، ولذلك قيل في الأثر: (عُلو الهمة من الإيمان).

فلا بد أن يكون عالي الهمة ليس له حدٌّ في عُلو همته، ولذلك ليس له حدٌّ في المقامات التي يجعلها بُغيته، فالله ﷻ تعالى عن الادراك ولا نهاية لعظمته وكماله وقدرته ﷻ، ولذلك لا نهاية لكمالات مقامات القرب من الله.

وكلما وصل العبد إلى مقام رأى أن هناك فوقه مقام أقرب وأكرم عند الله ﷻ.

ففي مقامات التقوى يقول الله ﷻ: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ (الحجرات ١٣) لم يقُل: إن أكرمكم عند الله التقي، لكن (أتقاكم) بصيغة المبالغة وهي تدل على أنه لا نهاية لمقامات التقوى، ولذلك اختلف في عدَّها أهل الفتح وأهل الولاية السابقين والمعاصرين، فمنهم من عدَّها ألف مقام، ومنهم من عدَّها مائة ألف مقام، ومنهم من عدَّها أكثر من ذلك أو دون ذلك، وكلٌ يعد على حسب ما وصل هنالك، يقول الإمام أبو العزائم رضي الله عنه في ذلك:

من خمر نور جمالك ومن رحيق وصالك
شربتُ صرفًا فهمت وهام أهل كمالك
ومُبشِّري قال هيا قم فالحمى لك سالك
فسرتُ وهو إمامي حتى وصلتُ هنالك

ولا منتهى لمقامات السير والسلوك ...

ولذلك العارفون رضي الله عنهم لهم تأويل في حديث المصطفى ﷺ:

{ إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي وَ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ }[١٥٢]

ما الغين؟

سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه قال: احترت في معنى الغين، فرأيت رسول الله ﷺ فقال لي: غين الأنوار لا غين الأغيار يا مبارك! .. الغين يعني الغطاء أو الستارة، والستارة هنا ستارة من الأنوار وليست من الأغيار كالحظوظ والشهوات والأهواء وغيرها.

قالوا في تأويل هذا الحديث: إن رسول الله ﷺ يرتقي في كل نَفَس إلى مقامات لا حد لها مع مولاه، فهناك مقامات للقرب من الله، وهناك مقامات مع حضرة الله وهي مقامات المعية، وهناك مقامات عند الله وهي مقامات العندية، وهناك مقامات لدنية وهي أعلى المقامات والكمالات الإلهية المتاحة لأهل البشرية أجمعين.

فقالوا: إن رسول الله ﷺ كلما ارتقى في مقام من المقامات رأى أن المقام الذي كان فيه قبله غينًا يعني حجابًا أو سترًا له، فاستغفر الله تبارك وتعالى منه.

ومن هنا فليس هناك نهاية مقام للمريد إلا إذا كانت همته وقفت عند هذا المقام، وكلما علت همته كلما زادت إرادته، وكلما قوي اتصاله كلما زاد قربه من القريب تبارك وتعالى، ولذلك يقول الإمام أبو العزائم رضي الله عنه لنا ولأهل اليمين منا:

علَّوا عزائمكم هيا واعشقوا لتشاهدوا عدن الجنان وحورها

وهذا لمقام أهل اليمين، أما مقام المقربين فيقول فيهم:

وجنة الخلد لو ظهرت بطلعتها لفارقت حُسنها بالزهد همتهم
لا كفء لله يحجبهم فيسترهم أحدٌ تنزَّه تعلمه بصيرتهم

فلو ظهرت لهم كل المقامات العُلوية الجنانية لفارقوها بهمتهم زُهدًا فيها طلبًا لمقامات الرضوان، والرضوان فوق الجنان: ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ (٧٢التوبة).

إذًا المريد هو الذي يحدد لنفسه بُغيته فيما يريده عند ربه تبارك وتعالى، لكن الشيخ يُعلِّي هذه الهمة ويؤجج هذا الشوق ويُوقد نار هذا الغرام ويزيد هذا الاصطلام حتى يتأجج شوقًا

١٥٢ صحيح مسلم وأبي داود عن الأغر المزني رضي الله عنه

وغرامًا واصطلامًا ولا يقف إلا عند مقامات قرب القرابة من الملك العلام ﷻ.

والأمر في هذا ينقسم إلى أقسام:

فالشيخ مع المريد في بدايته، ولا يزال المريد يتشبَّه بشيخه ويهيم شوقًا في أخلاقه وكمالاته، ويموت عن صفاته وحقائقة الدانية حتى يموت في شيخه، فإذا مات في شيخه حبًا ووِدًا وهُيامًا وعشقًا أحياه الله ﷻ ونفخ فيه من روح شيخه، فيكون بعد ذلك شيخه هو رسول الله ﷺ، وهنا يترقَّى مع الحبيب، وليس للرقي مع الحبيب ترتيب وإنما هو حظ عظيم من الله ونصيب من حبيب الله ومصطفاه.

١٨- الإشارات والإشراقات

السؤال: ما الفرق بين الإشارات الربانية، والإشراقات المحمدية التي ترد على قلب المريد؟

السؤال فيه خطأ في تكوينه ...

فإن الإشراقات المحمدية تكون للمريد في بدايته، ليتطهر من هفواته ويتجرد من حظوظه وشهواته ويجاهد في الله ﷻ حق جهاده، فيعينه المدد المحمدي وإشراق شمس الحبيب على قلبه على فناء الأغيار ليشرق فيها الله ﷻ بالأنوار، ويتنزل فيها بالتجليات والأسرار.

فمقامات الإشراقات المحمدية هي في التصفية والتخلية.

والإشارات الإلهية بعد التصفية والتخلية تكون في التجليات الإلهية والتحلية الربانية والإلهامات في المعاني القرآنية وفي الأحاديث النبوية، الإلهامات التي تساعد المرء على حصول النقاء الكامل لصفحة فؤاده وقلبه حتى تكون لوحًا مشرقًا يشرق فيه الغيوب وتلوح فيه أسرار حضرة علام الغيوب، وهنا تتولى الإشارات الربانية اصطفاء هذا العبد وتأهيله للعطاءات القدسية.

نسأل الله ﷻ أن يمُّن علينا بذلك أجمعين. { رَبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ }

نبذة عن المؤلف
العارف بالله تعالى الشيخ فوزي محمد أبوزيد

۞ ولد الشـــيخ رضى الله عنه في ١٨/١٠/١٩٤٨م، ١٥/١١/١٣٦٧هـ بـالجميزة، مركز الســـنطـة، محـافظـة غربية، ج م ع، وحصل على ليسانس كلية دار العلوم من جامعة القاهرة ١٩٧٠م، ثم عمل بالتربية والتعليم حتى وصل إلى منصب مدير عام بمديرية طنطا التعليمية، وتقاعد سنة ٢٠٠٩م.

۞ النشاط: يعمل رئيسا للجمعية العامة للدعـوة إلى الله بمـصر مشهرة برقم ٢٢٤ ومقرها الرئيـــسى- ١١٤ شارع ١٠٥ المعادى بالقاهرة، ولها فروع في جميع أنحاء الجمهورية.، كما يتجول بمـــصر- والدول العربية لنـــشر- الدعوة الإسلامية، وإحياء المُثل والأخلاق الإيمانية؛ بالحكمة والموعظة الحسنة. هذا بالإضـافة إلى الكتابات الهادفة لإعادة مجد الإسـلام، من التسـجيلات الصـوتية الكثيرة والوســائط المتعددة للمحاضرات والدروس واللقاءات على الشرــائط والأقراص المـدمجـة، وأيضـــا من خلال موقعـه على الشـــبكـة العنكبوتيـة www.Fawzyabuzeid.com وهو أحـد أكبر المواقع الإســـلاميـة فى بـابـه وجارى إضافة تراث الشيخ العلمى الكامل على مدى خمسة وثلاثين عام وقد تم إفتتاح واجهة للموقع باللغة الإنجليزية وجارى إضافة المواد المترجمة.

۞ دعـــوته: ١- يدعو إلى نبذ التعصـب والخلافات، والعمل على جمع الصـــف الإســـلامى، وإحياء روح الإخوة الإســـلامية، والتخلص من الأحقاد والأحســـاد والأثرة والأنانية وغيرها من أمراض النفس، ٢- يحرص على تربية أحبابه بالتربية الروحية الصـافية بعد تهذيب نفوسـهم وتصـفية قلوبهم.، ٣- يعمل على تنقية التصـوف مما شـابه من مظاهر بعيدة عن روح الدين، وإحياء التصوف السلوكى المبنى على القرآن والسنة وعمل الصحابة الكرام.

۞ هدفه: إعادة المجد الإسـلامى ببعث الروح الإيمانية، ونشر- الأخلاق الإسلامية، وبترسيخ المبادئ القرآنية.

۞ المساهمات الدعوية للشيخ بالإذاعة والتليفزيون:

مساهمات فضيلته أكثر من أن تحصى بالإذاعات كلها وبقنوات التلفزيون المصرى، علماً بأن الشيخ يرفض البرامج التى تهدف للبلبلة والإثارة وتأليب الرأى واستغلال الحوادث أو تأجيج الفتن، والشيخ يرحب ببرامج وبقنوات التليفزيون المصرى أو غيرها من التى تعمل جادة على نشر الدعوة الإسلامية الوسطية والعصرية وتهدف إلى رأب الصدع، وجمع الشمل، وتوصيل الدعوة الهادفة بالأسلوب الجذاب والراقى.

ونذكر من تلك المساهمات على سبيل المثال لا الحصر:

١- خطبة وصـــلاة الجمعة: بعض الخطب على الهواء مباشرة منها: *جمع من مسجد النور بحدائق المعادى بالقاهرة[١٥٣] ، جمع من مسجد الزاوية الحمراء بالقاهرة، والمسجد الكبير بمدينة بورفؤاد ببورسعيد، ومسجد الأنوار القدســية بالمهندســين وغيرها. ٢- البرنامج العام: *دعاء الصــباح. * المجلة الدينية، ٣- إذاعة القرآن الكريم: أمسـيات دينية كثيرة، خطبة وصـلاة الجمعة على الهواء.من مسـاجد متعددة، خطبة وصـلاة الجمعة بمسـجد التليفزيون عدة مرات بإذاعة القرآن الكريم و*برنامج "المجلة الإسلامية. ٤- إذاعة وسط الدلتا: * حديث الصـباح * الأمسـية الدينية. ٥- إذاعة الشـباب والرياضـة: * برنامج: عصافير الجنة. ٦- إذاعة لقاهرة الكبرى: "أمسيات دينية " من مساجد مختلفة و* برنامج "صفحات من نور" و*برنامج "النورانيات و الإسلاميات". ٧- القناة الأولى بالتليفزيون: * برنامج "من بيوت الله"و * برنامج "فى زمرة الرســول ﷺ" و*برنامج "أحســن القصــص". ٨- القناة الثالثة (قناة القاهرة بالتليفزيون): حلقات من *برنامج "واحة القلوب" و حلقات *"برنامج المحبين" و حلقات من *برنامج "فقه المرأة" و*برنامج "جدد حياتك" ولا يزالا مستمرأن إلى تاريخه، وفى شهر رمضان ٢٠١٨ *برنامج "من آيات القرآن"، و كذلك "الدعاء" بعد آذان المغرب طوال الشــهر الكريم، وفى شهر رمضان ٢٠١٩ *برنامج "الصائمون يتسائلون". ٩- القناة السادسة (قناة الدلتا التليفزيونية): حلقات من *برنامج "الســيرة العطرة". و*برنامج "آيات محكمات". *برنامج "جدد حياتك" ومازال مستمرا. ١- القناة الثامنة: سلسلة حلقات من *برنامج "لقاءات إيمانية".١١- القناة الثقافية: *برنامج "فتاوى على الهواء" و*برنامج "أهل الذكر".١٢- القناة التعليمية: حلقات *برنامج "أولياء الله الصالحون".

١٣- المســاهمات الإعلامية والدعوية بكليات ومعاهد الجامعات ومراكز الشـباب والأندية الثقافية والجمعيات الدينية والثقافية والعلمية: أحيى الشيخ عديد من المناســبات الدينية والإحتفالات بالكثير من الجامعات بالوجه البحرى والصعيد، وكذا بالنوادى الرياضية ومراكز الشباب والجمعيات الأهلية والمستشفيات، والمراكز الثقافية والرياضية بالوجهين البحرى والقبلى.

كما شارك الشيخ وأحيي الكثير من المناسبات بالمؤسسات الإجتماعية والثقافية بالمحافظات و دعى إلى عدد كبير من إحتفالات الصلح بالصعيد على مدار السنين الطوال، وصلى الله على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلم.

---

١٥٣ الشيخ يخطب أول جمعة من كل شهر ميلادى بمسجد النور بالمعادى منذ أكثر من خمسة وعشرين عاماً، كما يخطب آخر جمعة بالشهر الميلادى بمركز الفائزين الخيري بالمقطم.

قائمة مؤلفات ومحققات الشيخ فوزى محمد أبوزيد المطبوعة

حتى تاريخ ٢٠٢٣/٣/٢٣م، وهى ست عشرة سلسلة تحوي: ١٤٢ كتابا

م	اسم الكتاب (ط: عدد الطبعات، ت: مترجم)	ط	ت	م	اسم الكتاب (ط: عدد الطبعات، ت: مترجم)	ط	ت
سلسة ١: التفسير الموضوعى للقرآن الكريم: ١٥ كتاباً							
٤	نفحات من نور القرآن: (مجلد ٢- ج ١)	١		١٤	نفحات من نور القرآن: (مجلد ٢- ج ٢)	٣	
٤٨	أسرار العبد الصالح وموسى عليه السلام: (مجلد ٥)	٢		٩١	الآداب القرآنية مع خير البرية: (مجلد٣ –ج ١)	١	
٩٣	أسرار خلة إبراهيم عليه السلام:(مجلد ٥)	١		٩٦	تفسير آيات المقربين: (مجلد ١- ج ١)	١	
١٠٢	تفسير آيات المقربين: (مجلد ١- ج٢)	١		١٠٣	حكمة لقمان وبر الوالدين: (مجلد ٥)	١	
١٠٥	تفسير آيات المقربين: (مجلد ١- ج٣)	١		١٠٨	تفسير آيات المقربين: (مجلد ١- ج ٤)	١	
١٠٩	تفسير آيات المناسبات: (مجلد ٤)	١		١١٢	تفسير آيات المقربين: (مجلد ١- ج ٥)	١	
١٣١	إعجاز القرآن فى كلمة "نور"	١		١٣٧	الرسول فى القرآن	١	
١٣٨	تفسير وفوائد الفاتحة وآية الكرسى	١					
السلسلة رقم ٢: الفقــه: ١١ كتاب							
٢	زاد الحاج والمعتمر	٣		٥	مائدة المسلم بين الدين والعلم	٢	☑
٥٢	كيف تكون داعياً على بصيرة	٢		٥٤	مختصر زاد الحاج والمعتمر	٢	
٧١	الصيام شريعة وحقيقة	١		٧٢	إكرام الله للأموات	١	
٩٥	صيام الأتقياء	١		١٠٠	دلائل الفرح بالرحمة المهداة	١	
١٠٤	سنن الهدى	١		١٢٦	دروس رمضان والتراويح	١	
١٣٠	الأحاديث النبوية فى الصيام	١					
السلسلة ٣: موسوعة الحقيقة المحمدية: ١٤ كتاب							
٧	حديث الحقائق عن قدر سيد الخلائق	٤		١٣	إشراقات الإسراء ج ١	٢	
٢٢	الكمالات المحمدية	٢		٢٣	الرحمة المهداة	٢	
٣٣	واجب المسلمين المعاصرين نحو رسول الله ﷺ	٢	☑	٣٥	إشراقات الإسراء ج٢	١	
٦١	السراج المنير	١		٧٠	ثانى اثنين	١	
٨٥	الجمال المحمدى ظاهره وباطنه	١		٨٧	تجليات المعراج	١	
٩٠	شرف شهر شعبان	١		١١٤	خصائص النبى الخاتم ﷺ	١	
١٣٤	الأفق المبين ﷺ	١		١٤٠	صاحب الجاه العظيم	١	
السلسلة رقم ٤: من أعلام الصوفية: ٩كتب							
١	الإمام أبو العزائم المجدد الصوفى	٢		٥٩	الشيخ الكامل السيد أبو الحسن الشاذلى	٢	
٣	الشيخ محمد على سلامه سيرة وسريرة	١		٩٧	الإمام أبو العزائم، سيرة حياة	١	
٤١	المربى الربانى السيد أحمد البدوى	٢		١٠٧	الشيخ عبد الرحيم القنائى ومدرسته الروحية	١	
٤٥	شيخ الإسلام إبراهيم الدسوقى	٢		١٣٣	قطبا العراق عبد القادر الجيلانى وأحمد الرفاعى	١	
١٣٥	أولياء الله	١					
السلسلة رقم ٥: الدين والحياة: ٧ كتب							
٣٤	كيف يحبُّك الله	٤	☑	٦٧	بنو إسرائيل ووعد الآخرة	١	
٢٦	إصلاح الأفراد والمجتمعات فى الإسلام	٢	☑	٧٥	أمراض الأمة وبصيرة النبوة	١	
٣٩	كونوا قرآنا يمشي بين الناس	٢	☑	٩٢	فقه الجواب (الإجابة على أسئلة الموقع)	١	
٥٠	قضايا الشباب المعاصر	١	☑				
السلسلة٦: الخطب الإلهامية للمناسبات: ٧ كتب							
١٦	خطب المولد النبوى	١		١٧	خطب شهر رجب والإسراء والمعراج	١	
١٨	خطب شهر شعبان وليلة الغفران	١		١٩	خطب شهر رمضان وعيد الفطر	١	
٢٠	الحج وعيد الأضحى	١		٢١	خطب الهجرة ويوم عاشوراء	١	
٥٥	الخطب الإلهامية: مجلد مناسبات دينية:١	٢					
سلسلة ٧: الخطب الإلهامية العصرية: ١ كتاب							
٧٨	الأشفية النبوية للعصر	١					
السلسلة رقم ٨: المرأة المسلمة: ٦ كتب							
٩	تربية القرآن لجيل الإيمان	٢	☑	٤٣	المؤمنات القانتات	٢	
٤٤	فتاوى جامعة للنساء	٢	☑	٧٤	الحب والجنس فى الإسلام.	١	☑
١٠٦	المرأة المسلمة بين الإباحة والنهى	١		١٣٦	أمهات المؤمنين	١	

م	اسم الكتاب (ط: عدد الطبعات، ت: مترجم)	ط	ت	م	اسم الكتاب (ط: عدد الطبعات، ت: مترجم)	ط	ت
السلسلة رقم ٩: الطريق إلى الله: ١٣ كتاباً							
٦	طريق الصديقين إلى رضوان رب العالمين	٢		٢٥	طريق المحبوبين وأذواقهم	١	
٢٨	المجاهدة للصفاء والمشاهدة	٢		٣٠	علامات التوفيق لأهل التحقيق	١	
٣١	رسالة الصالحين	٢		٣٢	مراقي الصالحين	٢	
٦٠	نوافل المقربين	١		٦٤	أحسن القول	١	
٧٩	دعوة الشباب العصرية للإسلام	١	☑	٨٨	مجالس تزكية النفوس ج١	١	
٨٩	مجالس تزكية النفوس ج٢	١		١٢٥	همة المريد الصادق	١	
١٤١	خبايا القلب						
السلسة رقم ١٠: الأذكار والأوراد: ٧ كتب							
٨	مفاتح الفرج	٦		١٥	أذكار الأبرار	١	
٣٧	مختصر مفاتح الفرج	٥	☑	٣٨	أذكار الأبرار صغير	٣	
٤٠	أوراد الأخبار تخريج وشرح	٢		٥٦	نيل التهاني بالورد القرآني	١	
٧٣	جامع الأذكار والأوراد	٢					
السلسلة ١١: دراسات صوفية معاصرة: ١٨ كتاباً							
١٠	الصوفية والحياة المعاصرة	١		١١	الصفاء والأصفياء	١	
١٢	أبواب القرب ومنازل التقريب	١		٢٩	الصوفية في القرآن والسنة	٣	☑
٣٦	المنهج الصوفي والحياة العصرية	١		٤٢	الولاية والأولياء	١	
٤٩	موازين الصادقين	١		٥١	الفتح العرفاني	١	
٥٣	النفس وصفها وتزكيتها	٢	☑	٥٨	سياحة العارفين	١	
٦٣	منهاج الواصلين	١		٦٥	نسمات القرب	١	
٦٨	العطايا الصمدانية للأصفياء	١		٧٧	شراب أهل الوصل	١	
٨٣	مقامات المقربين	١		٩٨	آداب المحبين لله	١	
١٢٨	معرفة الله عند أهل الفناء	١		١٣٩	آداب صحبة العارفين	١	
السلسة رقم ١٢: الفتاوى: ٧ كتب							
٢٤	فتاوى جامعة للشباب	١		٧٦	فتاوى فورية ج١	١	☑
٨٠	فتاوى فورية ج٢	١		٨٤	فتاوى فورية ج٣	١	
٨٦	فتاوى فورية ج٤	١		١٠١	يسألونك	١	
١٢٧	القول السديد	١					
السلسة رقم ١٣: أسئلة صوفية: ٦ كتب							
٢٧	نور الجواب على أسئلة الشباب	٢		٦٩	الأجوبة الربانية للأسئلة الصوفية	١	
٩٩	إشارات العارفين	١		١١١	بينات الصدور	١	☑
١٢٩	جواب العارفين على أسئلة الصادقين	١		١٤٢	الإلهام في أسئلة الكرام	١	
السلسلة رقم ١٤: حوارات مع الآخر: ٣ كتب							
٨١	سؤالات غير المسلمين	١	☑	٨٢	حوارات الإنسان المعاصر	١	☑
٩٤	أسئلة حرة عن الإسلام والمسلمين	١	☑				
السلسلة رقم ١٥: شفاء الصدور: ٥ كتب							
٤٦	علاج الرزاق لعلل الأرزاق	٢		٤٧	بشائر المؤمن عند الموت	٣	
٦٢	بشريات المؤمن في الآخرة	١		٦٦	بشائر الفضل الإلهي	١	
١١٠	الدعاء المستجاب	١					
سلسلة ١٦: تحقيق الشيخ فوزي محمد أبوزيد: ١٣ كتاباً							
٥٧	تحفة المحبين في فضائل عاشوراء للقاوقجي	١		١١٣	ورد الإستغفار اليومي للحسن البصري	١	
كتب محققة من سلسلة المطبوعات الكاملة للعارف بالله الشيخ محمد على سلامه							
١١٥	أنوار التحقيق في وصول أهل الطريق	٢		١١٦	الجواب الشافي على أسئلة الحكيم الترمذي	٢	
١١٧	الإمام أبو العزائم كما قدم نفسه للمسلمين	٢		١١٨	التوحيد في القرآن والسنة	٢	
١١٩	علامات وقوع الساعة	٢		١٢٠	كيف يدعو الإسلام الناس إلى الله	٢	
١٢١	شعب الإيمان	٢		١٢٢	قطرات من بحار المعرفة	٢	
١٢٣	عبادة المؤمن اليومية	٤		١٢٤	من منابع الدين الحنيف	٢	
١٣٢	شرح الصلوات الربانية على خير البرية						

إسم المكتبة	رقم الهاتف	القاهـرة
المجلد العربي	٢٥٩١٢٥٢٤	١١٦ شارع جوهر القائد الأزهر
التوفيقية	٠١١٥٤٤٤٥٩٦١	١أ طاهر شعلان بجوارمسجد الحسين
دار الرازى للنشر والتوزيع	٠١٠٠٢٠٨٤٢٧٣	٣ ش السيد الدواخلى بالجمالية - القاهرة
بازار أنوار الحسين	٠١٢٢٧٤٧٥٩٣١	٢ زقاق السويلم خلف مسجد الحسين
العزيزية	٠١١١٣١٤١٨١٣	١١ ميدان حسن العدوى بالحسين
الحسينية	٢٥٩٠٢٥٤١	٢٢ شارع المشهد الحسينى بالحسين
دار التأليف	٠١٠٠١٤٦٨٤١٧	١١ ميدان حسن العدوى – الأزهر
الأزهرية للتراث	٠١٠٠٥٠٤٢٧٩٧	درب الأتراك، خلف الجامع الأزهر
أم القرى	٢٥٨٩٨٢٥٣	١٢٨ شارع جوهر القائد الأزهر
صبَّاح الأزهرية	٠١٠٠٥٤٦٩٨٦٤	بجوار الجامع الأزهر - الأزهر
القلعة	٢٥١٠٨١٠٩	١ شارع محمد عبده خلف الأزهر
سنابل	٢٣٩٣٥٦٥٦	٥ ش صبرى أبو علم، باب اللوق
دار المقطم	٢٧٩٥٨٢١٥	٥٢ شارع الشيخ ريحان،عابدين
جوامع الكلم	٢٥٨٩٨٠٢٩	١٧ الشيخ صالح الجعفرى الدراسة
أصول الدين	٠١٠١٠٦٦٥٩٠٠	أستاذ تامر أمام مستشفى الحسين
نفيسة العلم	٢٥١٠٤٤٤١	٩ ميدان السيدة نفيسة.
مكتبة ليلى	٠١٠١٧٥٧٦١٥٩	٣٩ ش قصر النيل - وسط البلد
مكتبة مدبولى	٢٥٧٥٦٤٢١	٦ ميدان طلعت حرب – وسط البلد
الأديب كامل كيلانى	٢٣٩٦١٤٥٩	٢٨ شارع البستان بباب اللوق
دار الإنسان	٣٣٣٥٠٠٣٣	١٠٩ شارع التحرير، ميدان الدقي
كشك أبو عبدالله	٠١٠١٠٧٧١٣٧٥	تحت كوبرى القبة - كوبرى القبة
مدبولى مدينة نصر	٢٤٠١٥٦٠٢	طيبة ٢٠٠٠، شارع النصر مدينة نصر
الروضة الشريفة	٢٦٤٤٤٦٩٩	٢١ شارع د.أحمد أمين، مصر الجديدة

إسم المكتبة	رقم الهاتف	الأسكندرية
كشك سونا	٠١٢٢٤٦٠٩٠٨٢	محطة الرمل، أمام مطعم جاد
الكتاب الإسلامى الثقافى	٠١٠٠١٢٣٢٦٩٨	محطة الرمل، صفية زغلول
كشك محمد سعيد موسى	٠١١١٤١١٤٣٠٠	٦٦ شارع النبى دانيال، محطة مصر
مكتبة الصياد	٠٣-٣٩٢٨٥٤٩	٤ ش النبى دانيال، محطة مصر
الكشك الأبيض	٠١٢٨٨٣٤٣٥٥٥	محطة الرمل- أستاذ أحمد الأبيض

الأقـاليم		
مكتبة عبادة	٠٥٥-٢٣٢٦٠٢٠	الزقازيق – شارع نور الدين
مكتبة تاج	٠٤٠-٣٣٣٤٦٥١	طنطا- أمام مسجد السيد البدوى
دار عبيد	٠١٠٠٣٣٢٢١٨١	طنطا – آخر تقاطع شارع الحلو مع الإستاد الشرقى، بجوار مسجد مكة
كشك التحرير	٠١٠٠٨٩٣٥١٨٢	كفر الشيخ، شارع السودان أمام السنترال، الأستاذ سامى أحمد عبد السلام
صحافة الجامعة	٠١٠٠٢٢٨٥٢٥٣	المنصورة، ش جيهان، مستشفى الطوارىء أستاذ عماد سليمان
الرحمة المهداة	٠١٠٠١٤٢١٤٦٩	المنصورة، عزبة عقل، ش الهادى، أ. عاطف وفدى
صحافة الثانوية	٠١٠٠٥٧٣١٥٥٠	المنصورة شارع الثانوية، أمام مدرسة ابن لقمان، الحاج كمال الدين أحمد
صحافة أخبار اليوم الحاج محمد الأتربى	٠١٢٢٤٩١٧٧٤٤	المنصورة-طلخا، أمام مدرسة صلاح سالم التجارية، مقابل كوبرى طلخا
مكتبة الإيمان	٠١٢٢٦٤٦٨٠٩٠	فايد- أ حماده غزالى بربرى
كشك الصحافة	٠١٢٢٧٩٦٠٤٠٩	السويس،شارع الشهداء، الحاج حسن محمد خيرى
أولاد عبدالفتاح	٠٩٣-٢٣٢٧٥٩٩	سوهاج- شارع احمد عرابي، أمام التكوين المهنى
معرض قنا للكتاب (مكتبة الجهاد)	٠١٠٠٦٨٦٦١٦٨	قنا، حاج أسامة رمضان بجوار مديرية أمن قنا
مكتبة القرايا بإسنا	٠١٠٠٨٦٩٨٦٦٤	القرايا، إسنا، ش السيدة زينب، الحاج محمد الريس والأستاذ محمد رمضان النوبي
كشك حسنى بإسنا	٠١١١١٤٩١٨٢٣	كشك حسنى عبد العاطى المنسى أمام مستشفى الرمد بإسنا - الأقصر

أيضاً بدور توزيع مؤسسات الأهرام و الأخبار والجمهورية، وكذلك بمختلف المكتبات بالقاهرة والأقاليم.

ويمكن تصفح الكتب وتنزيلها من الموقع الرسمى للشيخ فوزى محمد أبوزيد www.fawzyabuzeid.com ، أو موقع www.askzad.com موقع الكتاب العربى.بالشروط المعلنة، والكثير من مواقع نشر الكتب العالمية.

ويمكن أيضا طلبها من داخل الجمهورية وخارجها من جميع أنحاء العالم أون لاين على متاجر شبكة المعلومات

المقدمة	٣
روابط و QR صفحات التواصل الإجتماعى للشيخ	٦
الباب الأول: أحكام بين الكتاب والسنة	٧
١- المال الطيب	٩
الورع	١٤
٢- دروس حادثة شق القمر	١٥
٣- إشارات المحققين في الصيام	١٧
٤- أفضل الأعمال في عشر ذي الحجة	١٩
٥- أهل بدر	٢١
٦- اسقاط التكاليف الشرعية	٢٥
٧- العمل الصالح	٢٧
٨- أفلا يتذكرون	٢٨
٩- قطر وكأس العالم	٢٩
١٠- المزمل والمدثر	٣٣
١١- ترك الوصية	٣٦
١٢- الإنابة في الصلاة	٤٠
١٣- الدعاء والتفويض	٤٢
١٤- التابوت	٤٥
١٥- تكرار آلاء الله في سورة الرحمن	٤٧
١٦- مشيئة الله	٥٠
١٧- الرجوع في الهبة	٥٣
١٨- الدعاء في الصلاة	٥٦
١٩- دعاء الإمام لنفسه دون من خلفه	٥٨
٢٠- زيادة العمر	٥٩
٢١- الجفر	٦٢
٢٢- صلاة الجنازة على المنتحر	٦٤

٢٣- فضل قراءة الفاتحة	٦٥
الباب الثانى: أمراض القلوب	٦٧
١. علاج الحقد والحسد	٦٩
الغبطة أو الحسد المحمود	٧٠
علاج الحقد والحسد المذموم	٧١
٢. أهمية الأمانة للسالك	٧٣
أمانة الجوارح	٧٣
أمانة المجالس	٧٤
نموذج الأُمناء	٧٥
أمانة الأسرار الزوجية	٧٥
أمانة المال	٧٥
صفات السالك الوفي	٧٦
٣. أحوال المسبحة	٧٨
٤. مرض سوء الظن	٧٩
حسن الظن بالله	٨٠
حسن الظن بالناس	٨١
٥. مرض حب الرياسة والتمشيخ	٨٤
٦. الصبر في طريق الله	٨٦
٧. الأعمى والبصير	٨٩
٨. كتمان الأسرار	٩٠
٩. اليسرى والعسرى	٩٣
الباب الثالث: تزكية النفس	٩٥
١. مجالس تزكية النفوس	٩٧
٢. الرؤيا والحلم	٩٨
٣. التربية عن طريق الرؤيا	٩٨
٤. حب النبي سماعًا وكشفًا	٩٩

٥. رقي المريد	١٠١
٦. حياة النفس وموتها	١٠٣
٧. السالك ابن وقته	١٠٥
٨. شعبان وغذاء الروح	١٠٧
٩. انشقاق الغمام في السير والسلوك	١٠٨
١٠. السَنَة الإيمانية	١٠٩
١١. ذكر أهل الكمال	١١١
١٢. طهارة القلب	١١٥
١٣. القلب السليم	١١٧
١٤. الغين	١٢٠
١٥. معنى (ن)	١٢١
١٦. بين المغفرة والرحمة	١٢٣
١٧. السيد أحمد الرفاعي في الروضة	١٢٤
١٨. صلة الرحم القاطع	١٢٦
١٩. التوبة النصوح	١٢٩
٢٠. تزكية النفس	١٣٠
الباب الرابع: مصاحبة الصالحين	١٣١
١. الفرق بين المواجهة والسماع في مجالس العلم	١٣٣
آثار التردد على الصالحين	١٣٦
٢. رؤيا الشيخ في المنام	١٣٨
٣. صفات الداعي الحكيم	١٣٩
٤. عيون المقربين	١٤٢
عين الحس	١٤٢
عين القلب	١٤٢
عين السر	١٤٤
عين الروح	١٤٤

عين النفخة القدسية	١٤٥
٥. هيبة الله في القلوب	١٤٦
خشية النبى	١٤٧
أسرار الخشية	١٤٨
٦. هيبة الشيخ	١٤٩
٧. همة المريد وأحوال شيخه	١٥١
٨. آداب التعامل مع الشيخ	١٥٣
٩. مصاحبة الصالحين	١٥٧
١٠. في صحبة الشيخ	١٥٧
١١. بين الشيخ والمريد	١٦٣
١٢. التكفل بأمور الشيخ الدنيوية	١٦٥
الباب الخامس: الطريق إلى الله	١٦٩
١. الخوف والرجاء	١٧١
عند الصالحين	١٧٣
٢. طريق السير إلى الله	١٧٥
٣. الثبات على الوجهة	١٧٧
٤. مراقي الصالحين	١٧٩
مقام الإحسان	١٨٠
مقام الإيقان	١٨٢
٥. عالم الملكوت	١٨٤
٦. الصلة بالله	١٨٧
صلة نبينا بالله	١٨٧
صلة الأنبياء بالله	١٨٩
٧. جلاء البصيرة	١٩٠
٨. رؤية رسول الله ﷺ	١٩٤
٩. سدرة المنتهى	١٩٥

١٠. صلاة النبي بالأنبياء	١٩٧
١١. الإسراء والسير إلى الله	١٩٩
١٢. الشرب من حوض الكوثر	٢٠٠
١٣. سفر القلب إلى الله	٢٠٣
١٤. اطمئنان القلب بالمشاهدة	٢٠٤
١٥. السفر إلى الله	٢٠٦
١٦. الحج والسير إلى الله	٢٠٨
١٧. مقامات السير والسلوك	٢١١
١٨. الإشارات والإشراقات	٢١٣
نبذة عن المؤلف	٢١٤
قائمة مؤلفات الشيخ	٢١٦
أين تجد المؤلفات	٢١٨
الفهرست	٢٢٠

تحت الطبع للمـــرة الأولى

١- أسرار وأنوار الإسراء والمعراج ٢- من المكنون

٣- الحياة الزوجية الطيبة ٤- ترياق المُرادين

٥- أوليـــــــاء الله (٢)

لحضور مجالس العارف بالله الشيخ فوزى محمد أبوزيد أون لاين؛ ولقراءة وتحميل الكتب والدروس والخطب فيديو وصوت وكتابة راجع روابط صفحات التواصل الإجتماعى، أو امسح أكواد QR بالموبايل لتدخل للصفحات مباشرة.{ التفاصيل بصفحة (٦) }

وإلي اللقاء مع الكتاب القادم إن شاء الله

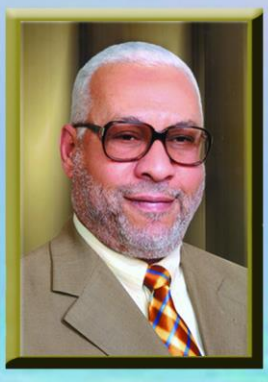

فى هذا الكتاب للشيخ فوزى محمد أبوزيد

بحمد الله تعالى لما زادت ثقافة الجماهير الإسلامية الواعية في هذا الزمان بالعلوم الدينية الواسعة؛ صار الكثير منهم يكثرون من السؤال في أخصِّ أمور الدنيا والدين، فألهمنا الله تعالى أن نحقِّق لهم قوله ﷻ: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ النحل،

ونعمل بقول بن مسعود ﷺ: { لا تزالون بخيرٍ ما إذا حَاكَ في صدر أحدكم شيءٌ؛ وجدَ من يخبرهُ به ويشفيه منه }، فبعونٍ من الله تعالى وإلهام؛ كان هذا الكتاب الذى بين يديك ليجيب عن العشرات من الأسئلة الشائكة التى حاكت فى صدور الكرام من السالكين ...

من مكتبة الشيخ فوزى محمد أبوزيد فى الأسئلة الصوفية

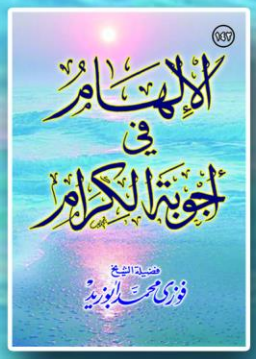

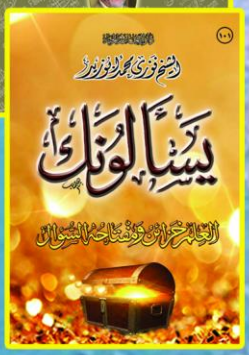

زوروا موقع الشيخ WWW.Fawzyabuzeid.com

تطلب من المكتبات و دور النشر و القائمة بداخل الكتاب
مع قائمة المؤلفات الكاملة للشيخ فوزى محمد أبوزيد